



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٥٣٢

المكتبة العامة السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا
فرع الكتاب والسنة

أسباب النزول

“أسانيدها وأثرها في تفسير القرآن الكريم”

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

في التفسير
٥٣٠ ر. ٠٠٢٥٢٥



إعداد:
الشيخ به جمع سماط
إشراف الدكتور:

محمد عبد الطيفم العتيبي

١٤٠٤ - ١٤٠٣ هـ
١٩٨٤ - ١٩٠٨٣

الإهداء

إلى من أدبني بأدب القرآن الكريم .
إلى من غمري برعايته العلمية والروحية .
إلى من عبأني الله على يد منعم حفظ القرآن الكريم .
إلى من سبغني وأستازي المرحوم الكبير :
الحاج محمد صالح محمد كدّام
أهدي هذا الجهد المتواضع .
لقرارك بالفضل ... وعرفاننا بالجليل ...
فإنه من ثمرات جهده الطيب المشرقا

أعني الله منوياً .

وجزاه خير الجزاء .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

=====

بعد حمد الله تعالى والثناء عليه ، أتقدم بوافر شكرى ، وفائق
تقديرى للقائمين على أمر جامعة أم القرى بمكة المكرمة
لما قدموا لى ولزملائى من تهيئة المناخ الطيب الصالح لتحصيل
العلم والمعرفة . ولما قاموا به من رعاية كريمة للجميع . فجزاهم
الله خيراً ، ووفقهم للمزيد من خدمة الإسلام والمسلمين .

وانى لحاجز من إيفاء القائمين على أمر جامعة أم دُرْمَانَ الإسلامية
حقهم من الشكر ، لا تاحتهم لى فرصة الابتعثات والدراسة فى هذا
البلد الأمين .

وأشكر استاذى الكريم ، سعادة الدكتور محمد عبد المنعم
القيعى ، على تفضله بالإشراف على هذه الرسالة ، وعلى بذله
السَّخِي من وقته الثمين ، وعلمه الفزير ، وتوجيهاته السديدة .

واننى لن أنسى له تَبَنِيَّ لهذا الموضوع منذ بزوغ فكرة اختياره ،
وتشجيعه القوي لى على اقتحام هذا الميدان الذى طالما ترددت
فى ولوج معتركه الصعب ، ثم تذليله لكل العقابيل ، وإزالة التَّكَلُّفِ

لجميع العقبات التي كانت تعوقني عن السير قدماً في هذا الموضوع .

فالله أسأل أن يسبغ عليه ثوب العافية والصحة ، وينفع به ويعلمه
ويجزل له حسن الثواب ، انه على ما يشاء قدير .

وللأستاذ الفاضل السيد محمد عبد الكريم المستشار الثقافي
بالسفارة السودانية بجدة جميل الشكر وعظيم التجلية على رعايته الكاملة
للمبعوثين ، وتفانيه في خدمتهم ، واهتمامه الفائق بجميع قضاياهم
المختلفة .

سدد الله خطى الجميع في مسيرة العلم النافع ، والعمل
الصالح ، وتوج مساعيهم الحميدة بالقبول الحسن والثواب الجزيل ،
انه سميع مجيب .

المقدمة

المقدمة :

=====

الحمد لله الهادي للتي هي أقوم . أحفده سبحانه ، جعل لكل شيء سبباً ، وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، وأنزل عليه الذكر ليبين للناس ما نُزل إليهم . فصلّى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله فى العالمين . ورضى الله عن أصحابه الأخيار ، الذين أُشربوا فى قلوبهم الهدى ، فصكفوا على تلقى القرآن الكريم تلاوةً ، وممارسةً واستظهاراً ، وتطبيقاً . فصاروا بذلك أسوة حسنة للمتأسسين ، وقدوة صالحة للمقتدين . فجزاهم الله خيراً ما يجزى أمثالهم ، وزادهم من فضله الواسع ، وكرمه العميم . وجعلنا من المقتفين آثارهم على هدى وبصيرة ، المحشورين فى وفد هم يوم تبلى كل سريرة .

أما بعد :-

فإن علوم القرآن الكريم من أجل العلوم وأشرفها . وحسبها من ذلك أنها وثيقة الحُرَى بكتاب الله تعالى ، فما من علم يتصل بهذا الكتاب الكريم ، إلا كان له من الشرف أرفعه وأكملُهُ ومن الجلال أوفرُهُ وأتمُّهُ .

وأَسباب النزول من أهم علوم القرآن وأكرمها . فهى من أعظم الآلات المُعينة على استِغْنَاهِ مقاصد التنزيل العزيز ، وأفضل الأدوات الدالة على مَرَامِي الشرع الحكيم . وذلك لأنها تُعِين على فهم آيات فهمًا سليماً ، وتُزِيلُ عنها ما يقع فيها من إشكال ، كما أنها

تدفع تَوْهَمَ الحَصْرِ عما يفيد بظاهرة الحصر من الآيات ، وتعين على معرفة حكمة التشريع ، وهي خير وسيلة إلى تعيين المبهمات فـى القرآن الكريم .

ونظرا لأهمية أسباب النزول فى تفسير القرآن الكريم ، أفردها العلماء بالتأليف ، وأحسنوا الصَّنْعَةَ فى عرضها ، وقد موهها موثقةً بالأسناد المتصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنالوا بذلك شرف المساهمة فى بيان الذكر الحكيم .

ولست - يَا أَدْنَى رَبِّ - مِمَّنْ يتناولون الى مدارج أولئك السابقين من علمائنا الأفاضل .

وليس لمُتَطَاوِلٍ - مِمَّا أَجْهَدَ نَفْسَهُ - أن يبلغ شأوَهُمْ فى هذا الميدان . فهم - أَتَابَهُمُ اللهُ - لم يدعُوا زيادةً لمستزيد يأتى من بعدهم . وذلك لَأَنَّ أسباب النزول لا تثبتُ بالرأى والاجتهاد ، وإنما هى رهينةُ النقل الصحيح ، والأسناد الثابت المتصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد هذه الحقيقة الثابتة ، يظل الباب مفتوحاً لمن يرفض فى إحياء ذكرى أولئك الأسلاف المُكْرَمِينَ . وتُصبح الفرصة سانحةً للتبصير بمجهوداتهم العظيمة فى خدمة كتاب الله الكريم . ويكون المقام مناسباً للوقوف على الآثار الاجتماعية الهامة لمعرفة سبب النزول .

وفى هذا الإطار المحدود جاءت هذه المباحث بعون وتوفيق من الله تعالى ، وذلك لبواعث شتى^١ ، أوجز أهمها فيما يلى :-

أولاً : اتصال هذا الموضوع بكتاب الله . وكل مسلم يجد من نفسه ميلًا فطريًا نحو ما يتيسر له من المعارف المتصلة بكتاب الله .

ثانيًا : اختلاف مناهج المؤلفين فى هذا البحث ، مما جعلنى أتشوف إلى المزيد من المعرفة بالمقارنة بين هذه المناهج .

ثالثًا : معرفة المؤلفين فى أسباب النزول ، والترجمة لهم . وفى ذلك إحياء لذكرى أسلافنا الصالحين الذين ساهموا ببحوث قيمة أوقفنا على ألوان من المعرفة المتصلة بكتاب الله .

رابعًا : التعرف على المصنفات فى أسباب النزول ، من مخطوطات ومطبوعات ، ومحاولة الوقوف على أماكن وجودها بغرض الفائدة العامة .

خامسًا : إن لمعرفة أسباب النزول أثرًا اجتماعيًا هامًا ، فإن كتاب الله تناول كل جوانب الحياة . والوقوف على سبب النزول يُعين على فهم المعنى ، مما يجعل البحث وثيق الصلة بقضية تفهم آيات كتاب الله .

لهذه البواعث مجتمعة عقدت العزم على الكتابة فى أسباب النزول . ورأيت أن أجعل عنوان البحث كما يلى :

(أسباب النزول : طريقها وتحليل النصوص بها)
ورُتبت ذلك في مقدمة ، وبابين ، وخاتمة . لتكون المقدمة مشتملة
على التنويه بقيمة هذا الموضوع في علوم القرآن ، ومتضمنة ذكر
البواعث الداعية إلى اختياره ، مع بيان منهج البحث .

أما الباب الأول فجعلته في سبب النزول . وضمته خمسة فصول :
أولها . في التعريف بسبب النزول . وذكر من ألف فيه من
العلماء . والكتب المؤلفة فيه ، وبيان قيمتها العلمية .

الثاني : في الاستعانة بالسبب على فهم الآية ، وإزالة الإشكال
عنها .

الثالث : في معرفة حكمة التشريع ، وهل تُطل النصوص بعلة أو لا ؟
وما المراد بها ؟

الرابع : في رفع توشم الحصر ، وتعيين المبهمات .

الخامس : هل المصبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب ؟ وبيان

ما يترتب على كلٍّ من القولين .

وأما الباب الثاني فجعلته في طريق معرفة السبب وقد اشتمل على

ثلاثة فصول :

الأول : في الروايات التي وردت في أسباب النزول وقيمتها .

الثاني : في صيغ الرواة في التعبير عن سبب النزول ، والموازنة
بينها .

الثالث : في تعدد الأسباب والمُنزَّل واحد . وفي وحدة
السبب لأكثر من آية .

وأما الخاتمة فقد تضمنت ذكر النتائج التي انتهى إليها البحث .

على أن هذا الترتيب يعدُّ واحداً من ملامح المنهج الذي قام عليه
بناء هذه الرسالة . وفيما يلي عرض موجز لتلك الملامح المنهجية :-

١- بعد تخطيط البحث على الترتيب المتقدم ، استعنت على

انجازه - بعد الله تعالى - بلفيف من المصادر والمراجع المتنوعة ،
المتصلة في كتب أسباب النزول ، وعلوم القرآن ، والتفسير ، والحديث ،
والفقه ، والأصول ، واللغة ، ومناهج البحث العلمي .

٢- وفي استخدام المصادر والمراجع سلكت طريقتين :-

الأولى : نقل نصوص بعضها ، للاستدلال أو الاستشهاد ،

أو البيان . مع تمييزها بعلامات التنصيص ، ثم الإشارة إلى مصادرها
في الهوامش .

الثانية : التعبير - بأسلوبى الخاص - من الأفكار والمعانى التى

وردت فى بعض الكتب ، دون استعمال علامات التنصيص ، مع الإشارة
إلى مصدرها فى الهوامش أيضا .

٣- وقد اعتمدت (أساسا) - فى الإحصاء الآيات النازلة بأسباب
والآيات النازلة ابتداء - على كتاب " لباب النقول فى أسباب النزول "
للإمام السيوطى ، فى طبعته الصادرة فى القاهرة ، ضمن سلسلة
" كتاب التحرير " تحت عنوان " أسباب النزول " . وذلك لأن هذه
الطبعة عُنِيَتْ بِذكر أرقام الآيات النازلة بأسباب ، مما ساعد على
عملية الإحصاء .

فیر أنى لم أكتفِ بما ورد فى هذه الطبعة فحسب . بل كنت
أقبله بأسباب النزول الواردة فى الكتب الأخرى ، مثل كتاب الواحدى
وكتاب الصراقى ، وبعض كتب التفسير والحديث .

٤- ولما كانت الروایات الواردة فى أسباب النزول من الكثرة بحيث
لا يتسع المجال لتحقيقها - فقد قسّمها إلى ثلاثة أقسام :
الأول : ما ورد فى الصحيحين أو فى أحدهما :-

الثانى : ما وافق ما فى الصحيحين .

الثالث : ما لم يرد فى الصحيحين ، ولم يوافق ما جاء فيهما .

ثم اخترت ثلاثة من كل قسم وعلقت عليها جميعاً ، ودليت ذلك بإحصاء لما ورد من كل قسم في كتب أسباب النزول .

٥- وقد اقتصررت في تخريج الأحاديث على بعض الروايات ، نظراً للكثرة . وكنت أشير إلى ما ورد في الصحيحين ، وأورد آراء العلماء في الحكم على ما جاء في غيرهما .

٦- أما الآيات القرآنية فقد أوردتها في البحث مرتبة على حسب نظامها في المصنف الشريف . ثم خرجت كل آية ، مشيراً إلى السورة التي وردت فيها ، مع ذكر رقم الآية ، وضبطاً ضيقاً كما أمكن .

وأما أرقام السور فقد اكتفيت بذكرها في الجدول الإحصائي الذي بينت فيه الآيات النازلة بأسباب ، والآيات النازلة ابتداءً بآيات أسباب .

٧- وفي مجال الذب عن بعض كتب أسباب النزول ، أورد المآخذ أولاً ، ثم أقابلتها بما جاء في تلك الكتب للتأكد من صحة الادعاء ، ثم أذكر رأيي مصحوباً بالدليل .

٨- وفي الترجيح بين الآراء المتضاربة في مسألة من المسائل ، أحرص الآراء ، وأقارن بينها ، وأناقشها ، ثم أرجح ما أراه راجحاً مع ذكر الأدلة المربحة .

وآخر هذه الملامح يظهر في أمرين اثنين :-

٩- الترجمة لكثير من الأعلام الذين ضمهم البحث .

١٠- وترتيب الفهارس المرشدة إلى محتويات هذه الرسالة .

وقد جاء ترتيب الفهارس على النحو التالي :- (١)

أ/ فهرس المصادر : ورتبته على أسماء المؤلفين ، على حسب ترتيب الحروف الهجائية . وذلك بإثبات الكنية أو اللقب الذي اشتهر به المؤلف ، ثم اتباعه بالاسم ، ثم عنوان الكتاب ، واسم المحقق ومكان وتاريخ النشر إن وجد شيء من ذلك .

(١) انظر كتاب الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان (كتابة البحث العلمي

ومصادر الدراسات الإسلامية) ص ١٣١

وكتاب الدكتور أحمد شلبي (كيف تكتب رسالة أو بحثاً)

ب/ فهرس الآيات : ورتبته كما يلي :
أبدأ باسم السورة ورقمها ، فأضعهما في منتصف السطر ، على
غيطة العنوان . ثم أضع كمل آية في سطر على حدة ، وأكتب أمامها
رقمها ثم رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة . وقد رتبت الآيات
على حسب ورودها في السورة .

ج/ فهرس الأحاديث :
وقد رتبته على حسب ورودها في الرسالة ، بادئاً بذكر اسم
راوي الحديث : ثم أكتب أمامه جزءاً من النص ، وأتبعه برقم الصفحة
التي ورد فيها ذكره من البحث .

د / فهرس الأعلام :
وبدأت فيه بذكر من اشتهر بالكنى ، ورتبته على الأحرف الهجائية .

هـ/ فهرس الموضوعات :
ورتبته على حسب ورودها في الرسالة ، مراعيًا التفصيل الدقيق تيسيرًا
على التاري في الرجوع إلى مطلبه .

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه
الكريم ، وأن يثبتني في ميزان حسناتي ، وأن يبسط النفع به ... ،
إنه سميع الدعاء .

وأخبر دعواناً أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم وبارك
على نبيينا محمد وعلى آله أجمعين .

الباب الأول

في سبب النزول

وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول :

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول :

في التعريف بسبب النزول

المبحث الثاني :

في ذكر مائة ألف في هذه المسألة

المبحث الثالث :

في الكتب التي ألفت فيه

وبيان قيمتها العلمية



المبحث الأول :

التعريف بسبب النزول

هذا علم يبحث فيه عن سبب نزول سورة أو آية ، ووقتها ، ومكانها
وفير ذلك من الظروف والاحوال (١)

وهو ضرورى للمفسر ، اذ يتعين عليه قبل تناوله للآية
ان يذكر السبب ان كان لها سبب من أجله نزلت .
وقبل ان نتعرض للتعريف بسبب النزول ينبغى ان نهيئ
لذلك بمعرفة السبب والنزول ، بالمعنى الافرادى لكل منهما ، فنقول
معنى النزول : الانتقال من اعلى الى اسفل . وقد يراد به
الحلول بالمكان .

اما السبب فيطلق فى اللغة على كل ما يتوصل به الى غيره (٢)
ومن ذلك اطلاق السبب على الطريق ، كما فى قوله تعالى " وَآتَيْنَاكَ
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَاتَّبِعْ سَبَبًا " (٣) اى طريقا . ومنه اطلاقه على
الباب : قال تعالى : " لَعَلَّيْ أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ " (٤)
اى ابوابها . واهيانا يذكر السبب ويراد به الحبل كما فى قوله

(١) انظر : (كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون ١ / ٧٦)

(٢) القاموس المحيط " ٨ / ١ - ومختار الصحاح ص " ٢٨١ "

(٣) سورة الكهف " ٧٤ ، ٧٥ "

(٤) سورة فاطر " ٣٦ ، ٣٧ "

تعالى : " فَلْيَعْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ " (١) أى بحبل الى السقف (٢) وكل ذلك يرجع الى المعنى اللغوى ،
وأما المعنى الاصطلاحي للسبب فقد ورد على النحو التالى :
أ- عرفه الامام البزدوى (٣) بقوله : (هو فى الشريعة عبارة عما هو طريق الى الشئ * ، من سلكه وصل اليه فنالته فى طريقه ذلك ، لا بالطريق الذى سلك ، كمن سلك طريقا الى مصر بلغه من ذلك الطريق ، لا به ، لكن بمشيه) (٤)
ب- وعرفه الامام السرخسى (٥) بقوله : (وفى الاحكام السبب عبارة عما يكون طريقا للوصول الى الحكم المطلوب من غير ان يكون الوصول به) (٦)

- (١) سورة الحج " ١٥)
(٢) انظر : كشف الاسرار ١٦٩/٤ ، واصل السرخسى ٣٠١/٢ وأصول الفقه للبرديسى ص " ٩٧ ، ٩٨ "
(٣) هو فخر الاسلام ابوالحسن على بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد الفقيه الحنفى الاصولى . ينسب الى "بزدة" فيقال "بزدوى" وتسمى ايضا "بزدوه" فيقال "بزدوى" . ولد سنة اربعمائة وتوفى سنة اثنتين وثمانين واربعمائة (انظر الفتح المبين فى طبقات الاصوليين ٢٦٣/١ للمراغى
(٤) أصول البزدوى بهامش كشف الاسرار " ١٦٩/٤ "
(٥) هو شمس الائمة محمد بن أحمد بن أبى سهل ابوبكر السرخسى - يفتح السين والراء المهملتين وسكون الخاء المعجمة - الفقيه الحنفى . الاصولى ، منسوب الى سرخس بلدة ، قديمة بخراسان توفى سنة ثلاث وثمانين واربعمائة (الفتح المبين ٢٦٤/١
(٦) أصول السرخسى ٣٠١/٢

جـ - وعرفه الشيخ عبد العزيز البخارى (١) بأنه (كل وصف ظاهر

منضبط ، دل الدليل السمعى على كونه معرفا لحكم

شرعى) (٢)

والمراد بالوصف فى هذا التعريف : المعنى : وهو ما

قابل الذات - والمراد بكونه ظاهرا : أى غير غفّى . ومعنى كونه

منضبطا : أى محددا . لا يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص .

ومعنى كونه معرفا لحكم شرعى : أى علامة على الحكم الشرعى من غير

أن يكون له تأثير فيه . (٣)

قلت : والذي يظهر من هذه التعريفات الثلاثة أن الاول منها

- وهو تعريف البزدوى - لا يختلف فى شىء عن التعريف اللذوى :

فأهل اللغة يعرفون السبب - كما تقدم - بأنه (كل ما يتوصل به

الى غيره) والامام البزدوى يعرفه - فى الشريعة - بأنه " عبارة عما

هو طريق الى الشىء " . واما جاء تعريف البزدوى مطابقا للمعنى

اللذوى لأن السبب فى عرف الفقهاء مستعمل فيما هو موضوعه لفظا ،

بخلاف ما هو معهود فى الاصطلاحات .

ففى تعليق صاحب " كشف الاسرار " على هذا التعريف أبان ان

لفظ " الشىء " فى قوله " مما هو طريق الى الشىء " يراد به الحكم .

(١) هو علاء الدين عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخارى الفقيه الحنفى الاصولى . تبحر فى الفقه والاصول وعرف بالتفوق فيهما ومن أشهر مؤلفاته كتاب كشف الاسرار توفى سنة ثلاثين وسبعمائة

(الفتح المبين ١٣٢/٢)

(٢) كشف الاسرار عن اصول البزدوى ١٦٩/٤

(٣) اصول الفقه للبرديسى ١٦٩/٤

وان لنظـ "الشريعة" يراد به حكم الفقهاء . وأن السبب في عرف الفقهاء مستعمل فيما هو موضوعه لفظة أيضا . (١)
أما تعريف السرخسي وتعريف عبد العزيز البخاري فأرى اتفاقهما مع ما هو معروف في الاصطلاحات من أن التعريف الاصطلاحي اختص من التعريف اللغوي .

ما المراد بسبب النزول ؟

وبعد هذا التمهيد بمعرفة السبب والنزول لفظة واصطلاحا بالمعنى الافرادى ، انتقل الى المعنى المركب فأبسطه على النحو التالى :

اولا : عرفه كل من الشيخ الزرقانى فى " مناهل العرفان " والشيخ
إبراهيم شعبة فى " المدخل " بقولهما : (سبب النزول هو ما نزلت الآية أو
الآيات متحدة عنه أو مبهنة لحكمه أيام وقوعه) (٢) .
والمراد بهذا التعريف وقوع حادثة فى زمن النبى صلى الله عليه
وسلم ، أو توجيه سؤال اليه وانزال الله تعالى آية أو آيات بيانا لتلك
الحادثة ، أو جوابا عن ذلك السؤال .
ومن تمام معنى هذا التعريف بيان المراد من قولهم " أيام وقوعه "
فان المراد من أيام وقوع سبب النزول هو الظروف الزمانية التى ينزل
القرآن فيها متحدثا عن ذلك السبب .

وهذا التقيد غاية فى الاهمية لانه يخرج الآيات التى تتحدث عن
الامور الماضية أو المستقبلية ، لانها نزلت ابتداء من غير سبب . وذلك

(١) كشف الأسرار ١٦٩ / ٤

(٢) مناهل العرفان فى علوم القرآن " ٩٩ / ١ - والمدخل لدراسة

القرآن ص " ١٣٢)

كالايات التي تتحدث عن الأمم السابقة ، وعن بعض قصص الانبياء ،
وكالايات التي تذكر يوم القيامة وما فيه من أهوال وثواب وعقاب .
ثانيا : عرّفه الدكتور صبحي الصالح بقوله :- (سبب النزول هو
ما نزلت الآية أو الآيات بسببه متضمنة له أو مجيبة عنه أو مبينة لحكمه
زمن وقوعه) (١)

وهذا التعريف مختلف عن سابقه ، وفي النفس منه شيء ، فسبب
النزول - هنا - هو ما نزلت الآية أو الآيات بسببه . والذي أراه ان
قوله " بسببه " دور مفسد للمعنى ، لأن المعنى يستقيم اذا نزلت
الآية أو الآيات متحدة عن السبب أو مبينة لحكمه . أما ان تنزل
الآية أو الآيات بسبب السبب فهذا دور يفسد المعنى بلا ريب .
ومن ناحية اخرى فان في قوله (متضمنة له أو مجيبة عنه) مزيدا
من التفصيل ليس مألوفاً في التعاريف اذ يمكن الاستغناء عنه بقولهم
" متحدث عنه " .

وبإمعان النظر في التعريفين نجد التعريف الذي اوردّه الشيخان
الزرقاني وابو شهبه جامعا مانعا لا اعتراض عليه ، فهو المرجح
المختار . والله من وراء القصد .

(١) مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص " ١٣٢ "

المبحث الخامس :-

ذكر من ألف فيه من العلماء

عنيت طائفة من علماء المسلمين بأسباب نزول القرآن الكريم ، وافردوها بالتأليف في مصنفات كثيرة خاصة بها ، مصولين في ذلك على الرواية والاسناد والنقل الصحيح . فاستطاعوا بذلك ان يثروا المكتبة الاسلامية ثراء عظيمًا في هذا الباب ، وان يزودوا المشتغلين .
بالتفسير بما يحسنهم ويسدد آراءهم .

وقد حاولت - جهد الطاقة - أن انقب عن هؤلاء الافذاذ واحصيتهم عددا . فعكفت على تراجعتهم التمسها في مآلها من الكتب المتفرقة وكانت حصيلتي من ذلك البحث ثمانية منهم . ولعلني اظفر - بعد - بمراجع اخرى تضيف جديدا الى ما وصلت اليه ، اذ ليس من الحكمة ادعاء الاستقراء التام ، لجواز العثور على مراجع تفي من هذا الغرض بما هو أكمل وأتم . لا سيما وان أغلب الكتب المؤلفة في اسباب النزول اصبحت الآن مفقودة . فلعلها - ان وجدت - تجود بمعلومات مفيدة من علماء اخرين برعوا في هذا الفن . وليس ذلك ببعيد ، فكثير من المؤلفين درجوا على ذكر من سبقهم بالتأليف في الموضوع الذي يبحثونه .

وفيما يلي اذكر اولئك العلماء الثمانية مرتبين بحسب وفياتهم
على النحو التالي :-

١- أولهم : ابن المديني (٢٣٤) هـ

وهو شيخ المحدثين علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيع - بفتح
النون وكسر الجيم - بن أبي بكر بن سعد السعدي بالولاء ، البصري
المعروف بابن المديني وشيخ الامام البخاري . وهو أحد ائمة
الحديث في عصره ، محدث ، حافظ ، أصولي ، مؤرخ ، نسابة ،
لغوي . وكان يكنى بأبي جعفر .

تلقى العلم على جمهرة من العلماء ، منهم أبوه ، وابن عيينة ،
وابن علية ، وبشر بن المفضل ، وعاتم بن وردان ، ويحيى بن سعيد
القفطاني ، وعبد الله بن وهب وخلق كثير .

روى عنه البخاري ، وابوداود ، والترمذي والنسائي وابن ماجه
وكثيرون .

ولد ابن المديني بالبصرة سنة احدى وستين ومائة ، وتوفي
" بسر من رأى " سنة اربع وثلاثين ومائتين ، وأصله من المدينة .
له تصانيف كثيرة : منها : " الاسامي والكنى " في ثمانية اجزاء
و " قبائل العرب " في عشرة أجزاء ، و " تفسير فريب الحديث "
و " المسند في الحديث " وهو أول من ألف في اسباب النزول ،
غير ان كتابه في عداد الكتب المفقودة (١)

(١) انظر : تاريخ بغداد ٤٥٨/١١ - وتهذيب التهذيب

٢ - الثاني : ابوالمطرف الاندلسي (٤٠٢) هـ

هو قاضي الجماعة ابوالمطرف عبدالرحمن بن محمد بن فطيس
الاندلسي القرطبي ، صاحب المصنفات المشهورة ، كان من جهاذة
الحفاظ والمحدثين . وجمع ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالاندلس
وقد ولي القضاء والخطابة والوزارة وكان يملئ من حفظه . ومن
مصنفاته : " اسباب النزول " في مائة جزء لكنه لم يصل إلينا . وكتاب
" فضائل الصحابة والتابعين " في مائتين وخمسين جزءا . وقيل
ان كتبه بيعت بأربعين ألف دينار .

وكانت وفاته في شهر ذي القعدة سنة اثنتين وأربعمائة وله من
الحرر أربع وخمسون سنة (١)

٣ - الثالث الواحدى (٤٦٨) هـ

هو ابو الحسن طلى بن احمد بن محمد بن طلى الواحدى
النيسابورى الشافعى . كان جامعا لكثير من العلوم ، وقد برع فى
التفسير والنحو واللغة والفقه والشعر والاعبار . وأعان على النبوغ
فى هذه العلوم تتلمذه على جهاذة من العلماء من امثال
أبى الفضل احمد بن محمد بن عبد الله الصغار شيخ الادباء فى
عصره . وأبى الحسن طلى بن محمد بن ابراهيم الضرير النحوى
المحدث . وأبى الحسن عمران بن موسى المضربى المالكى الفقيه
الاصولى النحوى . وأبى عثمان سعيد بن محمد الزفرانى المقرئ

وأبي اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي المفسر (١)
وللواحدى مصنفات كثيرة منها : " اسباب النزول " و " الاغراب
فسي علم الاعراب " . وثلاثة كتب في التفسير هي (البسيط ، والوسيط
والوجيز " وكتاب " التحبير " في شرح اسماء الله الحسنى ، وشرح
ديوان المتنبي " و " كتاب الدعوات " و " كتاب المغازي " وكتاب " نفسي
التحريف من القرآن الشريف " . وكانت وفاته سنة ثمان وستين وأربعمائة (٢)

٤ - الرابع : ابو المظفر السراقي (٥٦٧) هـ

هو ابو المظفر محمد بن أسعد بن محمد بن نصر الحكيمسي ،
ويقال ابن الحكيم ، العراقي ، الفقيه الحنفي ، الواظ ، الشاعر
اللفوي .

ولد في ربيع الاول سنة أربع وثمانين وأربعمائة بمدينة بغداد ، ونشأ
وتفقه بها ، ثم رحل الى دمشق واستقر بها ، وبنيت له مدرسة فيها
واقبل الناس على درسه فأفادوا منه كثيرا .

تلقى العلم على نخبة من العلماء ، منهم : نور الهدى الزينبي
وابو علي بن نيهان ، وابو محمد قاسم بن علي المعروف بالحريسي
صاحب المقامات المشهورة . ومن أبرز تلاميذه ابو نصر الشورازي .

(١) انظر مقدمة الاستاذ السيد أحمد صقر لتحقيقه كتاب اسباب

النزول للواحدى ص " ٩ " الطبعة الاولى .

(٢) هـ ٦٩٤ / ١ ، ربيع الأول ٦٩٤ / ١

وله عدة مصنفات : منها : " اسباب النزول والقصص القرآنية " و" تفسير القرآن المسمى " تفسير الحكيم " و" شرح شهاب الاخبار " في الحكم والامثال والآداب من الاحاديث النبوية لابن حكيم القاضي و" نظم مختصر القدوري " في فروع الفقه الحنفي ، و" شرح مقامات المحريري " ، وله أشعار متفرقة .

وبعد عمر حافل بالعلم والدرس وافته المنية في شهر المحرم سنة سبع وستين وخمسائة (١)

هـ . الخامس : المازندراني (٥٨٨) هـ

هو ابو جعفر محمد بن علي شهراسب بن أبي نصر السمرقاني المازندراني رشيد الدين ، أحد شيوخ الشيعة . اشتغل بالحديث ، ثم تفقه وبلغ النهاية في فقه أهل مذهبه ونبغ في الاصول . ثم تقدم في علم القراءات والغريب والتفسير والنحو . وكان امام عصره ، والفالب عليه علم القرآن والحديث ، له من الكتب : " مناقب آل أبي طالب " ، و" مثالب النواصب " و" المخزون المشكون في عيون الفنون " ، و" اعلام الطريق في الحدود والحقائق " ، و" مائدة الفائدة " ، و" المثال في الامثال " ، و" الحاوي " ، و" المنهاج " ، و" الاوصاف " ، و" الفصول " و" مشابه القرآن " .

وكانت وفاته في شهر شعبان سنة ثمان وخمسائة (٢)

(١) انظر الاعلام ٢٥٦٦ ، والمحمدون من الشعراء ص ٢٠٨
(٢) انظر : طبقات المفسرين : للداودي ١٩٩/٢ - والسيوطي " ٣٧ " وروضات الجنات ٢٩٠/٦

٦- السادس : ابن الجوزى (٥٩٧) هـ

هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي
ابن صبيد الله بن جعفر الجوزى ، وينتهى نسبه الى أبى بكر الصديق
رضى الله عنه . والجوزى نسبة الى محلة فى البصرة تسمى محلة الجوز .
ولد فى بغداد ، وتوفى أبوه وله من العمر ثلاث سنين ، فرعته أمه .
وجدته . وكان أهله تجارا بالنحاس - وهذا يفسر ما يوجد فى سماعاته
القديمة من لقب " ابن الجوزى الصقار " .

وما أن شب وترعرع حتى حملته عمته الى مسجد خاله المحمد بن
اللقوى أبى الفضل محمد بن ناصر البغدادى المتوفى سنة خمس مئتين
وخمسمائة ، فاعتنى به عناية فائقة ، وكان اول معلم له . وقد حفظ
فى هذه المرحلة القرآن الكريم ، وسمع الحديث ، ولا سيما مسند
الامام أحمد ، وجامع الترمذى ، وصحيحى البخارى ومسلم ، وتحلم
اللفظ والادب ، ومن على الوعظ ، وسمع تأريخ بغداد للخطيب .
وكان امام وقته فى الحديث حتى لقب بالحافظ .

له مصنفات كثيرة ، من أشهرها : " زاد السير فى علم التفسير " و
" صيد الخاطر " ، و " صفوة الصفوة " الذى عرف ايضا " بصفة الصفوة " و
" تلخيص ابليس " ، و " مناقب الامام احمد بن حنبل " و " الذهبى
المسبوك فى سير الملوك " .

وكانت وفاته فى ليلة الجمعة الثانى عشر من شهر رمضان سنة سبع
وتسعين وخمسمائة من الهجرة . (١)

٧ = السابع : الجعبري (٧٣٢)

هو أبو محمد برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل
الخليلي الشافعي الجعبري .
كان عالما في التفسير ، والقراءات ، والحديث ، والفقه ، واللغة ،
والصrouفي .

ألف كتباً كثيرة : منها : " الاتقان في تجويد القرآن " و " الشريعة
في القراءات السبعة " (١) و " رسوم التحديث في علم الحديث " و
" السبيل الاحمد الى علم الخليل بن أحمد " و " مناسك الحج " و
" اسباب النزول " وهو اختصار لكتاب الواحدى بحذف اسانيده .
وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة من الهجرة (٢)

٨ = الثامن : السيوطي (٩١١) هـ

هو الحافظ جلال الدين ابوالفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن
محمد السيوطي الشافعي المحقق ، صاحب المؤلفات الكثيرة المفيدة .
ولد سنة تسع وأربعين وثمانمائة . وتوفي والده وله من العمر خمس
سنوات وسبعة أشهر ، وأسند وصايته الخي جماعة منهم الكمال
ابن الهمام .

حفظ القرآن وله من العمر ثمان سنين . وحفظ كثيراً من المتن ،

(١) هكذا وردت وصوابها : القراءات السبع ، ولعل المصنف مال
الى ضرورة السجع .

(٢) انظر هدية العارفين ١٤ / ١

وأخذ عن شيوخ كثيرين يربون على الخمسين شيخا . وله مؤلفات كثيرة
تزيد على التسعمائة ، من بينها " لباب النقول في اسباب النزول "
وكثرتها تفنى من ذكرها .

وكان السيوطي أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه : رجالا ،
وفريبا ، ومقتنا ، وسندا ، واستنباطا للاحكام . ولما بلغ الاربعين
سنة تجرد للعبادة ، وانقطع عن الناس ، وأعرض عن الدنيا وأهلها
وترك الافتاء والتدريس معتذرا عن ذلك حتى وافته المنية سنة
احدى عشرة وتسعمائة من الهجرة . (١)

(١) انظر التفسير والمفسرون للذهبي ص " ٢٥٠ "

المبحث الثالث :

الكتب التي ألفت فيه وبيان قيمتها العلمية

يمكننا حصر الكتب التي صنف في أسباب النزول في ثلاث مجموعات

كما يلي : (١)

أ / الكتب المطبوعة : وهي ثلاثة :-

١- أسباب نزول القرآن : للواحدى (٤٦٨) هـ

٢- لباب النقول في أسباب النزول : للسيوطى : (٩١١) هـ

٣- الصحيح المسند من أسباب النزول : للوادعى أمد الله في عمره

ب / الكتب المخطوطة الموجودة بالفعل وحصلتنا منها لا تتجاوز

مخطوطتين اثنتين وهما :-

١- أسباب النزول والقصص القرآنية : للمراقى (٥٦٧) هـ

٢- أسباب النزول : للجمبرى (٧٣٢) هـ

ج / الكتب المخطوطة التي ورد ذكرها في كتب التراجم والمصادر

الآخري . وهي أربعة :-

١- كتاب شيخ المحدثين ابن المدينى (٢٣٤) هـ . ولم نقف - بعد -

على عنوانه

٢- " القصص والاسباب التي نزل من اجلها القرآن " لابي المطرف

الاندلسى (٤٠٢) هـ

٣- " أسباب نزول القرآن " لابن الجوزى (٥٩٧) هـ

٤- " الحجاب في بيان الأسباب " لابن حجر العسقلانى (٨٥٢) هـ (١)

(١) انظر مقدمة الاستاذ السيد احمد صقر لتحقيقه كتاب أسباب نزول القرآن للواحدى ص " ٢٣ "

ترجمته
الى
الاسلام
المسلم
في
القرن
السادس
هـ

القيمة العلمية لهذه المصنفات

بد هي أن المجموعة الثالثة - المشتمة على كتب ابن المدينى وابى
المعروف وابن الجوزى وابن حجر - لا سبيل الى الحكم عليها لعدم
الوقوف على نصوصها .

وأما كتاب الجعبرى فهو لا يعد وأن يكون نسخة من كتاب
الواحدى . سوى أنه جرّده من الأسانيد ، مما هبط به كثيرا عن اصله
وأما كتاب " الصحيح المسند من أسباب النزول " فعلى الرغم من
قلة ما جاء فيه من الأسباب ، إلا أن قيمته العلمية تبرز من خلال
الروايات الصحيحة المسندة التى اشتمل عليها ، لأنها محققة
تحقيقا جيدا ، ومخرجة تخريجا دقيقا .

وأما كتاب الواحدى وكتاب السيوطى وكتاب الحكيمى فننخصصها
بالذكر على النحو التالى : -

ونبدأ بكتاب الواحدى أولا ، ونتبعه بكتاب السيوطى ، وذلك نظرا
للحلاقة الوثيقة بين هذين السفرين القيمين ، ثم نعرض بعد ذلك
لكتاب الحكيمى . وكان الترتيب الزمنى يقتضى ان يكون " لباب النقول "
هو آخر الثلاثة عرضا ، غير ان علاقته الوثيقة بكتاب الواحدى
جعلته يتجاوز الترتيب الزمنى ، ولهذا لزم التنويه .

وفيما يلى نقدم عرضا لاسفار الثلاثة فنقول وبالله التوفيق :

الكتاب الاول : " اسباب النزول " للواحدى

=====

هذا الكتاب يعد من اشهر ما صنف فى اسباب النزول : قال

الامام الزركشى (١) فى معرض حديثه عن معرفة اسباب النزول :

(وقد اعتنى بذلك المفسرون فى كتبهم ، وافردوا فيه تصانيف ،

منهم على بن المدينى شيخ البخارى ، ومن اشهرها تصنيفه .

الواحدى) (٢) وقال الامام السيوطى : (اشهر كتاب فى

هذا الفن كتاب الواحدى) (٣)

طبائعه :

حظى كتاب اسباب النزول للامام الواحدى بعناية كبيرة من

دور النشر ، وظهر فى طبعا عدة نجلها فيما يلى :

١ - طبع بمصر سنة (١٣١٥) هـ وبهامشه كتاب (النسخ والمنسوخ)

لابى القاسم بن حبة الله بن سلامة البغدادى المتوفى سنة (٤١٠) هـ .

٢ - طبع منفردا بمصر بشركة مكتبة مصطفى الباي الحلبي سنة

١٤٧٩^٣ هـ (١٩٥٩ م)

(١) هو الامام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى
احد المعلمين الاثبات فى الفقه والحديث واصول الدين . ولد
بالقاهرة سنة خمس واربعين وسبعمائة وتفق على مذهب الشافعى
وتسلم فى مصر على الشيخ جمال الدين الاسنوى والشيخ
سراج الدين الهلبي والعلامة مفلطاي . وعلى الحافظ
ابن كثير بدمشق . وتوفى بمصر سنة اربع وتسعين وسبعمائة
(انظر : حسن المحاضرة ١ / ١٨٥ - والدرر الكامنة ٣ / ٣٩٧)

(٢) البرهان فى علوم القرآن ١ / ٢٢

(٣) لباب النقول ص (٧)

٣- اعادت طبعه منفردا شركة مكتبة مصطفى البابين الحلبي بمصر سنة
(١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م)

٤- طبع بدار الكتاب الجديد بالقاهرة بتحقيق الأستاذ / أحمد صقنر
سنة (١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م) ()

٥- أعيد طبعه بدار الكتب العلمية في بيروت سنة (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م)

الاسباب الباعثة على تأليف الكتاب

بدأ المؤلف بالكلام على فائدة السبب ، بعد ان اشار الى علوم
القرآن ووصفها بأنها (فزيرة ، وأن ضرورتها جمعة كثيرة ، يقصر عنها
القول وان كان بالغا ، ويتقلص عنها ذيله وان كان سابغا) (١)
وأوضح - رحمه الله - البواعث التي دعت الى تأليف كتابه في زمن -
كثر فيه الخوض في كتاب الله على غير علم ، واتسم أهله بالجهالة
واختراع الاشياء واختلاق الكذب والافتك . ونبه الى اتباع المنهج
السليم في دراسة كتاب الله مشيرا الى أن أول ما يجب على السدارس
للقرآن هو معرفة أسباب النزول التي لا يمكن معرفة تفسير الآية الا
بالوقوف عليها . كما نبه على وجوب الرواية والسماع ممن شاهد والتنزيل
ووقفوا على اسباب نزول القرآن الكريم من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

(١) اسباب النزول للواحدى ص (٤)

ولبيان هذه المعاني يقول الواحدى رحمه الله : (غير ان الرفاهات
اليوم عن علوم القرآن صادقة كاذبة فيها ، قد عجزت قوى الملام عن
تلافيها ، قال الامر بنا الى إفادة المبتدئين المتسترين بعلوم
الكتاب إبانة ما انزل فيه من الاسباب ، اذ هي اوفى ما يجب الوقوف
عليها واولى ما تصرف العناية اليها ، لا متناع مصرفة تفسير الآيسة
وقصد سبيلها ، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها . ولا يحل
القول فى اسباب نزول الكتاب ، الا بالرواية والسمع من شاهدوا
التنزيل ووقفوا على الاسباب ، وبحثوا عن علمها وجدوا فى الطلاب
(. . .) وأما اليوم فكل أحد ينتزع شيئا ويخلق افكا وكذبا ،
ملقيا زمامه الى الجهالة ، فيرفكر فى الوعيد للجاهل بسبب الآية .
وذلك الذى حدا به الى املاء هذا الكتاب الجامع لاسباب
لينتهى اليه طالبوا هذا الشأن ، والمتكلمون فى نزول القرآن ، فيصرفوا
الصدق ويستفنون عن التمويه والكذب ، ويجدوا فى تحفظه بعض
السمع والدليل) (١)

المآخذ التى وردت على كتاب الواحدى

لحل ما يساعد على معرفة القيمة العلمية لهذا المصنف : اولا :
الوقوف على ما ورد عليه من مآخذ ونقد فى منهجه ، وثانيا : ما أراه
اساسا للتقويم .

وفيما يلى عرض لاقوال النقاد ، واخص منهم بالذكر من القدامى
الامام السيوطى ، ومن المحدثين الدكتور صبحى الصالح .

(١) اسباب النزول للواحدى [٢٠١]

أولاً : ما أورده الإمام السيوطي

أجرى السيوطي مقارنة بين كتابه وكتاب الواحدى ضمنها : بعض
الماخذ ، فقال ما نصه : (أشهر كتاب فى هذا الفن الآن كتاب
الواحدى . وكتابى هذا يتميز عليه بأمور :
أحدها : الاختصار

✓ ثانيها : الجمع الكثير . فقد حوى زيات كثيرة على ما ذكر الواحدى
✓ ثالثها : عزوه كل حديث الى مخرج من اصحاب الكتب المستترة
كالكتب الستة ، والمستدرک ، وصحيح ابن حبان ، وسنن البيهقى
والدارقطنى ، ومسانيد احمد والجزار وابى يعلى ، ومعجم الطبرانى
وتفاسير ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، وأبى الشيخ ،
وابن حبان ، والفريابى ، وعبد الرزاق ، وابن المنذر ، وغيرهم .
وأما الواحدى فتارة يورد الحديث باسناده ، وفيه - مع التطويل -
عدم العلم بمخرج الحديث . فلا شك ان عزوه الى احد الكتب المذكورة
أولسى من عزوه الى تخريج الواحدى ، لشهرتها واعتمادها ،
وركون الانفس اليها . وتارة يورده مقطوعا (١) فلا يدري هل
اسناد أو لا .

✓ رابعها : تمييز الصحيح من غيره ، والمقبول من المردود

✓ خامسها : الجمع بين الروايات المتحددة

✓ سادسها تنقية ما ليس من اسباب النزول (٢)

(١) المقطوع هو الموقوف على التابعى قولاً وفعلًا . انظر (الباعث
الحديث) لابن كثير ص ٤٦

(٢) لباب النقول ص (١٩٦)

هذا ما أورده الامام السيوطي مما أخذ . . ولا مناص من الرجوع الى الكتابين ، لتحقيق اولا من اشتغال كتاب الامام الواحدى على هذه المثالب ، ولنتبين ثانيا مدى التزام السيوطي بهذا المنهج الذى اختطه لنفسه .

ونبدأ بالامر الاول : وهو الاختصار عند السيوطي الذى يفهم

منه التطويل المعيب عند الواحدى .

وبالرجوع الى كتابيهما تبين ان الواحدى يعرض على ذكر الاسناد

فى رواياته كلها ، على حين يحذفه السيوطي من جميع رواياته .

وهذان الامران مطردان فى كل الروايات التى اخرجها .

ونذكر - على سبيل المثال - ما أورده فى سبب نزول قوله تعالى

(فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ) (١) على النحو التالى

أ / قال الواحدى (اخبرنا ابو نصر احمد بن عبيد الله

المخلدى قال : اخبرنا ابو الحسن السراج قال : اخبرنا محمد بن

يحيى بن سليمان المرؤزى قال : حدثنا عاصم بن على قال : حدثنا

شعبة قال : اخبرنى عبد الرحمن الاصفهاني قال : سمعت عبد الله

ابن محقل قال : وقفت الى كعب بن عجرة فى هذا المسجد مسجد

الكوفة ، فسألت عن هذه الآية : " فَعِدَّةٌ مِّنْ صِّيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ " .

قال : حملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على

وجهى فقال : ما كنت ارى ان الجهد بلغ منك هذا . ما تجد شاة ؟

قلت لا . فنزلت هذه الآية : فَعِدَّةٌ مِّنْ صِّيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ .

قال : صم ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام . فنزلت في خاصة ، ولكم عامة . رواه البخاري عن أحمد بن أبي أياس وأبي الوليد . ورواه مسلم عن بندار ، عن فند ر كلهم من شعبة (أ هـ (١)

وقال السيوطي في سبب نزول الآية نفسها ما نصه : (روى البخاري عن كعب بن عجرة أنه سئل من قوله : " فَفِدْيَةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ " قال : حملت الى النبي صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي ، فقال : ما كنت اري ان الجهد بلغ بك هذا . اما تجد شاة ؟ قلت : لا . قال : صم ثلاثة ايام ، او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام ، واحلق رأسك . فنزلت في خاصة وهي لكم عامة (أ هـ (٢)

قلت : والنظر الصحيح فيما كتبه العالمان الجليلان أنه لا فني لأحدهما من الآخر ، وأن العمل الذي قام به السيوطي متم لما عمله الواحد . فذكر الاسناد الذي قام به الواحد ضروري لا فني عنه للباحثين عن معرفة الروايات والوقوف عليها ، والا لم يبق للاسناد قيمة . وهل دخل الوضع الا بعد حذف الاسانيد واختصارها ؟ ثم أليس من طرق الترجيح بين الروايات المتعارضة الوقوف على اسرار الاسانيد ؟ بلى ، ان الاسانيد وذكرها من ضرورات البحث العلمي وهل اسباب النزول الا روايات منقولة .

(١) اسباب النزول للواحدى ص (٢١) وانظر صحيح مسلم ١١٨/٨
(٢) لباب النقول ص (٢٩) وانظر فتح الباري ١٨٦/٨

وقد اوضح ابن خلدون (٢) انه لا بد لصدق هذه الروايات من الوقوف على تحقق امكانها ووقوعها فقال رحمه الله : - (وصار التفسير على صنفين : تفسير نقلى مستند الى الآثار المنقولة عن السلف ، وهى مصرفة الناسخ والمنسوخ واسباب النزول ، ومقاصد الاى وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة والتابعين) ا هـ (١)

واذا كانت اسباب النزول روايات منقولة فان الطريق لمعرفتها ا ذكر الاسانيد . بيد انه قد فات الواحدى رحمه الله ان يبين مصدر هذه الروايات ، لان الوقوف على المصدر من اهم المهمات ، وقد قام بذلك السيوطى فاكمل عمل سابقه ، فجزاها الله عن الاسلام والمسلمين غير الجزاء .

الواحدى

واذا كان السيوطى تاب على/التطويل فى ذكر الاسانيد ، فانه يحاب عليه - على حد قوله - عدم ذكر الكتب والابواب والفصول عند عزوه الروايات الى مصادرها ، اذ لا يكفى الباحث ان يقول : هو فى البخارى مثلا .

والحق ان هذه الاعمال مترتبة ترتيبا منطقيا يقتضيه البحث الدقيق المفيد . فلا بد للتأكد من صحة الروايات من الوقوف اولا على الاسانيد وثانيا على الكتب ، وثالثا على الجزء والصفحة - لاسيما فى الابحاث المعاصرة - ورابعا تمحيص الرواية ووزنها بالميزان الصحيح للتأكد من سلامتها من كل ما هو قاذح .

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد الحضرمى الشبلى النيسابورى ، المورخ ، العالم الاجتماعى . ولد ونشأ بتونس ، وتولى القضاء بمصر . وكان فصيحاً عاقلاً طامحاً للمراتب العالية . ومن اشهر مولفاته كتاب (المبر) . توفى بالقاهرة سنة ثمان وثمانمائة من الهجرة . (انظر : الاطلام ١٠٦/٤)

وتأريخ العلامة ابن خلدون ١/١

(٢) تأريخ العلامة ابن خلدون ١/٢٨٦)

الامر الثاني :

واما الامر الثاني - وهو امتياز كتاب السيوطي بزيادات كثيرة على ما ذكره الواحدى - فهو امر ثابت محقق ، اورده السيوطي فى مواضع شتى مبثوثة فى ثنايا كتابه . ومن امثله ما يلى :-

أ/ قوله تعالى : " قُلْ هُوَ الْقَادِرُ " ... الايات اخرج ابن ابى حاتم من زيد بن اسلم قال : لما نزلت : قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ مِمَّنْ فَوْقَكُمْ الآية (١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف قالوا : ونحن بشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ؟ فقال بعض الناس : لا يكون هذا ابدا ان يقتل بعضنا بعضا ونحن مسلمون . فنزلت " أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرُكَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِكَايِلٍ لِّكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٍّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٢) (٣)

ب/ قوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ الآية (٤)

اخرج ابن ابى حاتم عن عبيد الله بن زحر عن بكر بن بكر عن ابن سودة قال : حمل رجل من الحد وعلى المسلمين فقتل رجلا ثم حمل فقتل آخر ، ثم حمل فقتل آخر ، ثم قال : اينفعنى الاسلام بعد هذا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، فضرب فرسه فدخل فيهم ، ثم حمل على اصحابه فقتل رجلا ، ثم آخر ، ثم آخر ، ثم قتل . قال : فيرون ان هذه الآية نزلت فيه : الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ... الآية (٥)

- | | |
|---------------------------------|------------------------------|
| (١) سورة الانعام (٦٥) | (٢) سورة الانعام ٦٦ ، ٦٧) |
| (٣) لباب النقول ص (١٠٠) | (٤) سورة الانعام (٨٢) |
| (٥) لباب النقول (١٠٠ ، ١٠١) | |

اقول : وبالسرجوع الى كتاب الواحدى تبين انه لم يتعرض لذكر سبب نزول هذه الآيات كما انه لم يذكر كثيرا مما انفرد السيوطى بذكره من اسباب النزول .

والذى اراه ان هذا ليس صيبا فى كتاب الواحدى . لانه ربما ترك هذه الروايات لعدم صحتها عنده .

والواحدى - رحمه الله - ليس بدعا فى هذا الامر . فان ائمة الحديث يكتفون بايراد ما صح عندهم من الروايات ويتركون ما سواه .
الامر الثالث :

واما الامر الثالث ففيه ثلاثة مأخذ :-

المأخذ الاول : ان الواحدى لا يعزوا الاحاديث الى مخرجيها من اصحاب الكتب المعتمدة .

والذى اراه ان السيوطى اصدر حكما عاما اطلقه على روايات الواحدى دون ان يستثنى منها ما عزاه المصنف الى المصادر المعتمدة كالصحيحين والمستدرک .

وفيما يلى امثلة لروايات الواحدى المعزوة الى مخرجيها :

أ/ روى الواحدى بسنده الى عائشة رضى الله عنها انها قالت : (انزلت هذه الآية (١) فى الانصار . كانوا يحجون لمناة ، وكانت مناة حَذَوْ قَدَحَ (٢) وكانوا يتخرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة ، فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فانزل الله تعالى هذه الآية) فقال

(١) هى قوله تعالى : إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ . الآية البقرة (١٥٨)
(٢) فى رواية البخارى " قَدِيدٌ " بالتصغير . وهى قرية كانت بين مكة والمدينة . انظر فتح البارى ٤٩٩/٣

الواحدى : رواه البخارى (١) عن عبد الله بن يوسف عن
مالك (٢)

ب/ وروى الحديث نفسه من طريق آخر بسنده الى عائشة
رضى الله عنها ثم عقب عليه بقوله : (رواه مسلم (٣) عن ابي بكر
بن ابي شيبة عن ابي اسامة عن هشام (٤)

ج/ وروى بسنده الى انس بن مالك قال : كنت ساقى القوم
- يوم حرمت التمر - فى بيت ابي طلحة ، وما شرابهم الا الفضيخ
والبسر والتمر (٥) واذا مناد ينادى : ان الخمر قد حرمت . قال
فارقته فى سلك المدينة ، فقال ابو طلحة : اخن فارقها . قال :
فارقته فقال بعضهم : قتل فلان **وقتل فلان** وهى فى بطونهم ، قال : فانزل
الله تعالى : " لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا
طَعِمُوا " الاية (٦) ثم عقب على الحديث قائلا " رواه مسلم (٧)

-
- (١) انظر صحيح البخارى ، كتاب التفسير
(٢) اسباب النزول للواحدى ص ٢٤
(٣) انظر صحيح مسلم ، كتاب الحج
(٤) اسباب النزول للواحدى ص (٢٤)
(٥) البسر - بضم الباء وسكون السين - هو التمر اذا تكون ولم
ينضج . والفضيخ - بفاء وضاد معجمتين - على وزن " عظيم "
هو البسر اذا شدخ ونبذ . (انظر فتح البارى ١٠ / ٣٨) .

(٦) سورة المائدة " ٩٣ "

(٧) انظر صحيح مسلم ، كتاب الاشربة

عن ابي الربيع . ورواه البخارى (١) من ابي نعمان ، كلاهما عن حماد " (٢)

د / وروى بسنده الى انس ايضا انه قال : قال ابو جهل (٣) اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم " فنزلت " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ " الآية (٤) قال الواحدى : رواه البخارى (٥) من احمد . بن النضر ، ورواه مسلم (٦) عن عبد الله بن معاذ . أ هـ (٧) ثم ان الواحدى يعزو كثيرا من رواياته الى الحاكم ابي عبد الله النيسابورى (٨)

(١) انظر صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة المائدة
(٢) اسباب النزول للواحدى ص " ١٢٠ " .
(٣) قال الحافظ ابن حجر : " قوله : قال ابو جهل : اللهم ان كان هذا ... الخ ظاهر فى انه القائل ذلك ، وان كان هذا القول نسب الى جماعة ، فلهذا بدأ به ورضى الباقون فنسب اليهم . وقد روى الطبرانى من طريق ابن عباس ان القائل ذلك هو النضر بن الحارث ، قال : فانزل الله تعالى " سأل سائل بعذاب واقع " وكذا قال مجاهد وعطاء السدى . ولا ينافى ذلك ما فى الصحيح لاحتمال ان يكونا قالا ، ولكن نسبته الى ابي جهل اولى (أ هـ انظر فتح البارى ٣٠٨ / ٨)

(٤) سورة الانفال " ٣٣ "
(٥) انظر صحيح البخارى : كتاب التفسير : سورة الانفال
(٦) انظر صحيح مسلم (١٣٩ / ١٧) كتاب صفة القيامة
(٧) اسباب النزول للواحدى ص (١٣٥)
(٨) هو الحاكم الحافظ الشهير امام المحدثين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن نعيم الضبي الطهماني النيسابورى صاحب التصانيف المشهورة + ولد بنيسابور وتقلد بها القضاء وكان اماما جليلا حافظا عارفا ثقة واسع العلم . توفى سنة خمس واربعمائة من الهجرة (انظر مقدمة مصرفة علوم الحديث للحاكم بتصحيح وتعليق الدكتور السيد معظم حسين ص " ج ")

ومن ذلك ما أورده في سبب نزول قوله تعالى " وَلَا تَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا " (١) وقوله : " أَلَمْ تَرَ إِلَى
الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا قَضَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ " (٢) وقوله " مَهَيَّنَّا وَلِيُّ " (٣) .
فقد ساق أحاديث في سبب نزول هذه الآيات من طريق ابن عباس
وحائشة رضى الله عنهم ، ثم عزاها الى الحاكم ابى عبد الله .

وبالرجوع الى المستدرك على الصحيحين للحاكم تبين انه
روى الاحاديث التي أوردها الواحدى بنصوصها ، ووصفها بانها
صحيحة على شرط الشيخين (٤)

وبهذا يتضح لنا ان مأخذ السيوطى هذا ليس على إطلاقه
بل لا بد فيه من استثناء الكتب التي اعتمد عليها الواحدى فسمى
كثير من رواياته . مع التسليم بان الواحدى احيانا لا ينسب الاحاديث
مع وجودها فى مصادرنا من الكتب المعتبرة .

المأخذ الثانى :

واما المأخذ الثانى - وهو إيراد الواحدى الحديث تارة بإسناده
وفيه مع التطويل عدم العلم بمن أخرجه - فانه يصدق على كتاب
الواحدى فى كثير من رواياته .

ومن ذلك على سبيل المثال - ما أخرجه فى سبب نزول قوله
تعالى " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ " . . . الآية (٥) حيث قال :

(١) سورة آل عمران " ١٦٩ "

(٢) سورة المجادلة " ١٤ "

(٣) سورة عبس " ١ "

(٤) انظر المستدرك على الصحيحين كتاب التفسير (٢ / ٢٩٧ ،

٤٨٢ ، ٥١٤)

(٥) سورة البقرة " ٩٧ "

(اخبرنا سعيد بن محمد بن احمد الزاهد ، قال : اخبرنا الحسن بن احمد الشيباني ، قال : اخبرنا المؤمل بن الحسن قال : حدثنا محمد بن اسماعيل بن سالم ، قال : اخبرنا ابو نصيم ، قال حدثنا عبد الله بن الوليد ، عن بكير ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : - اقبلت اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا ابا القاسم : نسألك من اشياء فان اجبتنا فيها اتبعناك : اخبرنا : من الذي يأتيك من الملائكة ؟ فانه ليس نبي الا يأتيه ملك من عند ربه عز وجل بالرسالة بالوحى ، فمن صاحبك ؟ قال : جبريل . قالوا : ذاك الذى ينزل بالحرب وبالقتال : ذاك عدونا . لو قلت ميكائيل الذى ينزل بالمطر والرحمة اتبعناك . فانزل الله تعالى : " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ " . الى قوله تعالى " فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٢) " قلت واذ قد تبين صحة ما اورده السيوطى على الواحدى من إغفاله ذكر منجى الحديث فانه يترتب على هذا منطقيا ان يكون السيوطى قد تفادى ما وقع فيه الواحدى . فلننتظر اذن ، ما قاله عند تعرضه لسبب نزول الآية نفسها :

قال ما نصه : (أخرج احمد والترمذى والنسائى من طريق

بكر بن شهاب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : اقبلت يهود الى رسول الله فقالوا : يا ابا القاسم انا نسألك عن خمسة اشياء فان أنبأتنا تبهن عرفنا أنك نبي . فذكر الحديث ،

وفيه انهم سألوه عما حرم اسرائيل على نفسه ، ومن علامة النبي ،
ومن الرعد وصوته ، وكيف تذكر المرأة وتؤنث ، ومن ياتيه بخسبر
السما ، الى ان قالوا : فاعبرنا من صاحبك ؟ قال : جبريل .
قالوا : جبريل ؟ ذاك ينزل بالحرب والقتال والعذاب مدونا ،
لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان خيرا .
فنزلت (١) ا هـ (٢)

قلت وبهذا يظهر ان الحديث الذي رواه الواحدى ولسم
يذكر له مصدرا هو الحديث نفسه الذي رواه السيوطى ونسبة الى
الامام احمد والترمذى والنسائى ، مع اختلاف بعض الالفاظ فسى
الروايتين .

والذى أراه ان السيوطى محق فيما ذهب اليه من وصف كتاب
الواحدى بالتقصير فى هذا الشأن . فیر ان الامر هنا يصدق
عليه ما قلناه من قبل بصدد الاختصار والتطويل . فلئن كان
الواحدى ^{يخفى} يذكر المصادر ، فإن السيوطى يحذف الاسانيد .
وخير ما يقال فى التوفيق بين المنهجين ان كليهما متم للآخر :
فالواحدى يكمل ما افقده السيوطى من ذكر الاسناد ، والسيوطى
يكمل ما اهمله الواحدى من نسبة الروايات الى مخرجيها من
اصحاب الكتب المعتمدة ، وفى كل خير .

المأخذ الثالث :

واما ^{المأخذ} ^{الثالث} - وهو ايراد الحديث مقلوبا ، فلا

يدرى هل له اسناد اول - فبالرجوع الى كتاب الواحدى تبين
ان هذا الامر متحقق فى مواضع كثيرة منه . ونكتفى من ذلك بمثالين

(١) أى آية البقرة " ٩٧ " واولها (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ . .)

(٢) لباب النقول ص " ١٣ "

فيما يلي :

المثال الاول :

قال الواحدى فى سبب نزول قوله تعالى : * مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ * (١) مانصه :- (قال الضحاك ومقاتل نزلت فى نصارى نجران حين عبدوا عيسى) أ هـ (٢)

المثال الثانى :

وقال عند قوله تعالى : * وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ * الآية (٣) (وقال عكرمة : ان المجوس من اهل فارس لما انزل الله تعالى تحريم الميتة ، كتبوا الى مشركى قريش - وكانوا اولياءهم فى الجاهلية ، وكانت بينهم مكاتبة - ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ، ثم يزعمون ان ما ذبحوا فهو حلال ، وما ذبح الله فهو حرام . فوقع فى انفس ناس من المسلمين - من ذلك شىء * ، فانزل الله تعالى هذه الآية) (٤)

قلت : والمعروف ان الضحاك (٥) وعكرمة كليهما من التابعين فاذا علمنا ان الحديث المقطوع هو الموقوف على التابعى قسولا وشعلا (٥) ثبت صحة ما ذهب اليه السيوطى من ان الواحدى

(١) سورة آل عمران " ٧٩ "

(٢) اسباب النزول للواحدى ص " ٦٤ "

(٣) سورة الانعام " ١٢١ "

(٤) اسباب النزول للواحدى ص " ١٢٨ "

(٥) هو الضحاك بن مزاحم الهلالى بالولاء ابو القاسم الخراسانى روى عن ابن عمر وابن عباس وابى هريرة وغيرهم من الصحابة وشقه ابن حنبل وابن معين ، وابوزرعة ، وكان مشهورا بالتفسير توفى سنة خمس ومائة من الهجرة * انظر تهذيب التهذيب ٤٥٣/٤ وكتاب الاسرائيليات للدكتور أبى شهبة ص (١٠١)

(٦) انظر : الباعث فى الحديث ص " ٤٦ "

تارة يورد الاتحاد بين المقطوعة . ولما كانت اسباب النزول تستعمل
في إسباحتها على الرواية الصحيحة ، كان الاولى ذكر الاسناد
متصلا .

وبهذا ينتهي الكلام على الامر الثالث مع ما عده الثلاثة .

الامر الرابع :

واما الامر الرابع - وهو امتياز كتاب السيوطي بتمييز الحديث
الصحيح من غيره ، والمقبول من المردود - فهو امر ثابت ايضا ،
ومن امثله ما يلي :-

قوله تعالى : (وَاذْكُرُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا) الآية (١)
أ/ قال الواحدى : (قال الكلبي عن ابي صالح عن ابي
عباس : نزلت هذه الآية في عبد الله بن ابي واصحابه) (٢) ثم
ذكر تمام الحديث ولم يعلق عليه بشئ* .

ب/ وقال السيوطي : (اخرج الواحدى والثعلبي ، عن
طريق محمد بن مروان السدي الصغير ، عن الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في عبد الله بن ابي واصحابه) (٣)
ثم أكمل الحديث وعلق عليه قائلا : (هذا الاسناد واه جدا .
فان السدي الصغير كذاب ، وكذا الكلبي ، وابو صالح ضعيف) (٤)
وبالرجوع الى كتب الجرح والتعديل تبين الاتي :-

أ/ جاء في كتاب المجروحين لابن ابي حاتم (٥) ما نصه :
(محمد بن مروان من اهل الكوفة ، يروي عن الكلبي وداود بن ابي

(١) سورة البقرة " ١٤)

(٢) اسباب النزول للواحدى " ١٢ "

(٣) لباب النقول " ١٠ "

(٤) المصدر نفسه

(٥) هو محمد بن حبان بن احمد بن حبان بن صاذ التميمي

سند . روى عنه العراقيون . كان ممن يروى الموضوعات عن الاثبات
لا يحل كتبه حديثه إلا على سبيل الاعتبار . ولا احتجاج به بحال
من الاحوال (١)

ب/ وجاء في تهذيب التهذيب بشأن السدي الصغير ايضا
ما نصه : (محمد بن مروان بن عبد الله بن اسماعيل بن عبد الرحمن
السدي الاصغر ، كوفى . . . قال عبد السلام بن حازم عن جرير
بن عبد الحميد : كذاب . وقال الدوري عن ابن معين : ليس بثقة .
وقال ابن نمير ليس بشئ* . وقال يعقوب بن سفيان : متحيف
فمرثقة . وقال صالح بن محمد : كان ضعيفا ، وكان يضع . وقال
ابو حاتم : ذاهب الحديث ، متروك الحديث ، لا يكتب حديثه)
أ هـ (٢)

ج/ جاء في تهذيب التهذيب ايضا بشأن الكلبي مانصه :-
(محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث بن عبد المزي
الكلبي - روى عن اخويه شعبان وسلمة وابي صالح باذام مولى أم

- البستي الشامي ابو حاتم صاحب الصحيح . كان حافظا ثبتا
اماما حجة في الحديث والفقه واللغة والكلام . توفي سنة اربع
وخمسين وثلاثمائة (انظر شذرات الذهب ١٦/٣ - وكتاب المجروحين
ص "ج")

(١) كتاب المجروحين من المحدثين " ٢٨١ / ٢ "

(٢) تهذيب التهذيب " ٤٣٦ / ٩ "

هاني* ، وحامر الشعبي وغيرهم . روى عنه ابنه هشام ، والسفيانان ،
وحمد بن سلمة ، وابن المبارك ، وابن جريج ، وابن اسحاق ،
وابو معاوية ، ومحمد بن مروان السدي الصغير ، وهشيم ، وابو حنيفة
ويزيد بن زريع وآخرون . . قال معتمر بن سليمان عن ابيه
كان بالكوفة كذابان احدهما الكلبى . وعنه قال : ليث . بسن
ابى سليم : كان بالكوفة كذابان احدهما الكلبى والاخر السدى (١)
د / وجاء فيه ايضا : (لِنْ اَبَا صَالِحٍ اِذَا رَوَى عَنْهُ الْكَلْبِيَّ
فليس بشئ*) (٢)

قلت : وهذه النقول تعزز ما ذهب اليه السيوطى بشأن هؤلاء
الرواة الذين اعتمد الواحدى على رواياتهم دون ان يبين منازلهم
بين الرواة .

الامر الخامس :

واما الامر الخامس - وهو الجمع بين الروايات المتعددة ،

والذى جعله السيوطى معيارا لكتابه على كتاب الواحدى - فتدل
عليه الروايات التي اوردها كلاهما فى سبب نزول قوله تعالى : "وَالَّذِينَ
يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ" (٣)

(١) تهذيب التهذيب " ١ / ١٧٨ "

(٢) المصدر نفسه " ١ / ٤١٧ "

(٣) سورة النور الايات " ٦ - ٩ "

حيث جاء في بعض تلك الروايات ان الآيات المذكورة نزلت في سعد
ابن عباد (٢) وفي بعضها نزلت في هلال بن امية (٢) وفي
بعضها الآخر انها نزلت في عويمر الحجلاني (٣) فيران الواحدى
اورد الروايات على اختلافها دون ان يوفق بينها (٤) على حين
اورد ما السيوطى ثم نقل رأى الحافظ ابن حجر فى التوفيق
بينها . (٥)

الامر السادس :

وأما الامر السادس - وهو تنحية ما ليس من اسباب النزول -
فهو اخر المآخذ التى اورد ما السيوطى على الواحدى ، وقد ذكر
مثالين على ذلك فى قوله الا ترى :-

(والذى يتحرر فى سبب النزول انه ما نزلت الآية ايام وقوعه
ليخرج ما ذكره الواحدى فى سورة الفيل من ان سببها قصص
قدوم الحمشة ، فان ذلك ليس من اسباب النزول فى شىء ، سهل

(١) هو سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن حرام بن خزيمه
ابن ثعلبة بن طريف بن الخزرج الانصارى سيد الخزرج وصاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم (انظر ترجمته فى الاصابة
٣٠/٢) .

(٢) هو هلال بن امية بن عامر بن قيس بن عبد الاظم بن مظهر
بن كعب بن واقف الانصارى الواقفى . شهد بدرًا ومسا
بعدها ، وكان احد الثلاثة الذين تيب عليهم (انظر الاصابة
٦٠٦/٣)

(٣) هو عويمر بن الحارث بن زيد بن جابر بن الجد بن العجلان
العجلاني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (انظر ترجمته
فى الاصابة ٤٥/٣)

(٤) انظر اسباب النزول للواحدى " ١٨٠ "

(٥) انظر لباب النقول " ١٢٢ "

هو من باب الاخبار عن الوقائع الماضية كذكر قصة قوم نوح وهاد وشمود
ومنا البيت ، ونحو ذلك . وكذلك ذكره في قوله " **وَاتَّخَذَ اللَّهُ**
إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا " (١) سبب اتخاذه خليلا ، فليس ذلك مسببا
اسباب نزول القرآن كما لا ينفى (٢) هـ (٢)

وبالرجوع الى كتاب الواحدى ثبت تعرضه لهذين الموضعين
وكان الصواب تركهما لعدم صلتها باسباب النزول .

فيرانه من الانصاف القول بان الواحدى لم ينص على أن قصة
اصحاب الفيل كانت سببا في نزول السورة ، كما لم ينسبها على
أن اتخاذه الله ابراهيم خليلا كان سببا في نزول الآية .

ولكى نزيد الامر اوضحا نورد نص ما قاله الواحدى ثم نذكر
ما نراه صوابا في توجيهه على النحو التالى :

أ / قال من سورة الفيل إنها : (نزلت فى قطعة اصحاب
الفيل ، وقصدتهم تخريب الكعبة ، وما فعل الله تعالى بهم من
املاكهم وصرفهم من البيت ، وهى مصروفة) هـ (٣)

والحق أنه من المستبعد جدا ان يكون الواحدى اراد بقوله
" نزلت فى قصة اصحاب الفيل " أن السورة نزلت بسبب هذه القصة
وذلك لانه يدرك البعد الزمنى الطويل بين مجئ الحبشة لهدم
الكعبة وبين نزول السورة - فضلا عن علمه بان عام الفيل هو العام
الذى ولد فيه النبی صلى الله عليه وسلم ، وان رسالته التى بدأت
بنزول القرآن لم تظهر الا بعد اربعين عاما من قدوم الحبشة

(١) سورة النساء " ١٢٦ "

(٢) لباب النقول " ٤ "

(٣) اسباب النزول للواحدى " ٢٥٩ "

وما دام هذا القصد بعيدا ، فما المراد - اذن - بقول

الواحدى : " نزلت فى قصة اصحاب الفيل " ؟

والذى اراه - فى الجواب على هذا السؤال - ان مراد الواحدى هو

ان السورة نزلت فى ذكر قصة اصحاب الفيل وبيان حالهم ومآلهم .

بدل على ذلك قوله بحد : " وقصد هم تخريب الكعبة وما فعل الله

تعالى بهم من اهلاكهم وصرفهم عن البيت الخ

ومعلوم ان قول الراوى . " نزلت هذه الآية فى كذا " ليس

- على اطلاقه - نصا فى السببية .

قال الامام ابن تيمية : (وقولهم " نزلت هذه الآية فى كذا ")

يراد به تارة انه سبب النزول ، ويراد به تارة ان هذا داخل فى

الآية وان لم يكن السبب ، كما تقول : ^{هو} ~~صَحِيحٌ~~ بهذه الآية كذا (١)

وهذا يرجح ان المراد من عبارة الواحدى ليس ^{هو} ~~النس~~ على

السببية ، وانما هو بيان ذكر قصة اصحاب الفيل .

ب/ وقال عند قوله تعالى : " وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا " (٢)

ما نصه :-

(اختلفوا فى سبب اتخاذ الله ابراهيم خليلا . فاخبرنا

ابو سعيد النضوى ، قال : اخبرنا ابو الحسن محمد بن الحسن

السراج ، قال : اخبرنا محمد بن عبد الله الحضرمي : قال :

حدثنا موسى بن ابراهيم المزوى ، قال : حدثنا ابن ربيعة ،

عن ابي قبيل ، عن عبد الله ، عن عمر قال : قال رسول الله صلى

البله عليه وسلم : يا جبريل ، لم اتخذ الله ابراهيم خليلا ؟

قال لا طعامه الطعام يا محمد (٣)

(١) مقدمة فى اصول التفسير " ٤٨ " (٢) النساء ١٢٥

(٣) اسباب النزول للواحدى " ١٠٤ "

اقول : هذا النص منسوب على بيان اختلاف العلماء في سبب
اتخاذ الله ابراهيم خليلا ، وليس فيه ذكر لسبب نزول الآية . وقد
ساق الواحدى جملة روايات ^{بحسب} ~~تتبع~~ هذه الرواية ، غير انها جميعا
تدور حول السؤال نفسه : لِمَ اتخذ الله ابراهيم خليلا ؟ هذا صرح
التسليم بانه ليس من المناسب ذكر الموضحين ضمن اسباب النزول .
وبعد مناقشة ما اورده السيوطى من مأخذ تنتقل الى مقاله
الدكتور صبحى الصالح لنقف على حقيقة .

ثانيا : ما أورده الدكتور صبحي الصالح :

ساق الدكتور صبحي الصالح مثالا على خطأ تأريخي نسبته
للإمام الواحدى فقال : (يقرأ الواحدى مثلا قوله تعالى " وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا
أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ
لَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١)) فلا يستنتج منه انه وعيد هام
مطلق للذين يستهينون بالمعابد ، ويحطلون الشعائر وينتهكون
الحرمات ، ويسخون فى خراب بيوت الله . بل يقع فى خطأ تأريخي
فاحش ، لو كان متعلقا بشخصه هو لهان امره ، ولكنه يحملـه
حملا على نص فى كتاب الله . وما كان له ولا لغيره ان يحملوا على
نص فى كتاب الله خطأ من أعطائهم . فمن عجب أن الواحدى
لم يتعرج هنا من ان يذكر رأى قتادة (٢) الذى قال ، ان الآية
نزلت فى بختنصر البابلى واصحابه ، فقد فزوا اليهود ، وخربوا
بيت المقدس ، واعانقهم على ذلك النصارى من الروم . فيذكر
اتحاد النصارى مع بختنصر على تخريب بيت المقدس ، مع ان حادثة
بختنصر هذا وقعت قبل ميلاد المسيح بست مائة وثلاثين سنة (٣)

(١) سورة البقرة " ١١٤ "

(٢) هو قتادة بن دعامة - بكسر الدال وتخفيف الحين - : مفسر
قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة ابو الخطاب السدوسي
البصري ، ولد اكمه ، وروى عن انس بن مالك ولم يسمع من
صحابي فيه . وكان من علماء الناحية بالقرآن والفقه ومن حفاظ
اهل زمانه . مات بواسط سنة سبع عشرة ومائة . (انظر

ترجمته فى تهذيب التهذيب ٨ / ٣٥١ - ٣٥٦)

(٣) مباحث فى علوم القرآن ص " ١٣٢)

وكما هو واضح فان المراد بهذا النص هو قول الواحدى فى
سبب نزول الاية المتقدمة من أنها (نزلت فى ططلوس الرومى
واصحابه من النصارى ، وذلك انهم فزوا بنى اسرائيل فقتلوا مقاتلتهم
وسبوا ذراريتهم ، وحرقوا التوراة ، وخربوا بيت المقدس وقذفوا
فيه الجيف . وهذا قول ابن عباس فى رواية الكلبي . وقال قتادة :
هو يختنصر واصف بحابه ، فزوا اليهود ، وخربوا بيت المقدس ،
واعانتهم على ذلك النصارى من اهل الروم . وقال ابن عباس فى
رواية مطا (١) نزلت فى مشركى اهل مكة ومنهم المسلمين من
ذكر الله تعالى فى المسجد الحرام) ا هـ (٢)

ويهود الدكتور صبحى الصالح فيلتبس العذر للواحدى
لسببين اثنين : اهدما جهله بحوادث التاريخ لكونه ليس مؤرخا
والسبب الآخر ايراده رأى قتادة مكتفيا بذكره دون ان يرجحه أو
يختاره .

ورغم هذا الاعتذار فان عبارات الدكتور صبحى جاءت مفعمة
بالقسوة الشديدة على الواحدى ، حتى جعلته مجتريا على كتاب
الله ، حاملا اخطائه الفاحشة حملا على القرآن الكريم ، ولم يشفع
لهذا العالم الجليل قوله فى مقدمة كتابه : (ولا يحل القول فى
اسباب نزول الكتاب ، الا بالرواية والسمع ممن شاهدوا التنزيل
ووقفوا على الاسباب ، ويبحثوا عن علمها وجدوا فى الطلاب ، وقد

(١) هو عطاء بن ابي رباح - واسمه اسلم - القرشى بالولاء المكي .
نشأ بمكة وكان مولى لبني فهر ، وهو ثقة فقيه عالم كثير السير
الحديث ، انتهت اليه فتوى اهل مكة . وكان من سادات
التابعين فقها وعلماء وورعا وفضلا . (انظر تهذيب التهذيب

(٢٠٢ - ٩٩ / ٧)

(٢) اسباب النزول للواحدى " ٢٠ "

ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذى العثار ، فى هذا العلم

بالنار . . . (١)

والحق ان الدكتور صبحى الصالح احسن صنعا بالتماسه
العذر للامام الواحدى للسببين المتقدمين ، ولا مكان حمل قوله
السابق - كما يقول الدكتور صبحى نفسه - (على أدريئال الرومانى
الذى سماه اليهود بختنصر الثانى وقد جاء بعد المسيح بمائة
وثلاثين سنة وبنى مدينة على اطلال أُورُشليم ، وزينها وجعل فيها
الحمامات ، وبنى هيكلًا للمشتري على اطلال هيكل سليمان ،
وحرم على اليهود دخول المدينة ، وجعل جزاء من يدخلها
القتل) أهـ (٢)

وخلاصة القول ان هذا المأخذ لا يخض من القيمة العلمية
لكتاب الواحدى ، ولا سيما اذا كان الامر متعلقا بتحديد اسم
" بختنصر " المذكور فى الرواية ، وهل هو طيطوس ^(٣) / او أدريئال ؟
وما دام الاحتمال واردا على كونه " بختنصر الثانى " الذى
لا يتعارض مع رواية الواحدى فان التماس العذر لهذا العالم
الفاضل وتوجيه قوله الوجهة الحسنة خير من اشتداد الحملة
عليه ووصفه بالجرأة على القرآن الكريم الى درجة تجعله يحصل
اخطاءه ~~كقوله~~ على كتاب الله .

على ان القضية من اساسها لا تصلح ان تكون سببا للنزول .
وقد اتفق علماء القرآن على ان الاحداث والوقائع التاريخية التى
دضت وانقضت لا تصلح ان تكون اسبابا للنزول ، كما قالوا فى

(١) المصدر السابق ص ٤ (أسباب النزول للواحدى)

(٢) مباحث فى علوم القرآن ص ١٣٨

(٣) كما أُورِدَ د / صبحى

قصة اصحاب الفيل التي نزلت الآية بعدها بقراءة نصف قرن .
 وانما الارجح ان تكون آية البقرة هذه نزلت في مشركي مكة
 الذين منعوا المسلمين من العبادة في المسجد الحرام . ومن
 المعلوم ان الحبرة بصوم اللفظ ، فالآية شاملة لكل من منع او يمنع
 مساجد الله ان يذكر فيها اسمه .
لَمْ يَغْفِلْ
 واذا تأملنا فيما قاله الواحدى وجدنا انه انهم يغفل ذكر السبب
 الحقيقى لنزول الآية ، والذي رجحناه من أنها نزلت في مشركي
 مكة .

على ان قول الواحدى "نزلت" ليس نصا منه على سبب النزول
 وانما هو تفسير . فقد قال علماء القرآن : قول الراوى نزلت الآية
 في كذا ليس نصا منه على سبب النزول ، بل هولون من حمل
 الآية وتفسيرها .

والدكتور صبحى لم يتنبه لذلك ، بدليل انه فهم منها النص
 على سبب النزول . واعتراضه على ما رجحناه من نزولها في مشركي
 المشركين اعتراض غير وارد . فهو يبنى ذلك الاعتراض مستندا
 على قول الله تعالى " وسعى في خرابها " وينفى امكان نزول
 الآية في المشركين من قريش لانهم لم يسعوا في خراب المسجد .
 وهذه حجة لا تقوم أبداً ، لأن الخراب ليس مقصوراً على
 هدم الأبنية فحسب ، بل كل من سعى للحيلولة بين المؤمنين
 ومساجد هم فهو مخرب لها ، وهذا هو ديدن المشركين كما لا
 يخفى .

وما دمنّا نأمل من أسلافنا ان يستمسكوا بأدب الحديث ،
فيجد ربنا نحن انفسنا ان نلتزم بهذا المبدأ السامي فنحفظ
لهم حقهم علينا فيما اكتسبنا من معارف ما كنا لنحظى بها لولا
ان من الله علينا بمصنفاتهم .

وحرّى بنا ان نكفّ فوائدها عنهم ، ونعفّ ألسنتنا وأقلامنا عن
تجريحهم والإساءة اليهم ، ونضع الى الله ان يتقبل عنهم
احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم انه على ما يشاء قدير .

الكتاب الثاني :

" لباب النقول في اسباب النزول "

للسيوطي

هذا الكتاب من تصنيف الامام جلال الدين السيوطي وهو من الكتب المشهورة في علم اسباب النزول . وقد طبع عدة طبعات نجملها فيما يلي :

١- طبع في مصر ببولاق سنة ثمانين ومائتين وألف من الهجرة بهامش تفسير الجلالين .

٢- طبع منفرداً في مصر بعنوان " اسباب النزول " سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة والف من الهجرة بمطابع شركة الاعلانات الشرقية في سلسلة " كتاب التحرير " .

٣- طبع مرتين بمكتبة الرياض ، ا لحدیثة وكانت أخراهما بلا تاريخ ، ولم أقف على الاولى .

٤- طبع مرتين في بيروت " دار احيا العلوم " وكانت أخراهما سنة تسع وسبعين وتسعمائة والف من الميلاد ، ولم أقف على الاولى أيضا .

ويستطيع القارئ لهذا الكتاب ان يتبين الملامح العامة لمنهج المؤلف من خلال حديثه في المقدمة .

فقد بدأ السيوطي بالكلام على فوائد معرفة اسباب النزول ، وردّ قول من زعم ان لا فائدة لها لجريانها مجرى التأريخ ، مدّعياً رأيه بأقوال العلماء كقول الواحدی : (لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها) (١) ،

وقول ابن دقيق العيد (١) : " بيان سبب النزول طريق قوى
 فى فهم معانى القرآن " ^(٢) وقول ابن تيمية : (معرفة سبب النزول
 تحين على فهم الآية ، فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب) (٣)
 ثم ا حال القارىء على كتابه " الاتقان فى علوم القرآن " للتعرف
 على فوائد آخر من مباحث وتعليقات لا يحتفلها كتابه هذا .
 واكد السيوطى فى مقدمته ، على وجوب التقيد بالرواية
 والسمع عند الكلام على اسباب النزول ، واستشهد على ذلك
 بقول الواحدى : (ولا يحل القول فى اسباب نزول الكتاب ،
 الا بالرواية والسمع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الاسباب) (٤)

(١) هو محمد بن على بن وهب بن مطيع ابو الفتح تقى الدين
 القشيرى المعروف كآبيه وجده بابن دقيق العيد . وهو
 قاضى مجتهد من اكابر العلماء بالاصول . ولد بينبع على
 على ساحل البحر الاحمر سنة خمس وعشرين وستمائة ، ونشأ
 بمصر ، وتعلم بمشقى والاسكندرية ثم القاهرة وولى القضاء
 بمصر توفي بالقاهرة سنة اثنتين وسبعمائة (الاعلام ١٧٣/٧)
 (٢) انظر الاتقان ٢٩١
 (٣) مقدمة فى اصول التفسير ص ٤٧
 (٤) اسباب النزول للواحدى ص ٤

ثم تعرض لآراء العلماء في تصحيح الصحابي عن سبب النزول فنقل رأى الحاكم ابي عبد الله ، وابن الصلاح (١) وخلاستهما ان الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل اذا اخبر عن آية من القرآن انها نزلت في كذا فانه حديث مسند . كما اورد رأى ابن تيمية القائل فيه (قولهم نزلت الآية في كذا يراد به تارة انه سبب النزول ، ويراد به تارة ان ذلك داخل في الآية وان لم يكن السبب) (٢) وذكر ايضا تنازع العلماء في قول الصحابي " نزلت هذه الآية في كذا " هل يجرى مجرى المسند كما لو ذكر السبب/انزلت لاجله ، او يجرى مجرى التفسير الذي ليس بمسند ؟ ثم اوضح ان الامام البخارى يدخله في المسند ، وغيره لا يدخله فيه . و اشار الى قول الزركشى فيما عرف من عادة الصحابة والتابعين من ان احدهم اذا قال : نزلت هذه الآية في كذا فانه يريد بذلك انها تتضمن هذا الحكم لا ان هذا كان السبب في نزولها ، فهو من جنس الاستدلال بالحكم على الآية ، لا من جنس النقل لما وقع (٣)

(١) هو عثمان بن عبد الرحمن صلاح الدين بن موسى الشهرزورى الكردى الشرخانى ابو عمرو احد الفضلاء المقدمين فى التفسير والحديث والفقه واسماء الرجال . ولد فى شرعان وانتقل الى الموصل ثم الى خراسان فبيت المقدس حيث تولى التدريس وانتقل الى دمشق وولى التدريس بدار الحديث الى ان توفى بها سنة ثلاث واربعمين وستمائة من الهجرة (انظر الاعلام للزركشى ٣٦٩/٤)

(٢) مقدمة فى اصول التفسير ص ٤٨

(٣) انظر البرهان ٣١/١

وذكر السيوطي في ذيل مقدمته تنبيهات ثلاثة اوضح فيها جوانب
من منهجه في البحث :

أ- ففي التنبيه الاول تعرض لقول التابعي في اسباب النزول
وبين انه حديث مرسل ، يقبل اذا توفرت فيه ثلاثة شروط ، وهي
صحة السند ، وكون التابعي من ائمة التفسير الآخذين عن
الصحابة ، وكون الحديث معتزدا بمرسل آخر .

قال رحمه الله : (ما جعلناه من قبيل المسند من الصحابي
اذا وقع من تابعي فهو مرفوع ايضا ، لكنه مرسل ، فقد يقبل
اذا صح السند اليه ، وكان من ائمة التفسير الآخذين عن
الصحابة - كجهاد وعكرمة وسعيد بن جبير - واعتضد بمرسل آخر
ونحو ذلك) (١)

ب- وفي التنبيه الثاني ذكر تعدد الاسباب في نزول الآية
الواحدة ، ووضح ان طريق الاعتماد في ذلك النظر الى
الصبغة الواقعة :-

* فان عبر احد هم بقوله " نزلت في كذا " وذكر الآخر بنفس
الصبغة ثم اضاف عليها امرا اخر ، فان العبارة بهذا التفسير
لا ذكر السبب . ولا منافقين قولهما اذا كان اللفظ يتناولهما .
* وان عبر احد هم بقوله " نزلت في كذا " وصرح الاخر بذكر
سبب خلافه فهو المعتمد .

* **وَأَنَّ ذَكَرَ وَاحِدَ سَبَبٍ وَذَكَرَ الْآخَرَ سَبَبًا فَيَرَهُ ، فَقَدْ تَكُونُ**
الْآيَةُ نَزَلَتْ عَقِيبَ تِلْكَ الْاَسْبَابِ ، وَقَدْ تَكُونُ نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ .
ثم اوضح ان مما يعتمد في الترجيح النظر الى الاسناد ،
وكون راوى احد السببين . حاضرا القصة .
ج- واما التنبيه الثالث فقد جعله السيوطي في المقارنة بين
كتابه وكتابه الولحدى ، واورد امورا ستة استدل بها على تميز
كتابه .

والحق ان هذه الامور الستة هي الدعام التي بنى عليها
السيوطي كتابه وهي في جملتها تكشف من محتوى الكتاب وتبرز
قيمه العلمية . ولا نود هنا ان يطول الوقوف عندها ، فقد
ناقشناها نقاشا مستفيضا عند الكلام على المآخذ التي وردت على
كتاب الواحدى (١) واثبتنا ما ظهر لنا من وجه الصواب فيما
اورده الصالحان الجليلان .

واخيرا يبقى سؤال مهم ألا . وهو : ما هي القيمة العلمية
لهذين السفرين بعد عرضهما على النحو المتقدم ؟
وللاجابة على هذا السؤال أقول : إن ما تقدم من عرض لهذين
الكتابين يدل بلا ادنى ريب على انه لا فنى لدارس القرآن الكريم
عنهما بحال من الاحوال . وان ما ورد فيهما من بيان اسباب

(١) انظر ص (٢٠ وما بعدها) من هذه الرسالة

النزول لهو زاد مفيد المفسرين ، وهو خير معين على الوصول
الى التمام الصائب لكتاب الله الكريم .

هذا فضلا عن ان الكتابين كلاهما متم للاخر . فحيث يكون
الواحدى مهتما بذكر الاسناد ، يكون السيوطى معنيا بذكر
مصادر الروايات من كتب السنة المعتمدة .

وحبذا لو حقق هذا الكتابان تحقيقا علميا ^{جيدا} تخرج فيه الاحاديث
التي رواها الواحدى ، وتغطى روايات السيوطى نهاية اكثر
تشمل ذكر مواضعها فى المصادر التى احال عليها المصنف
رحمه الله .

الكتاب الثالث :

" اسباب الخزل والقصص الغرائبية "

لمحمد بن اسعد العراقي الحكيم

هذا الكتاب ما يزال مخطوطا . وقد ورد ذكره في كل مسند
" كشف الظنون " (١) وهدية العارفين " (٢) و " معجم
المؤلفين " (٣) و " تاريخ الادب العربي " (٤)
وتوجد منه نسختان بمكتبة مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى
بمكة المكرمة .

اما النسخة الاولى فهي نسخة " ميكروفيلمية " مصورة عن النسخة
المخطوطة بمكتبة جستر بيتي ، تحت رقم " ٥١٩٩ " وهي منسوخة
بخط واضح ، وتحتوي على ثنتين وثلاثمائة ورقة ، واسطرها
تسعة عشر سطرا في كل صفحة .

واما النسخة الاخرى فهي ايضا " ميكروفيلمية " وهي مصورة
عن النسخة المخطوطة بالمكتبة الازهرية تحت رقم " ٣٢٩ " ومنسوخة
بخط واضح ، واوراقها ثمان وستون وثلاثمائة واسطرها
عشرون .

والملاحظ على هذه النسخة الازهرية انها منسوبة - خطأ -
لعبد الجليل النقشبندی . والظاهر انه كان يمتلكها ثم
اهداه الى مكتبة الازهر ، ولعل هذه الملاحظة كانت السبب

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة " ٧٦ / ١ "

(٢) هدية العارفين للبغدادي " ٩٧ "

(٣) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥٠ / ٩

(٤) تاريخ الادب العربي لكارل بوركلمان " ٤١٥ / ١ "

في نسبتها له عن طريق الخطأ -

هذا وقد ذكر بروكلمان نسخة الثالثة مخطوطة لهذا المصنف

في مكتبة برلين (١)

ومع ان الواحدى كان متقدما في الزمن على الحراقي بزهاء

قرن من الزمان (٢) الا ان اللاحق لم يتأثر بسابقه في منهج

التصنيف .

فالحراقي . - رحمه الله - لم يشر الى منهج محدد يلتزمه

في تأليف مصنفه ، وهو ايضا لم يهتمد لبحثه بمقدمة يتحدث

فيها عن شيء من علوم القرآن كما فعل الواحدى من قبل والسيوطى

من بعد . . ولكنه اكتفى بحمد الله والصلاة على النبى

صلى الله عليه وسلم بقوله : (ويحد ، فان بعض الاخوان

سألنى ذكر مجرور قصص الانبياء واسباب النزول فأجبتة الى ملخصه

وبالله المستعان وعليه التكلان) (٣)

وجلى من هذه العبارة ، ومن عنوان الكتاب ، ان المؤلف

التزم بيان امرين : احدهما ذكر اسباب النزول ، والاخر ذكر

قصص الانبياء .

ولنا ان نتساءل : هل التزم المؤلف بذكر هذين الامرين

او انه زاد عليهما شيئا آخر ؟

وبالرجوع الى المخطوطة تبين ان المصنف لم يقتصر على ذكر

اسباب النزول وقصص الانبياء فحسب ، بل انه اضاف الى ذلك

(١) تاريخ الادب العربى " ٤١٥ / ١ "

(٢) كانت وفاة الواحدى سنة " ٤٦٨ " هـ . وفاته الحراقي سنة

" ٥٦٧ " هـ

(٣) اسباب النزول والقصص الفرقانية (ورقة رقم ٢)

تفسير الآيات التي تعرض لذكر أسباب نزولها . وهذه الظاهرة
تبرز من حين إلى آخر في ثنايا الكتاب بصورة متكررة .
والآيات التي أوردها المصنف - سوى قصص الأنبياء - ثلاثة
أقسام :-

- أ / قسم اقتصر في ذكره على بيان سبب النزول دون تفسير الآيات
ب / وقسم فسره دون ذكر سبب النزول .
ج / وقسم ذكر أسباب نزوله مع تفسير الآيات .
وفيما يلي نسوق أمثلة للأقسام الثلاثة مكثفين من كل قسم
بثلاثة أمثلة :-

أ- فمما جاء في القسم الأول :-

١- قوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ
لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ " (١) :-

(نزلت في رؤساء اليهود : كحب بن الأشرف ومالك بن الصيف
وحبي بن أخطب ، وحدي بن أخطب ، وأبو ياسر (٢) . بسن
أخطب ، وزيد بن التابوه ، وشعبة وابي لبابة ابنى عمرو
جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ، سمعنا
أنه نزل عليك " ألم " ، وهذا يدل على أن منتهى بقاء دينك
أحدى وسبعون سنة . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه
ومن أين لك هذا ؟ قال حبي :- لأن الألف واحد ، والسلام

(١) سورة البقرة " ٦ "

(٢) هكذا ورد في المخطوطة . والصواب : (وابي ياسر)

ثلاثون ، والميم اربعون . فطى عليهم " المص " . الامر فقالوا
هذا أكثر من الاول ، خلطت علينا ، لا ندري أي القليل نأخذ ام
بالكثير ؟ والله ما نؤمن بك ولا نتبعك ، وانصرفوا عنه . فنزل

قوله تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ... الآية** (١)

٢- قوله تعالى : **" وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**

أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ " . . . (٢) (نزلت فسي

مسيلة الكذاب حين زعم أن الله تعالى اوحى اليه ، وكان نقذ

الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولين فقالا : اشهد يا محمد

أن مسيلة نبي : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لولا ان

الرسول لا تقتل لضربت أعناقكما (٣)

٤- قوله تعالى : **" وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ**

نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِثًى كَبِيرًا " (٤)

(نزلت في كفار قريش والحرب ، كانوا يدفنون البنات أحياء

كانوا يحزنون كلابهم ويقتلون اولادهم خوف الفقر) (٥)

قلت : ومع ان قوله " نزلت " ليس نصا في ذكر سبب النزول ،

وانما هو اقرب الى التفسير ، فقد جعلته من القسم الاول المختصر

فيه على سبب النزول تمييزا له عن القسم الثاني الذي سيصرح فيه

بالتفسير .

(١) اسباب النزول للحراقي ، ورقة رقم " ٢ "

(٢) سورة الانعام " ٩٣ "

(٣) اسباب النزول للحراقي ، ورقة رقم " ٣ "

(٤) سورة الاسراء " ٣١ "

(٥) اسباب النزول للحراقي ، ورقة رقم " ٦٧ ، ٦٨ "

ب - ومما جاء في القسم الثاني ما يلي :-

١ - قول المصنف في سورة الاسراء : (سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى

بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنْ بَيْتِ أُمِّ هَانِيٍّ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ ، مِّنَ الْمَسْجِدِ
الْقَرَامِ - والحرم كله مسجد - إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى بَيْتِ

المقدس ، يعني الأقصى من مكة ، الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ بِالْأَنْصَارِ

وَالْعَمَاءِ وَالْخَيْرِ ، أسرى به من بئر زمزم إلى مسجد بيت المقدس ،

وذلك في رجب في ليلة سبعة وعشرين وذلك سنة إحدى وخمسين

سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين هو ما (١) وفي تلك الليلة

فرضت عليه الصلاة (٢)

٢ - قوله رحمه الله في سورة " الشمس " :-

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا : يعني زكى نفسه بالعمل . وَقَدْ غَابَ

مَنْ دَسَّاهَا : يعني اغضاها بالفجور) (٣)

٣ - وقوله ايضا في سورة " الشرح " : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ،

فشرح الله صدره بالاسلام والنبوة . وَوَضَعْنَا فَتْكَ وِزْرَكَ ، يعني

الوزر الذي كان قبل النبوة ، وهو الثقل الذي أنقض ظهرك ،

(١) أى منذ ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) اسباب النزول للحراقي ورقة رقم " ٦٥ ، ٦٦ "

(٣) اسباب النزول للحراقي ورقة رقم " ١٥٠ "

اشقله . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ، فى السموات والارض ، تذكر مسمع
الوحدانية ، وفى النداء . فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، وليس بتكرار
وانما المراد الاول ، لِأَنَّ الْآلِفَ وَاللَّامَ لِلتَّعْرِيفِ ، والمعرفة اذا
كررت فهى واحدة لا تكرر ، فالعسر الاول المذكور بالالف واللام
هو الثانى . فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ : اذا فرغت من الرسالة والتبليغ
والحكم والقضاء فانصب لعبادة ربك لما تريد من التطوع ، وقيل :
فانصب : يحنى انتصب لصلاة الليل (١)

قلت : وارى ان هذا لا صلة له باسباب النزول ، ولا بعنوان
الكتاب ، فى اقله ، اذا تجاوزنا واعتبرنا الاسراء والمعراج
وشرح الصدر من قصص الانبياء . اما " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا " .
فمعارضة عن موضوع الكتاب .

جـ - وما جاء فى القسم الثالث ما يلى :-

١- قول المصنف فى سورة البقرة : (فَإِنَّ طَلَقَهَا) (٢) يعنى
رفاعة بن عبد الرحمن القرظى ، طلق تميم بنت وهب بن عتيك
النضرى ثلاثا ، وتزوجها عبد الرحمن بن الزبير ثم طلقها ، فقال
تعالى : فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا ، يعنى القرظى وتيممة
بعقد جديد ومهر جديد (٣)

٢- قوله فى سورة المائدة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ

بَيْنَكُمْ) (٤) نزلت فى بديل بن ابى مارية مولى العاص بن وائل

(١) المصدر السابق ورقة رقم " ١٥١ "

(٢) سورة البقرة " ٢٣٠ "

(٣) اسباب النزول للعراقى ، ورقة رقم " ٧ "

(٤) سورة المائدة " ١٠٦ "

السبي ، كان خرج مسافرا في البحر ، مسافرا الى ارض المجاشي
ومعه نصرانيان ، احدهما تميم بن أوس الداري ، وعدى بن
بدا ، فمات بديل في المركب ، فرمى به في البحر ، وكان كتب
وصية ثم جعلها في متاعه ، ودفع المتاع الى تميم وصاحبه وقال لهما
بئسنا هذا المتاع الى اهلنا . فحملوا المتاع وحبسا منه جاما من
فضة موه بالذهب (١) قيمة الجاه ثلاثمائة مثقال ، وكان بديل
مسلم . فلما سلم الجاه عدى الورثة الجاه (٢) فسألا (٣)
صاحبه : هل باع من رحله مئتنا شيئا ؟ قالا : لا . قالوا :
فقد عدنا الجاه الفلاني . قالا : لا علم لنا . فارتفعوا الى
النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية : اثنان ذوا عدل منكم :
يمضي من المسلمين . امر الله من حضرته الوفاة في السفر
واراد الوصية باشهاد ذوي عدل مسلمين ، فان لم يكونا فأخوان
من اهل الذمة ، ولا يجوز شهادة اهل الذمة في حق المسلمين
الا في الوصية في السفر ، لأن الظاهر أن المسلمين ربما لا يتفق
لحضورهم فيفتقر الى اشرهاد فيهم . ويقال تحبسونهما من
بعد الصلاة من اليمين ، يحضن تميما وعديا ، بعد صلاة العصر

(١) هكذا وردت " موه" والصواب " موه" .

(٢) عدى الورثة الجاه : اي افتقده .

(٣) هكذا وردت " فسألا" يالف التثنية .

عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم . فحلفا انهما لم يخونا في
 شيء من مال بديل ، فحَلَا (١) النبي صلى الله عليه وسلم
 بينهما ، ثم وَجِدَ الجاه بعد ذلك عند تميم الداري (٢) فقالا
 كنا اشتريناه منه ، فقالوا لهما : الستم قلتم (٣) ما باع من رحله
 شيئا ؟ فعادوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزل قول الله
 تعالى : " فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَثَرٍ اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَاجُوهُمَا
 مَقَامَهُمَا " (٤) يعنى من اولياء الميت . فلما نزلت الآية قام من
 وقته عبد الله بن عمرو بن العاص ، والمطلب بن ابي وداعة
 السهميين . من الذين استَحَقَّ عليهما الْاَوَّلِيَّانِ : يعنى
 استحق عليهما (٥) الاثم ، الاولى فالاولى ، الاقرب فالاقرب
 لانهما اولياء بديل الميت ، فيحلفان دبر صلاة العصر ان الذي
 قلنا في وصية صاحبنا حق ، وان المال كان اكثر مما اتيتما به ،
 وان هذا الاناء ، من متاع صاحبنا الميت ، وقد كتبه في وصيته
 معكما ، وانكما غنتما . وهو معنى قوله : " لشهادتنا احق من
 شهادتهما " يعنى النصرانيين (٦) ا هـ (٧)

-
- (١) هكذا وردت (فحَلَا النبي " وا لصواب (فحَلَى)
 (٢) كان تميم الداري نصرانيا ثم اسلم سنة تسع ، وهو من خيار
 الصحابة رضى الله عنهم (انظر الاصابة ١ / ١٨٣)
 (٣) هكذا ورد الفعلان بميم الجمع
 (٤) سورة المائدة " ١٠٧ "
 (٥) هكذا وردت " عليهما " بألف التثنية . والصواب في
 الآية الكريمة " عليهم " بميم الجمع
 (٦) اسباب النزول للحراقي ، ورقة رقم ٢٠ ، ٢١ "

٣- وقوله ايضا فى سورة البلد : (لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١)
يعنى مكة . وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) يعنى محمدا ، لم يحل
الله تعالى مكة الا له ، وانما احلت له ساعة من نهار ، قاتل
فيها ، وقتل من شاء ، واصر من شاء ، ودخل النبي عليه
السلام مكة وهو حلال ، ولا بأس له بذلك ، وكان يوم الفتح .
وَوَالِدٍ كَمَا وَلَدَ (٣) : اقسام بآدم والخلق كلهم ، يريد الآباء
والأبناء . لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) : ولى هذا أدخل
القسم ، قيل منتصب القائمة ومعتدل ، والكبد الاعتدال وقيل
نطفة ثم مضغة ، وقيل مبيضاً فى بطن امه . أَفَحَسَبَ الْإِنْسَانُ
- أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) نزلت فى الحارث بن عمرو بن نوفل
يَقُولُ أَهْلَكْتَ مَا لَا يَبْدَأُ (٦) اى كثرا مجتمع بعضه على بعض
من البلد . أَفَحَسَبَ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) بل قد رأيناه (أهـ (٨)
قلت : ما تناوله من التفسير يعتبر من التفسير الاجمالى الذى
لا يشفى فليلاً .

(١) سورة البلد (١)

(٢) البلد (٢)

(٣) البلد (٣)

(٤) البلد (٤)

(٥) البلد (٥)

(٦) البلد (٦)

(٧) البلد (٧)

(٨) اسباب النزول للمصطفى ورقة رقم ١٤٩ / ١٥٠

علام اعتمد العراقي في تصنيفه ؟

عرفنا فيما مضى ان الواحدى والسيوطى كليهما قد اعتمد فى ذكر اسباب النزول على روايات مسندة - على تفاوت بينهما فى درجة الاسناد - فعلام اعتمد العراقي فى ذكر ما اورده من اسباب النزول ؟

الواقع أنَّ كتاب العراقي يخلو تماما من الإسناد . فهو لم يورد حديثا مرفوعا أو موقوفا أو مرسلا ، بل انه لم يرو شيئا عن أخذهم من شيوخه كما هو الشأن فى كتاب الواحدى . وهذا الامر من الواضح بحيث لا يحتاج الى سوق أمثلة عليه ، لشبه يشمل كل ما اتى به المصنف من اسباب النزول . بيد أنَّ الكتاب لا يزال مشطوطا وهو بهذا بعيد عن تناول القراء ، فلا بأس اذن من تقديم نماذج من طريقته فى ذكر أسباب النزول . ونكتفى من ذلك بالشواهد الثلاثة الآتية :

- أ - (قوله تعالى : **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** الآية (١) نزلت فى **الْحَرَبِيِّينَ** ، بنى قريظة الذين جاءوا المدينة وخرجوا فقتلوا رجاء إبل الصدقة وساقوها) أ هـ (٢)
- ب - (**يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ** **إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ**) (٣) نزلت فى المنافقين : عبد الله بن أبي رأس المنافقين ، خلف ان لا يتخلف من النبى صلى الله عليه وسلم ويكون معه على عدوه) أ هـ (٤)

(١) سورة المائدة " ٣٣ "

(٢) اسباب النزول للعراقى ، ورقة رقم " ١٦ "

(٣) سورة التوبة " ٦٢ "

(٤) اسباب النزول للعراقى ، ورقة رقم " ٤٠ "

جـ (قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ (١) نزلت الآية في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق الخرجي ، ومسطح بن أثانة ابن خالي أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢) وحمنة بنت جحش الاسدية وعبادة بن عبد المطلب من المهاجرين الاولين (٣) وحسان بن ثابت . (٤) أمه (٤) قلت : وهكذا يتضح ان كتاب العراقي مجرد تجريدا كاملا من الاسناد فما هي اذن قيمته العلمية ؟

- (١) سورة النور "١١"
- (٢) الصواب ان أم مسطح بنت خالة أبي بكر . جاء في كتاب الاصابة "٤٠٨/٣" : - (مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي المطلبى ، كان اسمه عوفاً ، وأما مسطح فهو لقبه ، وأمه بنت خالة أبي بكر ، أسلمت وأسلم أبوها قديماً . . .)
- (٣) لم اعثر له على ترجمة . والظاهر أنَّ هنالك وهماً كما جاء في الاصابة .
- قال الحافظ بن حجر : (قال ابونعيم : هذا وهم شنيع وخطأ قبيح ، وانما هو مسطح بن أثانة بن المطلب . ثم ساقى من طريق ابراهيم عن سعد بن اسحق في قدوم المهاجرين المدينة قاله : ونزل عبدة بن الحارث واخواه الطفيل وحصين ، ومسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب ، وسويبط بن سعد بن حرملة ، وطبيب بن عمرو ، وطلى بن عبد الله بن سلمة العجلاني . وهو كما قال ابونعيم . وسبب الوهم ان لفظة " ابن " تصفقت واوا فصار الواحد اثنين مسطح بن أثانة وعباد بن المطلب . وعباد انما هو جد مسطح) أ هـ انظر (الاصابة ١٢٨/٣)
- وقال ايضا بشأن الذين جاءوا بالافك : (وأما اسماؤهم فالمشهور في الروايات الصحيحة عبد الله بن أبي ومسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش) أ هـ انظر فتح الباري (٤٦٤/٨)
- (٤) اسباب النزول للصراصى ، ورقة رقم "١٠١"

القيمة العلمية لكتاب العراقي

بعد هذا العرض نستطيع القول بان كتاب العراقي ^{يُفَوِّزُهُ} كثير مما ورد في كتابي الواحدى والسيوطى ، وهو بهذا ^{يَقِلُّ} عنهما كثيرا فى قيمته العلمية . ولعل ما يرفع من قيمة هذا المصنف ان ^{يَقِينُ} الله له من يحققه تحقيقا مفيدا ^{يُوصِلُ} اسباب النزول الواردة فيه بمصادرها الصحيحة من كتب السنة المطهرة ، و^{يُثَقِّنُ} بها مما يشوبها من مثالب .

ومع ^{كثرة} الترقب الصادق لإنجاز هذا العمل الجليل، نتضرع الى الله تعالى ان يجزى العراقي خيرا على ما أسدى من خدمة لكتاب الله على قدر طاقته ، وبحسب نيته وإخلاصه . . .
والله الهادى الى سواء السبيل .

الفصل الثاني

فهم الاستعانة بالسبب

على فهم الكمية

وارزالت

الإشكال

عنها

الفصل الثاني :

الاستعانة بالسبب على فهم الآية وإزالة الأشكال عنها

ان الدارس للقرآن الكريم المتدبر لمعانيه لا يستطيع ألجته ان يستغنى عن معرفة سبب النزول . ذلك ، لان كثيرا من آيات القرآن الكريم لا يمكن فهمها فهما صحيحا بمنزل عن معرفة سبب نزولها . ومهما حاول المفسر الوصول الى مقصد النص القرآني بعيدا عن سبب نزوله ، فانه لا يزداد الا تخبطا وبعدا عن المعنى المقصود من النص .

وقد نبه كثير من العلماء الى هذا الامر ، وقرروا ان معرفة السبب تحين على فهم الآية ، وانه يتعذر على المفسر فهم الآية دون الوقوف على قصتها . وفيما يلي نورد بعضا من اقوالهم فسي هذا الشأن :-

أ / نقل الزركشى من الامام القشيري (١) قوله :- (بيان سبب النزول طريق قوى فى فهم معانى الكتاب العزيز ، وهو امر يتحصل لتصاحبة بقرائن تحتف بالقضايا) (٢)

(١) هو محمد بن رافع بن ابي زيد القشيري بالولاء ، ابو عبد الله النيسابورى الزاهد . كان اماما فى الحديث ، ثقة ثبتا صالحا زاهدا ، وهو شيخ عصره بخراسان فى الصدق والرحلة . مات سنة خمس واربعين ومائتين (انظر تهذيب التمهيد ٩ / ١٦٠)

(٢) البرهان ١ / ٢٢

ب/ وقال الواحدى واصفا اسباب النزول : (اِذْ هِيَ اَوْفَى مَا يَجِبُ
الوقوف عليها ، وأَوْلَى مَا تُصَرَّفُ العناية إليها ، لا متنازع محرفة
تفسير الآية وقصد سبيلها ، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها) (١)
ج/ ونقل السيوطى عن ابن دقيق العيد قوله : (بيان

سبب النزول طريق قوى فى فهم معانى القرآن) (٢)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية (٣) : (محرفة سبب النزول
يعين على فهم الآية ، فان العلم بالسبب يورث الحلم بالمُسَبَّب) (٤)
ومؤلا العلماء وغيرهم ممن نوهوا باهمية معرفة اسباب النزول
ثم يطلقوا القول على موازنة دون ان يكون لهم مستند فيما يقولون
ولكنهم رجعوا الى المأثور من التفسير فالتفوا فيه جملة من الشواهد
الدالة على اهمية معرفة السبب . ومن ثم جاءت اقوالهم تلك ضاربة
صادقة ، تشير الى النهج القويم الذى ينبغى ان يسلكه المشتغلون
بتفسير الكتاب العزيز .

ولتوضيح هذا الامر يحسن ايراد طرف من تلك الشواهد الدالة
على اهمية معرفة السبب . وفيما يلى نذكر ستة منها :

(١) اسباب النزول للواحدى " ٤ "

(٢) الاتقان ٢٩/١

(٣) هو الامام احمد تقي الدين ابو العباس بن الشيخ شهاب
الدين ابى المحاسن عبد الحليم بن الشيخ مجد الدين ابى
البركات عبد السلام بن ابى محمد عبد الله بن ابى القاسم الخضر
ابن محمد الخضر بن على بن عبد الله المعروف بابن تيمية
الحرائى الدمشقى الحنبلى . كان اماما علما فى العقيدة
والتفسير والحدیث والاصول والفقه والعربية والمنطق وله
مؤلفات عدة ، ولد سنة احدى وستين وستمائة ، وتوفى سنة
ثمان وعشرين وسبعمائة من الهجرة (انظر كتاب تاريخ المذاهب
الاسلامية للشيخ ابى زهرة ٤٠٦/٢)

(٤) مقدمة فى اصول التفسير ص " ٤٧ "

الشاهد الاول :

قوله تعالى : (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثُمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (١)

فهذه الآية فوفهمت على ظاهرها لاقتضت نفى وجوب استقبال القبلة في الصلاة ، وكفام تعارض بينهما وبين قوله تعالى : " فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ " الآية (٢) ولكن بالرجوع الى سبب النزول يتضح المعنى المراد من الآية وهو انها نزلت في نافلة السفر كما ورد في صحيح الامام مسلم على النحو التالي :

(حدثنا عبيد الله بن عمر القسيري ، حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الملك بن ابي سليمان قال : حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو مقبل من مكة الى المدينة على راحلته حيث كان وجهه . وفيه نزلت : " فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثُمَّ وَجْهَ اللَّهِ " (٣)

الشاهد الثاني :

قوله تعالى (إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) (٤)

نقد أشكلت هذه الآية على عمرو بن الزبير رضي الله عنهما حيث فهم منها عدم ركنية السحى بين الصفا والمروة ، لان الآية نفت الجناح ، ونفى الجناح لا يدل على الفرضية ، وانما يدل على الاباحة .

(١) سورة البقرة " ١١٥ "

(٢) سورة البقرة " ١٤٤ "

(٣) صحيح مسلم ٢٠٩ / ٥

(٤) سورة البقرة " ١٥٨ "

ولم يزل عروة رضى الله عنه على ذلك الفهم حتى رده خالته
 أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها الى المعنى المراد من الآية ،
 وبيّنت له سبب نزولها على هذا النحو الذى رواه الامام البخارى :
 (حدثنا ابو اليمان ، اخبرنا شعيب ، عن الزهرى ، قال
 عروة : سألت عائشة رضى الله عنها فقلت لها : رأيت قول الله
 تعالى : " إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ وَأَعْتَمَرَ
 فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا " فوالله ما على أحد جناح أن يطوف
 بالصفا والمروة + قالت : بشئ ما قلت يا ابن أختى ، ان هذه
 لو كانت كما أولتها عليه كانت : لا جناح عليه ان لا يطوف بهما ،
 ولكنها أنزلت في الانصار كانوا قبل ان يسلموا يَهْلُونَ لِمَنَاة الطافية
 التى كانوا يعبدونها عند المَشَّالِ (١) فكان من أهل يتخرج ان
 يطوف بالصفا والمروة ، فلما اسلموا سألوا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن ذلك : قالوا : يا رسول الله ، انا كنا نتخرج ان نطوف
 بين الصفا والمروة . فانزل الله " إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ " ^١
 الآية . قالت عائشة رضى الله عنها : وقد سن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الطواف بينهما فليس لاحد ان يترك الطواف بينهما .
 ثم اخبرت ابا بكر بن عبد الرحمن فقال : ان هذا كَلِمٌ ما كنت سمعته .
 ولقد سمعت رجلا لمن اهل العلم يذكرون ان الناس - الا من ذكرت
 عائشة ممن كان يَهْلُ بِمَنَاة - كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة
 فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة ففى
 القرآن قالوا : يا رسول الله كنا نطوف بالصفا والمروة وان الله

(١) المَشَّالُ - بضم الميم وفتح اللام الاولى مشقة - موضع بين مكة
 والمدينة (انظر فتح البارى ٣ / ٤٩٨)

انزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا ، فهبل علينا من حرج ان
يطوف بالصفا والمروة ؟ فانزل الله تعالى : -- " إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ
مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ " الآية . قال ابو بكر : فاسمع هذه الآية نزلت فى
الفريقين كليهما : فى الذين كانوا يتخرجون ان يطوفوا فى الجاهلية
بالصفا والمروة ، والذين يطوفون ثم تخرجوا ان يطوفوا بهما فى
الاسلام من اجل ان الله تعالى امر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا
حتى ذكر ذلك بعد ما ذكر الطواف بالبيت (ا هـ (١)

قلت : وهذا الاشكال الذى قام فى ذهن عروة رضى الله عنه
يمكن ان يحدث لأى مفسر للقرآن الكريم ما لم يكن حالاً بسبب نزول
الآية إذ ان نفي الآية للجناح يمكن ان يؤمم بعدم فرضية السعى
بين الصفا والمروة ، لا سيما اذا لم يكن المفسر على علم بقول السيدة
عائشة رضى الله عنها : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سنَّ
الطواف بينهما فليس لاحد ان يترك الطواف بينهما لأن هذا الحديث
يثبت فرضية السعى بين الصفا والمروة حيث ان المقصود بالسنة هنا
هو الفرض والشرع . فقولها : " وقد سن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الطواف بينهما " - المقصود به شرع وفرض بدليل من السنة ، لا من
الكتاب ، وقرينة وهى قوله " من شعائر الله " . والدلالة على الفرضية
واضحة فى قولها : " فليس لاحد ان يترك الطواف بينهما " . ففى
هذا النص القاطع دليل واضح على فرضية السعى بين الصفا
والمروة .

(١) صحيح البخارى ٢٤٤ / ٤ ، كتاب الحج باب وجوب السعى
بين الصفا والمروة .

الشاهد الثالث :

قوله تعالى : (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِعَازَةٍ مِنْ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (١)

قرأ مروان بن الحكم هذه الآية الكريمة ففهم منها انها نذير بالحداب لكل امرئ فرح بما أُوتِيَ وأحب ان يُحمَد بما لم يفعل ، ففرح من ذلك فرحا شديدا لانه ما من امرئ يخلو من الفرح وحسب الحمد ، فأرسل الى ابن عباس يسأله عن ذلك فاجابه بان الآية نزلت في اهل الكتاب . وقد روى الامام البخارى هذه الحادثة كما يلي :

(حدثني ابراهيم بن موسى ، اخبرنا هشام أن ابن جريح اخبرهم عن ابن أبي مليكة ان علقمة بن وقاص اخبره ان مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع الى ابن عباس فقل : لئن كان كله امرئ فرح بما أُوتِيَ وأحب ان يُحمَد بما لم يعمل محذبا ، لَنَحْذِيَنَّكُمْ أَجْمَعُونَ فقال ابن عباس : ما لكم ولهذا ؟ انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم من شئ فكنتموه اياه واخبروه بخبره فأروه أن قد استحمدوا اليه بما اخبروه منه فيما سألهم ، وفرحوا بما اتوا من كتمانهم ، ثم قرأ ابن عباس " وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ " كذلك حتى قوله " يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا " (٢)

(١) سورة آل عمران " ١٨٨ "

(٢) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ .

وقد ذكر البخاري سببا آخر لنزول الآية فقال : (حدثنا سعيد ابن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثني زيد بن اسلم ، عن مطا بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجلا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ، فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا ، وأحبوا ان يحمدا بما لم يفعلوا ، فنزلت " لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ " الآية) (١) قلت : لا تعارض بين حديث ابن عباس وحديث أبي سعيد الخدري ، لا يمكن الجمع بينهما بأن تكون الآية نزلت في المنافقين واليهود معا .

هذا وقد نقل الزركشي اعتراض بعض العلماء على جواب ابن عباس على مروان ، حيث قالوا : إِنَّ الجواب لا يكفي ، لان اللفظ أعم من السبب ، وبينوا ان الجواب هو ان الوحيد مرتب على أكثر الامرين المذكورين ، وهما : الفرح وحب الحمد ، لا عليهما أنفسهما ، اذ هما من الامور الطبيعية التي لا يتعلق بها التكليف امرا ولا نهيا .

ثم أجاب - رحمه الله - على هذا الاعتراض بأنه لا يخفى من ابن عباس رضي الله عنهما ان اللفظ اعم من السبب لكنه بين أن المراد باللفظ خاص . (٣)

(١) صحيح البخاري و كتاب التفسير باب لا تحسبن الذين يفرحون

(٢) انظر البرهان " ٢٧١ "

واقول : ما ذكره المحترضون على ابن عباس من ان الوعيد فسي هذه الآية مرتب على أثر الامرين المذكورين لا عليهما انفسهما ، فير مسلم . لان الوعيد هنا مرتب على الامرين نفسيهما ، حيث إن اليهود فرحوا يكذبهم على النبي صلى الله عليه وسلم وأحبوا ان يحمدهم على الكذب والكتمان . فالحب والفرح هنا مذمومان لذاتكما ، ولذلك ترتب عليهما الوعيد المذكور .

وكان الأولى أن يقال إن ابن عباس رضى الله عنهما ابان للسائل سبب نزول الآية ، وهو خاص بقوم ^{أصمروا} ، والحدادة للنبي صلى الله عليه وسلم . ولكن الآية تظل بعد ذلك حكما عاما ينطبق على كل من اتصف بتلك الصفات التي نزلت بشأنها . وصورة السبب داخله دخولا قلعيا . ولا شك ان ابن عباس عندما اجاب عن سؤال مروان كان يدرك الفرق الشاسع بين مكر أعداء الله الذين نزلت فيهم الآية وبين تشوف المسلمين الذين فهموا أن مجرد الفرح وحسب الحمد بدخلانهم في هذا الوعيد +

الشاهد الرابع :

قوله تعالى : (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا كَانُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (١)

وهذه الآية اخفا في فهمها صاحبان جليلان هما قدامة بن مظعون (٢)

- (١) سورة المائدة " ٩٣ "
- (٢) شواصحابي الجليل قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب ابن حذافة بن جهم القرشي . كان احد السابقين الاولين ، هاجر الهجرتين وشهد بدرا وكان واليا على البحرين في خلافة عمر ، ومات سنة ست وثلاثين في خلافة علي (الاصابة ٢٢٨ / ٣)

وعمر بن مَعْدِيكَرِب (١) لانهما لم يقفا على سبب نزولها ، فكانا
يقولان إِنَّ الْخَمْرَ مَبَاحَةٌ وَيَحْتَاجَانِ بِهَذِهِ الْآيَةَ (٢)
بيد ان الناظر في سبب نزولها يدرك ان المراد بها هم الصحابة
الذين ماتوا قبل تحريم الخمر وكانوا يشربونها .

روى الامام البخارى في صحيحه عن انس رضى الله عنه انه قال :
(كنت ساقى القوم فى منزل ابى طلحة ، فنزل تحريم الخمر فأمر
بناديا فنادى . فقال ابو طلحة : اخرج فانظروا هذا الصوت ؟
قال : فخرجت فقلت : هذا مناد ينادى : الا ان الخمر قد حرمت
فقال لى : اذهب فأشرفها . قال : فجرت فى سكك المدينة ، قال
وكانت غمرهم يومئذ الفَضِيحُ ، فقال بعض القوم : قتل قوم وهى فى
بدونهم . قال : فانزل الله : (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا) (٣)

قلت : ولما كان قدامة بن مظعون لا يعلم شيئا عن سبب نزول
الآية فقد سَأَلَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على النحو الذى ورد
فى تفسير القرطبي كما يلى :-

(لما قدم الجارود (٤) من البحرين قال : يا أمير المؤمنين ،

(١) هو الصحابى الجليل عمرو بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن
عاصم بن زبید الزبيدى الشاعر الفارس المشهور . ابلق فى
القادسية بلاء حسنا ، ومات سنة احدى وعشرين من الهجرة
(الاصابة ١٨/٣)

(٢) البرهان ٢٨/١

(٣) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب ليس على الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جناح

(٤) هو الجارود بن عمرو بن المصلى سيد عبد القيس . كان نصرانيا
ثم قدم على النبی صلى الله عليه وسلم سنة مشرفا سلم وكان
صليبا على دينه . توفى سنة احدى وعشرين فى خلافة عمر
(الاصابة ٢١٦/١)

ان قدامة بن مظعون قد شرب مسكرا ، وانى اذا رأيت حقا من حقوق
 الله حق على ان ارفعه اليك . فقال عمر : من يشهد على ما تقول ؟
 فقال : ابو هريرة . فدعا عمر أبا هريرة فقال : علام تشهد يا ابا
 هريرة ؟ فقال : لم أراه حين شرب ، ورأيت سكران يقى . فقال عمر :
 لقد تنطعت في الشهادة (١) ثم كتب عمر الى قدامة وهو بالبحرين
 يأمره بالقدوم عليه ، فلما قدم قدامة - والجارود بالمدينة - كلم
 الجارود عمر فقال : أقم على هذا كتاب الله . فقال عمر للجارود :
 أشهد انت أم نعم ؟ فقال الجارود : انا شهيد . قال : قد
 كنت أدبت الشهادة . ثم قال لعمر : انى أنتشك الله . فقال عمر
 أما والله كتملكن لسانك أو كسوتك . فقال الجارود : أما والله
 ما ذلك بالحق ، أيشرب ابن عمك ويتسوفنى ؟ فاعده عمر . فقال
 ابو هريرة وهو جالس : يا امير المؤمنين ان كنت فى شك من شهادتنا
 فسل بنت الوليد امرأة ابن مظعون . فأرسل عمر الى هند ينشد ما
 بالله فأقامت هند على زوجها الشهادة ، فقال عمر : يا قدامة انى
 جالدك ، فقال قدامة : والله لو شربت كما يقولون ما كان لك ان
 تجلدنى يا عمر . فقال : ولم يسا قدامة ؟ (٢) قال : لان الله

(من إسناده الصحيح ص ٦٦٦)

(١) تنطعت : أى تكلمت وفاليت (وتفسير القرطبي ٣ / ٢٢٩٥)

(٢) هذا هو الصواب : انه (قدامة) . وقد ورد خطأ فى

البرهان " ٢٨ / ١ " والاتقان " ٢٩ / ١ " ان الذى حاج عمر

هو عثمان بن مظعون . لكن المعروف ان عثمان توفى مقرب

فزوة بدر ، اما قدامة فقد عاش حتى خلافة علي (انظر الاصابة

٢ / ٢٢٨) والمدخل للدكتور محمد ابى شهبة ص " ١٣٨ "

سبحانه يقول : " لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا
 طَعَوْا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا
 وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " فقال عمر : اخطأت التأويل يا
 قدامة ، اذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله . ثم أقبل عمر على
 القوم فقال : ماترون في جلد قدامة ؟ فقال القوم : ما نرى ان تجلده
 ما دام وجمعا . فقال عمر : انه والله لعن يلقى الله تحت السوط
 أحب إلي أن ألقى الله وهو في عنقي ، والله لأجلدنه ، اثتونسى
 بسوط ، فجاء مولا أسلم بسوط رقيق ضفير ، فأخذ عمر فمسحسه
 بيده ثم قال لأسلم ، أَعَذَّتْكِ دِقْرَارَةُ أَهْلِكَ (١) اثتونسى بسوط
 فير هذا . قال : فجاء أسلم بسوط تام ، فأمر عمر بقدامة فجلد .
 فضاضب قدامة عمر وهجره ، فحببا وقدامة مهاجر لعمر حتى قفلوا
 عن حجمهم ، ونزل عمر بالسقيا (٢) ونام بها ، فلما استيقظ عصر
 قال : عجلوا علي بقدامة فأتوا فأتوني به ، فوالله لأرى في النوم
 انه جاءني آت فقال ، " سَأَلِمُ قدامة فانه اشوك " فلما جاؤا قد امست
 أبى أن يأتيه ، فأمر عمر بقدامة ان يجبر إليه جبرا حتى كلمه عمر واستغفر
 له ، فكان اول صلحهما (٣)

(١) الدِقْرَارَةُ واحدة الدَقَارِير وهي الاباطيل وعادات السوء (القرطبي

٢٢٩٥/٣)

(٢) السَقْيَا - بالضم - موضع بين المدينتين وادي الصفر : المصدر
 السابق " ٢٢٩٦ "

(٣) تفسير القرطبي : ط كتاب الشعب " ٢٢٩٥/٣ "

قلت : وهذا الخبر من حيث الاجمال مقبول . ومن حيث
التفصيل في النفس من بعض اجزائه شيء ، فعمراجل من ان يجلد
وَجِعًا ، وهو يعلم ان المرض يستوجب تأخير الحقوبة على المريض
وكذا ما يتعلق بِجَرِّ قَدَامَةِ إِلَيْهِ ، إِذْ لَا بَدَّ لِلصَّلَاحِ مِنْ أَنْ يَقُومَ عَلَى
التَّراضِي وَأَيًّا مَا كَانَ الْأَمْرُ فَإِنَّ هَذِهِ الْحَالَةَ تَدْخُلُ فِي مَفْوَالِهِ بِسَبَبِ
إِمَّا أَنَّهُ مُجْتَهِدٌ أَخْطَأَ التَّأْوِيلَ ، أَوْ أَنَّهُ حَدِيثٌ صَدَدٌ بِالْإِسْلَامِ .

وقد يتبادر الى ذهن القارى سؤالان في هذا المقام : أولهما
ان سبب النزول في الشرب ، والآية نصت على الطعام ، فكيف
التوفيق بين الأمرين ؟ والسؤال الثاني هو أن رفع الجناح من مطلق
الطعام جاء في الآية مشروطا بالتقوى والایمان ، والتقوى والاحسان
فما علاقة ذلك بصحابي مات قبل ان يَحْرِفَ التحريم ؟

اقول في الجواب على السؤال الاول : ان اسم **الطعام** قد يقع على
المشروبات كما في قوله تعالى : " وَمَنْ لَمْ يَلْعَمْ فَإِنَّهُ مِنِّي " (١)
اذ المقصود هنا الماء .

وقد يراد بالطعم التذوق ، وهو حاصل في الشرب والاكل .
قال صاحب روح المعاني :- (وَمَنْ لَمْ يَلْعَمْ فَإِنَّهُ مِنِّي : أى من لم
يذقه مِنْ دَلْعَمِ الشَّيْءِ إِذَا ذَاقَهُ مَأْكُولًا كَانَ أَوْ مَشْرُوبًا) أ هـ (٢)
وجاء في تفسير الرازي : قال اهل اللغة : (٣) (لم يطعمه

أى لم يذقه ، وهو من الطعم ، وهو يقع في الطعام والشراب) (٤)

- (١) سورة البقرة " ٢٤٩ " قال تعالى (.....) إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَلْعَمْ فَإِنَّهُ مِنِّي)
(٢) روح المعاني للأنوسى " ١٧٠ / ١ "
(٣) لسان العرب " ٢٥٩ / ١٥ "
(٤) مفاتيح الغيب " ١٨٠ / ٦ "

وجاء فيه ايضا : ان (الطعام في الاغلب من اللغة خلاف الشراب ، فكذلك يجب ان يكون الطعم خلاف الشرب ، الا ان اسم الطعام قد يقع على المشروبات كما في قوله تعالى : " وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي " وعلى هذا يجوز ان يكون قوله تعالى " جَنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا " أى شربوا الخمر ، ويجوز ان يكون معنى الطعم راجعا الى التلذذ بما يأكل ويشرب . وقد تقول العرب : تَطَعَّمَ تَطَعَّمَ - بتشديد السين - أى ذُقَّ حتى تشتهي (١) . واذا كان معنى الكلمة راجعا الى الذوق صلح للمأكول . والمشروب معا (٢)

واما الجواب على السؤال الثاني فهو ان المراد باشتراط الايمان والتقوى ~~والاحسان~~ والايمان والاحسان انما هو اثبات هذه الصفات لمن ما توا من اصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل تحريم الخمر ، اذ الآية هنا تُثْنِي عليهم وتَعْمَدُ أحوالهم وأعمالهم المصحوبة بالايمان والتقوى والاحسان . وما هذا التكرار إلا لتأكيد تلك الصفات الحميدة فيمن مضوا من الصحابة قبل تحريم الخمر + وقد تنبه الفخر الرازي لمثل هذا التساؤل فأورده في تفسيره ٦

ثم اردفه بالجواب على النحو التالي :-

قال : (ان المقصود من هذا التكرير التأكيد والمبالغة ففى الحث على الايمان والتقوى . فان قيل : لِمَ شَرِّطَ رَفْعَ الْجَنَاحِ عَنْ تَنَاوُلِ الْمَطْعُومَاتِ بِشَرْطِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى ، مع أَنَّ الْمَطْعُومَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَزْنِ وَمَنْ لَمْ يَشْتَقِ ثُمَّ تَنَاوَلَ شَيْئًا مِنَ الْمَبَاحَاتِ فَإِنَّهُ لَا جَنَاحَ عَلَيْهِ فِي

(١) مختار الصحاح ص ٣٩٢

(٢) تفسير الرازي " ٨٣ / ١٢ "

ذلك تناول ، بل عليه جناح في ترك الايمان وفي ترك التقوى ،
الا ان ذلك لا يتعلق له بتناول ذلك المباح ، فذكر هذا الشرط في
هذا المعرض غير جائز - قلنا : ليس هذا للاشتراط . بل لبيان
ان اولئك الاقوام الذين نزلت فيهم هذه الآية كانوا على هذه الصفة
ثناء عليهم وحمدا لآحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان .

ومثاله ان يقال لك : هل على زيد فيما فعل جناح ؟ وقد علمت ان
ذلك الامر مباح ، فتقول : ليس على احد جناح في المباح اذا
اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا ، تريد أَنْ زِيداً إِنْ بَقِيَ مُؤْمِناً
محسنا فانه غير مؤاخذ بما فعل (١)

وأقول : ارى ان رفع الجناح في هذا الموضع دال على الاباحة
ولكن هذه الاباحة ابيحت بالجزء دون الكل . فالمباح الشرعي الذي
اذن الشارع في فعله او تركه هو وسيلة يأخذ حكم ما ينتهي اليه .
فان كان المباح وسيلة الى المطلوب انقلب من مباح السي مندوب
او واجب . وَإِنْ وَصَلَ المباح الى محذور انقلب من الاباحة الى السي
الكراهة او التحريم . فمثلا : يباح ان نسب الاصنام ، لكن اذا كان
سب الاصنام يؤدي الى رد المشركين علينا بالمثل كان سب الاصنام
حراما ، مع انه في الاصل مباح . فقله : (ليس على الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا " هذا للاباحة . وقوله : " اذا
ما اتقوا . . الخ " . . شرط للابقاء على الاباحة . فان صحب طول
المباح اجتناب التقوى والاحسان بطلت الاباحة وكان ممنوعا .

الشاهد الخامس :

قوله تعالى : (وَاللَّائِي يَكْتُمْنَ مِنَ الْمَخِيِّ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنَّ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ . .) الآية (١)

لقد اشكل هذا الشرط - وهو قوله ان ارتبتم - على بعض الائمة ففهموا منه ان الارتباب متعلق بدم الحيض ، حتى قال الظاهرية ان الآية لا عدة عليها اذا لم ترتب (٢)

ولا ريب ان الذى حملهم على هذا الفهم هو عدم الوقوف على سبب نزول الآية . فلو انهم علموا سبب النزول لادركوا ان المقصود بقوله " إِنَّ ارْتَبْتُمْ " اى ان جهلتم حال هؤلاء النسوة فلم تعلموا هل عليهن عدة او لا .

وقد ذكر الحاكم فى مستدركه سبب نزول هذه الآية . فخرج عن أبي بن كعب - وصححه - انه قال : (لما نزلت الآية التى فى سورة البقرة فى عدد من عدد النساء قالوا : قد بقي عدد من عدد النساء لم يذكرن : الصغار والكبار وأولات الاحمال . فانزلت واللَّائِي يَكْتُمْنَ مِنَ الْمَخِيِّ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنَّ ارْتَبْتُمْ) الآية (٣)

وفى هذا بيان لمعنى الشرط فى قوله : " إِنَّ ارْتَبْتُمْ " اى ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يستدركن فهذا حكمهن (٤)

(١) سورة الطلاق

(٢) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٣٧

(٣) المستدرک ٤٩٠ / ٢

(٤) انظر البرهان ٢٩ / ١

والذى أوقع اهل الظاهر فى هذا الامر - زيادة على ما ذكر من عدم وقوفهم على السبب - ففلقهم عن ان الشرط متقدم فى المعنى وأن تأخر لفظاً . والتقدير على هذا : إن ارتبتم فى عدة بعض النساء ، فاليكم الحكم : الثلاثى يثنى من المحيض والثلاثى لم يحضن عدتهن ثلاثة أشهر . وايضا أخذهم بمفهوم الشرط ، بدليل انهم قالوا : هذا العدد مشروط بالارتباب ، ومعناه انه اذا لم يكن ارتباب فهذا العدد غير مقرر وهذا خطأ ، لان الشرط فى الارجح لا مفهوم له لانه مقدم ، ورفع المقدم لا ينتج كما هو مقرر فى المنطق : تقول ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود ، لكنها غير طالعة فلا ينتج دائما ان النهار موجود بل يمكن ان يكون النهار موجودا وبه فهم الشاهد السادس :

قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ مَدَّوْا لَكُمْ فَأَخَذُوهُمْ . .) الآية (١)

ان المتدبر لهذه الآية بمصرل عن سبب نزولها ربما تفجركفى فهمها وخرج بحكم خاطى يتناول علاقة المرء بزوجه واولاده . ولكن سبب النزول يزيل الاشكال ويوضح معنى الآية على الوجه المطلوب كما رواه الامام الترمذى بسنده عن ابن عباس - وقد سأله رجل عن هذه الآية - قال (هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة ، وارادوا ان ياتوا النبى صلى الله عليه وسلم فابنى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا الناس قد

فَقَهُوا فِي الدِّينِ ، هَمُّوا أَنْ يَعَاقِبُوهُمْ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ الْآيَةُ (١)

قلت : ولو تأملنا أنَّ " مِنْ " للتبحيض لزال أى اشكال عن الآية

متى فهمنا ان بعض الاولاد والاموال قد يكون عدوا لنا ، فيتعين

علينا الحذر للتمييز بين العدو وفير العدو .

وهكذا يتضح من هذه الشواهد صدق ما سقناه آنفاً من

اقوال العلماء الدالة على اهمية معرفة السبب . وقد رأينا ان

جميع الاشكالات التى كانت تبدو لأول وهلة فى هذه الشواهد قد

زالت جميعها بفضل معرفة اسباب النزول ، وذلك لان العلم بالسبب

يورث العلم بالمسبب كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (٢)

(١) رواه الترمذى فى جامعه (٩٢ / ٥) وقال : هذا حديث حسن

صحيح

(٢) انظر : مقدمة فى اصول التفسير ص ٤٧ "

الفصل الثالث

في تعليل النصوص وحكمة التشريع

وفيه مبحثان

المبحث الأول :

هل تعلل النصوص بعلّة أو لا ؟

المبحث الثاني :

معرفة حكمة التشريع .



المبحث الأول

هل تعلل النصوص بحلة أو لا ؟
وما المراد بذلك ؟

جاء في مختار الصحاح : (الحلة المرض ، وَحَدَّثَ يَشْقُلُ صاحبه
من وجعٍ ، كَأَنَّ تلك الحلة صارت شغلا ثانيا منعه من شغل نفسه
الأول) (١)

وأوضح صاحب "إرشاد الفحول" هذا المعنى بقوله : (الحلة
في اللفظة : اسم لما يتغير الشيء بحصوله ، أُخِذَ من الحلة التي
هي المرض ، لِأَنَّ تأثيرها في الحكم كتأثير الحلة في ذات المريض
يقال : احتل فلان إذا حال من الصحة إلى السقم . وقد تكون
مأخوذة من العَلَلِ بعد النهل ، وهو معاودة الشرب مرة بعد مرة ،
وذلك لِأَنَّ المجتهد في استخراجها يحاول النظر مرة بعد أخرى) (٢)
وأما في اصطلاح الأصوليين فقد وردت لها عدة تعاريف ،
نجتزئ منها ما يلي :-

أولها : أَنَّ الحلة (هي الأمر الذي إذا وَجَدَ وَجِدَ الحكم
حَقِيقَةً بلا فصل) (٣)

(١) مختار الصحاح ص "٤٥١"

(٢) إرشاد الفحول للشوكاني ص "٢٠٦"

(٣) كشف الاسرار "١٧١/٤"

الثاني : أنها هي (المَصْرِفَةُ للحكم ، بان جُعِلَتْ قَلَمًا على

الحكم ، إِنْ وَجِدَ الْمَعْنَى وَجِدَ الْحُكْمَ) (١)

الثالث : ان العلة هي (ما شَرَعَ الحكم عنده تحصيلًا لمصلحة

من جَلَبِ نفع او دَفَعَ مفسدة ، وذلك مَبْنَى على أَنَّ الاحكام مَحَلَّة

بمصالح العباد) (٢) .

الرابع : أنها هي (الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ، وهي

مصلحة يُطَلَّبُ به جلبُها او تَكْمِيلُها ، ومفسدة يُطَلَّبُ دَرْجُها

أو تَقْلِيلُها) (٣)

الخامس : أنها هي (الوصف الظاهر المنضبط المناسب

للحكم) (٤)

قلت : وهذه التعريفات بعضها من بعض ، وهي في جملتها

تَقْضِي الى معنى واحدٍ يتمثل في كونها هي الحكمة الباعثة على تشريع

الحكم ولا خلاف يُذكر في مَوَدَّاهَا .

(١) ارشاد الفحول " ٢٠٧ "

(٢) فواتح الرحموت بشرح مُسَلَّم الثبوت " ٢٦٠ / ٢ "

(٣) اصول الفقه للشيخ محمد الخضرى " ٢٩٨)

" ٤ " اصول الفقه للشيخ محمد ابى زهرة " ٢٣٧ "

فاذا رجعنا الى تعريف السبب علمنا انه هو كل وصف ظاهر منضبط دلالة الدليل السمعى على كونه مقررًا لحكم شرعى (١) — علمنا ان السبب والحلة يكادان يكونان شيئًا واحدًا ، بيد أنه لا مناص من ملاحظة الفرق الدقيق بينهما ، عند البعض ، وذلك أن السبب يفضى الى الحكم الشرعى دون تأثير فيه ، على حين ان الحلة تقضى اليه مع التأثير.

يقول الامام محمد أبوزهرة رحمه الله : (فانه من المتفق عليه ان الحلة والسبب كلتهما آمارَةٌ على وجود الحكم ، فالإسكار فى الشهر آمارَةٌ على وجود الحكم وهو التحريم ، والسفر فى رمضان آمارَةٌ على جواز الفطر ، وكذلك الشهر آمارَةٌ على وجوب الصيام ، والزوال آمارَةٌ على وجوب الظهر ، وهكذا . . فهل هما فى الشرع بمعنى واحد ؟ هكذا قال طعنا الاصول ، فاعتبرا السبب والحلة بمعنى واحد . وقال بعض الاصوليين : انهما متغايران فى الحقيقة ، فالسبب يطلق على ما لا يكون بينه وبين الحكم مناسبة ، وعلى ذلك يكون الوقت سببا لوجوب الصلاة ، ولا يكون الإسكار - من حيث كونه حلة للتحريم - سببا ، وذلك للمناسبة بين الإسكار والتحريم . وكذلك لا يعد السفر سببا لجواز الإفطار ، وذلك للمناسبة بين الحكم وبين السفر . ولذلك يعتبر هؤلاء الاصوليون الحلة وصفا مناسبًا مؤثرا ، فلها تأثير فى الحكم ، وان كانت قد نصبت آمارَةً لحكم الشارع فى الجملة . وفى الحقيقة ان الاختلاف اصلا حصى لفظى ، والحقائق

نى جعلتها متحدة . فالذين يعتبرون العلة داخلة فى معنى السبب
يقسمون السبب الى قسمين ، سبب غير مناسب للحكم ، وسبب مناسب
للحكم . وبهذا التقسيم تلتقى الحقائق وتجتمع (١)
ومن هذا المنطلق فانه ليس من العسير إدراك العلاقة الوثيقة
الشرى بين تعليل الأحكام والنصوص من جهة ، وبين أسباب النسخ والنزول
بوصفها عللاً للأحكام والآيات النازلة فيها من جهة اخرى . بسبب
لعله من المفيد . فى هذا المقام - ان نورد ما ذكره الامام الشوكانى (٢)
من انطلاق العلماء السبب على العلة ، حيث يقول : (وللعلة أسباب
تختلف باختلاف الاصلاحات : فيقال لها السبب ، والأمانة ،
والداعى ، والمستدعى ، والباعث ، والحامل ، والمناكح ، والدليل
والمقتضى ، والموجب ، والمؤثر) (٣)
وان قد ثبت بالدليل ان السبب والعلة صنوان ، فما القول فى
تعليل النصوص والأحكام الشرعية ؟ وبعبارة اخرى : هل تُعلَّل
النصوص بعلة أو لا ؟

(١) اصول الفقه للامام ابى زهرة ص " ٥٨ / ٥٩ "
(٢) هو العالم الكبير والمجتهد القدير محمد بن على بن محمد
ابن عبد الله بن الحسن اليمنى الصنعانى المعروف بالشوكانى
ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة و ألف وحفظ القرآن وبرع فى
التفسير وعلومه ، والحديث وعلومه ، والفقه واصوله ، والحربية
وفنونها ، والحكمة وفروعها . وولى القضاء نحو عشر سنوات ثم
بقى بصنعاء الى ان توفى بها سنة مئتين ومائتين والف
(انظر : الفوائد المجموعة بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى اليمانى
ص " ١١ ")

(٣) ارشاد الفحول ص " ٢٠٧ "

وللإجابة على هذا السؤال أقول : -

القول في هذا - كما جاء في "فتح الرحموت" (١) أن
المذاهب أربعة :

الأول : لا يجوز أن تحلل النصوص بحلة إلا أن قام الدليل
بخصوصه أنها معقدة .

وبناء على هذا المذهب لا يحل القول في اسباب النزول إلا
استنادا الى دليل سمعي واضح قاطع في الدلالة على السبب .
الثاني : تحلل النصوص بكل وصف ، وكل ما هو صالح للحلّة
ولا يطلب الدليل على العلة إلا عند تعارض الاوصاف .

ومعنى هذا أن كل ما يقال في اسباب النزول نقيه ولو لم يكن
صريحا ولا قاطعا ، إلا اذا تعارض مع ما هو أصح وأقطع فتلغى
الأول ونأخذ بالاقوى .

الثالث : الاصل في النصوص التحليل ، لكن لا بكل وصف ،
بل بالدليل على أن الوصف المعين هو العلة .

ومعنى هذا أننا لا نطلب لكل نص سببا . اقتضى نزوله . فمن
النصوص ما نزل ابتداء ، ومنها ما نزل بسبب . وهذا هو المختار .
الرابع : الاصل في الاحكام التحليل ، لكن ينبغى مصرفة
مسلك الحلة (٢) من كون النص معطلا .

ومعنى هذا أننا لا نطلب الاسباب الا في آيات الاحكام فقط .

(١) انظر تفصيل هذه المذاهب في فواتح الرحموت ٢/٢٩٣
(٢) المراد بالمسلك هنا الدليل . ومسالك الحلة هي الطرق التي
تصرف بها الحلة ، ومنها الاجماع والنسب . (انظر مسلك
الشوكة ٢/٢٥٠ - واصل الفقه للشيخ أبي زهرة ص ٢٤٣)

ومن المعلوم ان النصوص منها ما نزل بسبب ، ولا نقول بالسبب الا
استنادا الى نقل صحيح واضح صريح في الدلالة على السببية .
والفرق بين المذهب الثالث والمذهب الاول ان المذهب الاول
يجعل الاصل عدم ذكر السبب ، وذكر السبب أمر عارض . أما
المذهب الثالث فيجعل الاصل ذكر السبب ، لكن بالدليل .
وأما المذهب الرابع فيجعل السبب متعلقا بآيات الاحكام .
والمذهب الثاني يأخذ ويقبل أي قول في بيان السبب ، ففيه تساهل .
وكما سبق فاني أختار المذهب الثالث الذي رجحه جمهور
المصوليين فيما يتعلق بالتعليل وعدمه . وقد استعرت من كلامهم
ما ذهبت اليه ، عاملا على رجحان ما قالوه بموضوع أسباب النزول ،
ولطى وفقت في هذا الاستنباط .
وعليه فدعوتنا تتضمن أمرين : الأول : الاصل في البحث
معرفة السبب إن وجد . والأمر الثاني التسليم بان النص - وهو
الافلب - نزل بخير سبب فلا يبحث فيه عن حصر العلة في سبب النزول
لانه لا سبب له . لكن قد توجد له طلة أو حكمة أو أمانة تدل على
انته مغلل بخير سبب النزول ، وقد لا يوجد شيء في النص من
بيان السبب او العلة او الحكمة او الامانة .
وهذه نماذج من تعدد الحكمة او العلة أو الأمانة ، وانها
على مراتب في التصريح بها أملاها :
أ/ " من اجل " كقوله تعالى : " مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ
بَنِي إِسْرَآءِيلَ " الآية (١)

ب/ ثم "اللام" كقوله تعالى : "رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ" . . . الآية (١)
 ثم "إِنَّ" كقوله : (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (٢)
 د / ثم "الفاء" كقوله تعالى : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْتُلُوا أَيْدِيَهُمَا) (٣)

وهكذا يتنوع التصريح بالحكمة قوة وضخما ، تصريحاً وتلميحاً ،
 ليحصل الفكر البشرى عمله في استنباط الاحكام وحكمها أو تلخيصها .
 ولقد استبحر الاصوليون في بيان ذلك وافاضوا فيه ، فكانت ملاحظاتهم
 من أدق ما وصل اليه العقل البشرى في الكشف والاستنباط .
 وبعد هذا البيان الموجز نورد بعض الأمثلة على ما نقول ، مكتفين
 من كل سورة نختارها بآيتين مع ذكر سبب نزولهما ، والإشارة إلى
 ما يكون بينهما من الآيات التي نزلت بلا اسباب ، وذلك للدلالة
 على ان هذه الأخيرة هي اكثر ما نزل من القرآن الكريم . ثم نزيد
 الامراضاحا : بإثبات جدول لإحصاء النوصين من الآيات الكريمات .
 والمعتقد في هذا الامر هو كتب أسباب النزول . فقد توجد
 أسباب في كتب التفسير لايات لم يرد ذكرها في كتب الأسباب المجردة .
 لكن الاختيار هنا هو اخذ أسباب النزول من مدارجها الأصلية .
 ونبدأ بالأمثلة مكتفين منها بستة على النحو التالي :-

(١) . سورة النساء " ٦٥ "

(٢) سورة الانفال " ١ "

(٣) سورة المائدة " ٣٨ "

الأمثال الأولى :

فى سورة البقرة نجد الآية السادسة والعشرين - وهى قوله تعالى : " إِنْ أَرَادَ اللَّهُ لَا يَسْتَحْيِيَ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا " الآية - قد نزلت بسبب . وكذلك الآية الرابعة والأربعين ، وهى قوله تعالى : " أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ " الآية وبين هاتين الآيتين سبع عشرة آية نزلت بلا اسباب .

أما قوله تعالى : " إِنْ أَرَادَ اللَّهُ لَا يَسْتَحْيِيَ " . فقد ورد فى سبب نزولها ان الله تعالى لما ضرب مثلى للمنافقين بقوله : " مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا " (١) وقوله : " أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ " (٢) قال المنافقون : ان الله أطلّى وأجلّ من ان يضرب هذه الامثال فانزل الله هذه الآية (٣)

وأما قوله تعالى (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) فقد نزل فى يهود المدينة . كان الرجل منهم يقول لصهره : ولذوى قرابته ولمن بينهم وبينه رضاع من المسلمين : اثبت على الدين الذى انت عليه وما يأمرك به هذا الرجل - يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم - فان أمره حق . فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه . فنزلت هذه الآية (٤)

(١) سورة البقرة " ١٧ "

(٢) سورة البقرة " ١٩ "

(٣) انظر اسباب النزول للواحدي " ١٢ "

(٤) انظر لباب النقول " ١٠ ، ١١ "

المثال الثاني :

ومما نزل بسبب في سورة آل عمران الآيتان الحادية والثلاثون
والثامنة والخمسون ، وهما قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾
فَاتَّبِعُونِي . . الآية ، وقوله ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾
. . وبينهما سبع وعشرون آية نزلت بلا اسباب (١)

وقد ورد في سبب نزول قوله تعالى : " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ
اللَّهَ " أَنْ أَقَامَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ
يُحِبُّونَ اللَّهَ ، فقالوا : يا محمد انا نحب ربنا ، فأنزل الله :
(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ . . الآية (٢))
وجاء في سبب نزول قوله تعالى : " ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ " أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاحِبًا نَجْرَانِ
فَقَالَ أَحَدُهُمَا : مَنْ أَبُو عِيسَى ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجْعَلُ حَتَّى يُؤْمَرَ بِهِ (٣) فَنَزَلَ عَلَيْهِ : " ذَلِكَ نَتْلُوهُ
عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ إِنْ مَثَلَ عِيسَى جُنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ "
إِلَى " مِنَ الْمُتَمَرِّينَ " (٤)

(١) لباب النقول " ٣٨ " طبعة سلسلة " كتاب التحرير " بمصر

(٢) اسباب النزول للواحدى " ٥٧ "

(٣) أى يطلب ويرجو أمر به .

(٤) لباب النقول " ٣٨ "

المثال الثالث :

وفى سورة النساء الآيتان الرابعة والعشرون والثانية والثلاثون
رهما قوله تعالى : "وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ .." وقوله تعالى :
"وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ" وقد نزلت كلاهما بسبب
وبينهما ثمان آيات نزلت بلا أسباب (١)

فاما قوله : (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ) فإنه لما سبى رسول الله صلى
الله عليه وسلم أهل أُوطَسَ فقال بعض المسلمين : يا نبي الله ، كيف
نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن ؟ انزل الله تعالى هذه
الاية " والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايما نكم " الاية (٢)
واما قوله [وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ] فقد نزل
لما قالت السيدة **أم سلمة** : يا رسول الله تغزو الرجال ولا تغزو
وانما لنا نصف الميراث . (٣)

المثال الرابع :

وفى سورة هود نجد ما نزل بسبب الآيتان : الثامنة والرابعة
عشرة بعد المائة وهما قوله تعالى : "وَلَعَنَّا آخَرَنَا عَنْهُمْ الْمَذَابَ
إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ .." الاية وقوله : "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفًا"

(١) لباب النقول " ٥٠ "

(٢) اسباب النزول للواحدى " ٨٥ "

(٣) المصدر نفسه

= مِّنَ اللَّيْلِ . . " وبينهما مائة آية وست آيات نزلت بلا أسباب . (١)
ولقد ورد في سبب نزول قوله " وَلَقَدْ أَخْرَنَّا عَنْهُمُ الْجَذَابَ " انه
لما نزل قول الله تعالى : " اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ
مُّعْرِضُونَ " (٢) قال ناس : ان الساعة قد اقتربت فتناهوا . فتناهى
القوم قليلا ثم عادوا الى مكرهم مكر السوء ، فانزل الله : " وَلَقَدْ
أَخْرَنَّا عَنْهُمْ الْجَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيْقُولُونَ مَا يَحِبُّهُمْ " (٣)
كما جاء في سبب نزول قوله : " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ " .
ان رجلا اصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك
له فانزل الله تعالى : هذه الآية : " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفَا :
مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ " (٤)
المثال الخامس :

وفي سورة الحجر الايتان الرابعة والحشرون والخامسة والاربعون
وهما قوله تعالى " وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ "

(١) لباب النقول " ١٠٣ "

(٢) سورة الانبياء " ١ "

(٣) لباب النقول " ١٠٣ "

(٤) اسباب النزول للواحدى " ١٥٣ "

وقوله " إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ " وبينهما إحدى وعشرون آية
نزلت بلا أسباب (١)

وسبب نزول قوله تعالى " وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّقِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّقِينَ " ان امرأة حسنا كانت تصلى خلف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول
لئلا يراها ، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر ، فاذا
رُكِعَ نظر من تحت إبطيه ، فنزلت . (٢)

وأما قوله تعالى : " إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ " فقد نزل لما
سمع سلمان الفارسي قوله تعالى : " وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُوعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ " (٣)
ففرّ هارباً من الخوف فجىء به للنبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله ،
فقال : يا رسول الله، أنزلت هذه الآية " وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُوعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ "
فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي . (٤)

المثال السادس :

وفي سورة الإسراء نجد الآيتين : التاسعة والعشرين والخامسة
والاربعين وهما قوله تعالى : " وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ نَفْسِكَ
وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا " وقوله : " وَإِذَا قَرَأْتَ "

(١) لباب النقول "١٠٥"

(٢) المصدر نفسه .

(٣) سورة الحجر "٤٢"

(٤) لباب النقول "١٠٥"

هذه القصة غير صحيحة .
والمراد التفسير والتأخر في الميعاد والوفاء
دا طيار

الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا .
وبينهما ست عشرة آية نزلت بلا أسباب (٢)

وقد جاء في سبب نزول قوله : " وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً . . "
أَنْ فَلَا مَا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنْ أُمِّي تَسَأَلُكَ
كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ الْيَوْمَ . قَالَ : فَتَقُولُ لَكَ : اكْسِنِي
قَمِيصَكَ ، فَخَلَعَ قَمِيصَهُ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، فَجَلَسَ فِي الْبَيْتِ حَاسِرًا ، فَأَنْزَلَ
اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ (٣)

وجاء في سبب نزول قوله تعالى : " وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا
بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا " - أنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلى القرآن طلى مشركى قريش
ودعاهم الى الكتاب قالوا بهزءون به : قلوبنا فى أَكِنَّةٍ (٣) مما
تدعونا إليه وفى آذاننا وَغَرٍّ (٤) ومن بيننا وبينك حجابٌ . فانزل
الله : " وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ . . . " (٥)

(١) المصدر السابق " ١٠٩ " « الباب الثَّقُولِ »

(٢) اسباب النزول للواحدي (١٦٥)

(٤) الْأَكِنَّةُ الْأَفْطِيَّةُ

(٥) التَّوْقُفُ سَبَّحَ الْوَاو - الثَّقُلُ والمراد هُنَا الصَّمَمُ .

(انظر مختار الصحاح (٥٨٠ و ٧٣٢)

وهكذا تجرّز في هذه الامثلة حقيقة زيادة الآيات : النازلة بلا اسباب . ولتأكيد هذه الحقيقة نثبت فيما يلي جدولا مفصلا لبيان الآيات النازلة ابتداءً من اسباب ، والآيات التي نزلت بأسباب والمعتد في هذا الإحصاء هو كتاب لباب النقول في اسباب النزول ، المطبوع في القاهرة ضمن سلسلة كتاب التحرير تحت عنوان "اسباب النزول".

وتجرب أهمية هذه الطبعة في كونها عُنيت بذكر أرقام الآيات ، مما ساعد على الإحصاء . لذلك كانت هذه الطبعة مصدراً ذات قيمة بحد المصحف الشريف .
وما هو الجدول :-

آياتها	ما نزل بسبب	ما نزل بلا سبب	١. سورة
٧	-	٧	١- الفاتحة
٢٨٦	٨٧	١٩٩	٢- البقرة
٢٠٠	٨٩	١١١	٣- آل عمران
١٧٦	٨١	٩٥	٤- النساء
١٢٠	٣٧	٨٣	٥- المائدة
١٦٥	٢٢	١٤٣	٦- الانعام
٢٠٦	٧	١٩٩	٧- الاعراف
٧٥	٢١	٥٤	٨- الانفال
١٢٩	٣٣	٩٣	٩- التوبة
١٠٩	١	١٠٨	١٠- يونس
١٢٣	٣	١٢٠	١١- هود

السورة	آياتها	ما نزل بسبب	ما نزل بلا سبب
١٢ - يوسف	١١١	٢	١٠٩
١٣ - الرعد	٤٥	٨	٣٧
١٤ - ابراهيم	٥٢	١	٥١
١٥ - الحجر	٩٩	٦	٩٣
١٦ - النحل	١٢٨	١٤	١١٤
١٧ - الاسراء	١١١	١٩	٩٢
١٨ - الكهف	٠٠٠	٦	١٠٥
١٩ - مريم	٩٩	٣	٩٦
٢٠ - طه	١٣٥	٥	١٣٠
٢١ - الانبياء	١١٢	٥	١٠٧
٢٢ - الحج	٧٨	١٢	٦٦
٢٣ - المؤمنون	١١٩	٦	١١٣
٢٤ - النور	٦٤	٣٢	٣٢
٢٥ - الفرقان	٧٧	٩	٦٨
٢٦ - الشعراء	٢٢٧	٩	٢١٨
٢٧ - النمل	٩٣	-	٩٣
٢٨ - القصص	٨٨	٦	٨٢
٢٩ - التكاثر	٦٩	٧	٦٢
٣٠ - الروم	٦٠	٧	٥٣
٣١ - لقمان	٣٤	٣	٣١
٣٢ - السجدة	٣٠	٥	٢٥
٣٣ - الاحزاب	٧٣	٢١	٥٢
٣٤ - سبا	٥٤	٢	٥٢
٣٥ - فاطر	٤٥	٤	٤١
٣٦ - يس	٨٣	١٨	٦٥
٣٧ - الصافات	١٨٢	٨	١٧٤
٣٨ - ص	٨٨	٨	٨٠
٣٩ - الزمر	٧٥	١٢	٦٣

السورة	آياتها	ما نزل بسبب	ما نزل بلا سبب
٤٠- غافر	٨٥	٤	٨١
٤١- فصلت	٥٤	٣	٥١
٤٢- الشورى	٥٣	٦	٤٧
٤٣- الزخرف	٨٩	٦	٨٣
٤٤- الدخان	٥٩	١٤	٤٥
٤٥- الجاثية	٣٧	٢	٣٥
٤٦- الاحقاف	٣٥	٨	٢٧
٤٧- محمد	٣٨	٦	٣٢
٤٨- الفتح	٢٩	٦	٢٣
٤٩- الحجرات	١٨	١٣	٥
٥٠- ق	٤٥	٣	٤٢
٥١- الذاريات	٦٠	٣	٥٧
٥٢- الطور	٤٩	١	٤٨
٥٣- النجم	٦٢	١٢	٥٠
٥٤- القمر	٥٥	٦	٤٩
٥٥- الرحمن	٧٨	١	٧٧
٥٦- الواقعة	٩٦	٢٤	٧٢
٥٧- الحديد	٢٩	٣	٢٦
٥٨- المجادلة	٢٢	٩	١٣
٥٩- الحشر	٢٤	٤	٢٠
٦٠- الصمتحة	١٣	٥	٨
٦١- الصف	١٤	٤	١٠
٦٢- الجمعة	١١	١	١٤
٦٣- المنافقون	١١	٣	٨
٦٤- التوبة	١٨	٥	١٣
٦٥- الطلاق	١٢	٣	٩
٦٦- التحريم	١٢	٣	٩
٦٧- الملك	٣٠	١	٢٩

السورة	آياتها	ما نزل بسبب	ما نزل بملا سبب
٦٨- القلم	٥٢	٧	٤٥
٦٩- الحاقة	٥٢	١	٥١
٧٠- الممتار	٤٤	٢	٤٢
٧١- نوح	٢٨	-	٢٨
٧٢- الجن	٢٨	٥	٢٣
٧٣- المزمل	٢٠	٢	١٨
٧٤- المدثر	٥٦	٢٩	٢٧
٧٥- القيامة	٤٠	٦	٣٤
٧٦- الانسان	٣١	٣	٢٨
٧٧- المرسلات	٥٠	١	٤٩
٧٨- النبأ	٤٠	٢	٣٨
٧٩- النازعات	٤٦	٨	٣٨
٨٠- عبس	٤٢	١٢	٣٠
٨١- التكويم	٢٩	٢	٢٧
٨٢- الانفطار	١٩	١	١٨
٨٣- المطففين	٣٦	١	٣٥
٨٤- الانشقاق	٢٥	-	٢٥
٨٥- البروج	٢٢	-	٢٢
٨٦- الطارق	١٧	٤	١٤
٨٧- الأعلى	١٩	١	١٨
٨٨- الناشية	٢٦	١	٢٥
٨٩- الفجر	٣٠	١	٢٩
٩٠- البلد	٢٠	-	٢٠
٩١- الشمس	١٥	-	٥٥
٩٢- الليل	٢١	٢١	-
٩٣- الضحى	١١	٥	٦
٩٤- الشرح	٨	١	٧

السورة	آياتها	ما نزل بسبب	ما نزل بلا سبب
٩٥- التين	٨	١	٧
٩٦- العلق	١٩	١٤	٥
٩٧- القدر	٥	٣	٢
٩٨- البينة	٨	-	٨
٩٩- الزلزلة	٨	٢	٦
١٠٠- الحاديات	١١	١١	-
١٠١- القارعة	٢٠	-	١١
١٠٢- التكاثر	٨	٨	-
١٠٣- النصر	٣	-	٣
١٠٤- البقرة	٩	٩	-
١٠٥- الفيل	٥	-	٥
١٠٦- قريش	٤	٤	-
١٠٧- الماعين	٧	٧	-
١٠٨- الكوثر	٣	٣	-
١٠٩- الكافرون	٦	٦	-
١١٠- النصر	٣	٣	-
١١١- المسد	٥	٥	-
١١٢- الاخلاص	٤	٤	-
١١٣- الفلق	٥	٥	-
١١٤- الناس	٦	٦	-

قلت : ويمكن الخروج من هذا الجدول بخمسة أقسام لسور

للقرآن الكريم على النحو التالي :

أ / هنالك من السور ما استوت فيه الآيات النازلة ابتداءً والآيات

النازلة بأسباب وهذا القسم تمثله سورة واحدة وهي سورة النور .

ب/ ومنها ما نزلت جميع آياته بلا اسباب ، وتلك إحدى عشرة سورة وهي : النمل ، ونوح ، والانشقاق ، والبرق ، والبلد ، والشمس ، والبينة ، والقارعة ، والحصر ، والهمزة ، والفيل .

ج/ ومنها ما نزلت جميع آياته بأسباب ، ومجموعه اثنتا عشرة سورة وهي : الليل ، والحاديث ، والتكاثر ، وقريش ، والماعون ، والكوثر ، والكافرون ، والنصر ، والمسد ، والاخلاص ، والفلق ، والناس .

د / ومنها ما كانت آياته النازلة بأسباب أكثر من النازلة ابتداءً ومجموعه ثلاثون سورة وهي المدثر ، والعلق ، والقدر .

وهجلة هذه الأقسام الاربعة المتقدمة تبلغ سبعاً وعشرين سورة

هـ / ومنها ما كانت آياته النازلة ابتداءً بلا أسباب أكثر من التي نزلت بأسباب . وهذا القسم يمثل ما بقى من سور القرآن الكريم وعدتها سبع وثمانون سورة ، وهو الذي يثبت أن معظم القرآن الكريم نزل ابتداءً بلا أسباب .

هذا وقد ترد في بعض كتب التفسير أسباب لم توجد فسمى كتب أسباب النزول . فيرأى أني لم أعول عليها ، لأن أخذ الشيء من صدره أولى ، ولأن أسباب النزول لا يقال فيها إلا بعد ثبوت النقل الصحيح ، وقد يتساهل بعض المفسرين فينقل بعضهم من بعض بلا روية ولا تحقق . وانى ارى انه لا مانع من ثبوت اسباب بالطريق الصحيح لم تذكر في كتب اسباب النزول ، حيث لم يدع اصحابها الاستقراء التام . وحلى كل فمى ثبت السبب سنداً ومتناً قلنا به . والله يهدينا سواء السبيل .

المبحث الثاني :

معرفة حكم التشريع

تطرقنا في المبحث الاول من هذا الفصل الى مسألة تحليل النصوص ، وناقشناها على النحو الذي تقدم في موضعه هناك ، بعد ان عرضنا أقوال العلماء في تعريف الحلة وبيّنا تقارب آرائهم في ذلك (١) وخلصنا الى اختيار التعريف الجامع لتلك المعاني وهو ان الحلة هي " الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ، وهي مصلحة يَحْتَلبُ به جلبُها او تكميلُها ، ومفسدة يَحْتَلبُ دروغها أو تقليدُها " (٢) ولعلنا من تمام هذا الفصل ان نتحدث في المبحث الثاني منه عن حكم التشريع ، بعد الكلام عن تحليل النصوص وذلك للعلاقة الوثيقة بينهما كما لا يخفى فنقول :

حكم التشريع :

من الثابت المؤكد أن إدراك الحكمة الباعثة على التشريع يعتبر من أهم فوائد معرفة أسباب النزول . وذلك امر لا تقتصر جدواه على المؤمنين فحسب ، بل الشأن فيه أن يجلب الفائدة والمصلحة لكل من يُعْمِنُ النثار ويُسْمِلُ الفكر .

فالمؤمن قد تعتريه بعض الصوامل والمؤثرات التي تضعف من إيمانه وتجعله عرضة للشكوك والأوهام والهواجس ، ومن ثم يجسد نفسه قد فرطاً تفريداً مخلاً بواجباته الدينية . كل ذلك ممكن حدوثه في غياب معرفة الحكمة الباعثة على التشريع .

(١) انظر ص ٧٨ وما بعدها (من هذا المبحث

(٢) اصول الفقه للحضري ص ٢٩٨

لكن الامر يختلف تماما عندما يكون المؤمن مدركا لحكمة التشريع . فهو حينئذ يجد السلاح الواقى له من كل ما من شأنه ان يزعزع العقيدة ، ويدعو إلى التواضع والتكاسل عن القيام بالواجبات الدينية . وبذلك يستطيع أن يثبت من إيمانه ، ويؤمن إلى صحة عقيدته ، وينطلق في طريق الايمان بخطى ثابتة ، متفذا أحكام الله بقناعة تامة دون تردد أو تكاسل .

مع ان المفروض في المؤمن - في حالة عدم إدراكه للحكمة - ان يسلم بوجود حكمة قد غفيت عليه . فالإيمان عزاء نافع يلهم الانسان احيانا مصرفة الحكمة وحيانا يلهمه الثقة في وجود الحكمة ، وان غفيت عليه ، فلعلها تذكشف لخيرته .

اما الكافر اذا استطاع ان يتجرد من أهوائه ، وينظر إلى دلائل الايمان نظرة مجردة - فانه لا محالة واجد في حكمة التشريع ما يقوده إلى الايمان بالله ، وذلك عندما يدرك ، من خلال التشريع أن الدين قائم على العدل ورعاية المصالح بين الناس ورفع الظلم والبغى منهم ، وتهذيب الفرد والمجتمع (١)
ومسألة التدخين في تحريم الخمر هي خير شاهد على الحكمة الإلهية البالغة في هذا التشريع الحكيم .

فقد ورد في سبب نزول آيات تحريم الخمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (قدم المدينة والناس يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فانزل الله " يَسْأَلُونَكَ

(١) انظر : مناهل العرفان " ١٠٢/١ "

عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ " الآية (١) فقال
الناس : ما محرم علينا ، اتنا قال : اثم كبير . وكانوا يشربون
الخمر حتى كان يوم من الايام صلى رجل من المهاجرين ، أم أصحابه
شيء المغرب فخلط في قراءته ، فأنزل الله : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ " الآية (٢) ثم
نزلت آية أظلم من ذلك : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ زُجْجٌ مِّنْ فَعَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ " الى قوله
" فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ " (٣) قالوا : انتهينا ربنا . . . (٤)

واعرج الواحدى بسنده (عن عمر بن الخطاب قال : اللهم
بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، فنزلت الآية التي في البقرة :
" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ " فدعى عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهم
بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، فنزلت الآية التي في النساء :
" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى " - فكان منادى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقام الصلاة ينادى : لا يقربن
الصلاة سكران . فدعى عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في
الخمر بيانا شافيا ، فنزلت هذه الآية : " إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ " فدعى
عمر فقرئت عليه فلما بلغ " فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ " قال عمر : انتهينا . . . (٥)

(١) سورة البقرة " ٢١٩ "

(٢) سورة النساء " ٤٣ "

(٣) سورة المائدة " ٩٠ ، ٩١ "

(٤) لباب النقول ص " ٧٧ "

(٥) اسباب النزول للواحدى ص (١١٨)

قلت : فهذا التدرج كان لحكمة عظيمة يعلمها الله تعالى .
فلو ان التشريع نزل من اول وهلة بتحريم الخمر دفعة واحدة لشقَّ
أمره على بعض الناس ، ولما استجابوا لأمر ربهم ، ولخسروا بذلك
خسرانا مبينا .

على أن بعضهم أدرك مساوىء الخمر وما تجر اليه من إفساد
فادركه فكانت نفسه تتشوق الى التحريم القاطع كما فعل عمر .
ولكن الله تعالى - وهو العليم بأحوال عباده - شرع لهم ما
فيه مصلحتهم ، فتدرج بهم في تحريم الخمر حتى اذا ماتت هيئات
نفوسهم للاقلاع منها ، أنزل عليهم التحريم القاطع ، فتقبلوه طائعين
مذعنين .

الشرائع الالهية وضعت لمصلحة العباد :

وكون الشرائع الالهية وضعت لمصلحة العباد أمر ثابت بالادلة
العقلية والنقلية . ويكفينا هنا ان نشير الى ذلك فى إيجاز
بالامور التالية : فمن رحمة الله تعالى بعباده :-
أ / انه أرسل رسلاً أبانوا لهم حقائق الدين ، وأمرهم بإنذار
المعاندين وتبشير المؤمنين . وذلك ليعرف كل إنسان طريق
الخير وما يقضى إليه من المثوبة الحسنة ، فيحرص عليه ، ويتأى بنفسه
من مسالك التهلكة المفضية الى سوء المصير .

وفى ذلك يقول الله تعالى : (رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا
يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (١)

ب/ وأنه تعالى أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة
 للعالمين . والتعبير بالرحمة لا يضاد رصيرة ولا كبيرة من المصالح
 إلا أحصاها . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١)
 ج/ وأنه تعالى وصف نفسه بالرحمة والرأفة والمطف بعباده .
 وهذه الصفات الثلاث تقتضي وجود المصلحة في أطنى مراتبها
 قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) وقال تعالى :
 ﴿ اللَّهُ لَدَافٍ بِعِبَادِهِ ﴾ (٣)
 د / وأنه تعالى نفى عن نفسه الظلم . ونفى الظلم يقتضي إثبات
 العدل . ومن قول بالعدل فتقد حيزت له المصالح أجمعون .

الحكمة تتجلى في مقاصد الشريعة

وما د منا بصدد الحديث عن خكمة التشريع فلا مناص من الإشارة
 الى بيان مقاصد الشارع الحكيم في وضع الشريعة حيث ان الحكمة
 تتجلى واضحة من غلال عرض هذه المقاصد .
 ومن المعلوم ان مقاصد الشرع لا تعدو ثلاثة أقسام : ضرورة
 وحاجة ، وكمالية .

(١) سورة الانبياء " ١٠٧ "

(٢) سورة البقرة " ١٤٣ "

(٣) سورة الشورى (١٩)

أ) فالضرورة هي كمالٌ منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، بحيث إذا فقدت لم تَجْرِ مصالح الدنيا على استقامة ، بل تفسدت الحياة بفوتها ، ويفوت في الآخرة الفوز برضا الله سبحانه ، وهو الفعيم السرمدي الذي لا يزول . وحِفْظُ الضروريات بما يقيم أركانها وذلك مراعاتها من جانب الوجود . وبما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع ، وذلك مراعاتها من جانب عدم .

(فأصول العبادات راجعة إلى حِفْظِ الدين من جانب الوجود كالإيمان ، والنطق بالشهادتين ، والصلاة والزكاة ، والصيام ، والحج . والعبادات راجعة إلى حفظ النفس والعقل من جانب الوجود كتناول المأكولات والمشروبات والملبوسات وما أشبه ذلك . والمعاملات راجعة إلى حفظ النسل والمال من جانب الوجود ، وإلى حفظ النفس والعقل أيضا ، لكن بواسطة المبادئ : والمراد بالمعاملات ما كان راجعا إلى مصلحة الإنسان مع غيره كانتقال الاملاك بَحْيُونٍ وبغير رَحُونٍ . والجنايات ترجع إلى حِفْظِ الجميع من جانب عدم . والمراد بالجنايات ما كان عائدًا على ما تقدم بالإبطال . فشرع فيها ما يدرأ ذلك الإبطال ويتلافى تلك كالقصاص والدِّيَّكَاتِ والحدود ، وتَضْمِينِ قِيمِ الأموال وما أشبه ذلك .) ومجموع الضروريات خمسة : وهي حفظ الدين والنفس ،

والنسل ، والمال ، والعقل .

ب/ (واما الحاجيات فهي التي يُفْتَقَرُ إليها من حيث التوسعة ورفع التضييق المؤدِّي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المدلول . فاذا لم ترَاجَ دخل على المكلفين - على الجملة -

الحنن والمشقة ، لكنه لا يبلغ الفساد العام . وهي جارية ففسى
العبادات والعادات والمعاملات والجنايات . ففي العبادات كالرُخَص
المخففة بالنسبة الى حقوق المشقة بالمرض والسفر . وفي العبادات
كإباحة الصيد والتمتع بالطيبات . وفي المعاملات كالقِرَاش والمَسَاقَاة (١)
والسَّلَم (٢) وفي الجنايات كضرب الذَّوِيَّة على الحاقلة ، وتضمين
الصَّنَاع وما أشبه ذلك .

ج / (وأما الكماليات فمعناها محاسن العادات . ويجمع ذلك
قسم مكارم الأخلاق . وهي تجري فيما جرى فيه الأوليان : ففسى
العبادات كالطهارات ، وأخذ الزينة ، والتقرب بالنوافل . وفي
العادات كآداب الأكل والشرب ، وتجنب الاسراف والاقتصاد ،
وفي المعاملات كالمنع من بيع النجاسات ، وفضل الماء والكَلْب . وفي
الجنايات كمنع قتل النساء والصبيان والرهبان في الجهاد .
فهذه الأمور راجعة الى محاسن زائدة على أصل المصالح الضرورية
والحاجية ، إذ ليس فسادها بمُخِلٍّ بأمر ضروري ولا حاجي ، وإنما
جبرت مجرى التحسين والتزيين) أ هـ (٣)

(١) المَسَاقَاة هي دفع الشجر لمن يقوم بسقيه ويتعهده حتى يبلغ
تمام نضجه نظير جزء معلوم من ثمره . (فقه السنة لسيد سابق
٣٤٣/٤)

(٢) السَّلَم هو بيع شيء موصوف في الذمة بثمن معجل (فقه السنة
لسيد سابق ١٢١/٤) .

(٣) أصول الفقه للخضري ص ٣٠٠

أقول : وبعد هذا البيان الإضافي يحسن أن نضرب أمثلة من الكتاب الكريم للوقوف على طُرُق من حكمة التشريع . ولتكن هذه النماذج في نطاق الضروريات الخمسة ، وهي حفظ الدين ، والنفس والنسل ، والمال ، والحقل ، على النحو التالي :-

أولاً : حفظ الدين .

ان حكمة التشريع تبدو واضحة في الآيات التي تدعو إلى حفظ الدين من حيث الإيمان بالله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والصوم والحج . وهذه هي أركان الاسلام الخمسة ، فلنتناول كل ركن منها على حدة :

الركن الأول : الإيمان .

في مجال العقيدة نجد القرآن الكريم يدعو إلى الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب . وهو لا يقف عند مجرد الدعوة إلى الإيمان ، بل يربطه بنتائج اللازمة في أسلوب جزل يأخذ القلوب بتأثيره القوي ، حيث يعرض جوانب من مشاهد القيامة ، يبرز فيها أحوال المؤمنين والكافرين في الدار الآخرة . ولا مجال هنا لإحصاء الآيات التي تتحدث عن هذا الأمر ، لانه ما من سورة تخلو من الحديث عنه ، بيد أن المقام يقتضي عرض بعض النماذج . ونكتفي منها بالمثالين الآتين :-

أ / فمن ذلك قول الله تعالى : (ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا) (١)

وهو خطاب للكافرين في الدار الآخرة ، وقد ورد في سياق آيات من القرآن الكريم تذكّرهم بما كانوا عليه في الدنيا من عبثهم بالإيمان بالله ، وتبيين ما يترتب على ذلك يوم القيامة من سوء العقاب الذي يجعلهم يمقتون أنفسهم ويتمنّون على الله ان يخرجهم من النار بصد اعترافهم بذنوبهم .

وحكمة التشريع ظاهرة هنا ، فان الله شرع الايمان للناس ليدروا من انفسهم هذا المصير السيئ ، ولو أنهم فعلوا ما أمرهم به الله لجلبوا لانفسهم المصلحة التي شرع الايمان من اجلها .

قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادونَ لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ . قَالُوا رَبَّنَا أَتَيْنَا نَحْنُ وَأَحْيَيْتَنَا أَتَيْنَا نَحْنُ وَكُفَرْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ . ذَلِكَمْ يَأْتِي إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَاْلْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ " ١

فتأمل كيف قلل الاحكام التي أصدرها ، سواء كانت من جهة الاخبار بها ام كانت من جهة إنشائها . فقد اخبر سبحانه ان الكافرين ينادون " لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ " وهذا الحكم حيثيته مما افصحت عنه " اذ " التحليلية في قوله " اذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ " وهذا هو السبب في مقت الله لهم . ثم حكى عنهم قولهم " رَبَّنَا أَتَيْنَا نَحْنُ وَأَحْيَيْتَنَا أَتَيْنَا نَحْنُ وَكُفَرْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ " والجواب : لا . فكانه قال : الحكم عليكم أنه لا سبيل لكم للخروج من النار ، والسبب ما كنتم عليه في الدنيا ، ذلكم بانه اذا دُعِيَ الله وحده كفرتم .

ب/ ولعل من أروع حِكَم التشريع في هذا المجال ما ورد بسبب نزول قوله تعالى : " آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرَسُولُهُ " الآية (١) فقد ورد فيه أنه (لما نزلت " وَإِنْ تَبَدُّوا مَا نَفْسُ كُفَّكُمْ أَوْ تَخَفَوْهُ خَسَبَكُمْ بِهِ اللَّهُ " (٢)) اشتد ذلك على الصحابة ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جثوا على الركب ، فقالوا : قد انزل عليك هذه الآية ، ولا نطيقها فقال : أتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا : سمعنا واطعنا قَرَأْنَاكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ فلما اقترأها القوم وَجِئَتْ بِهَا أَلَسْتُمْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا : آمَنَ الرَّسُولُ الآية . فلما فعلوا ذلك نسخها الله ، فانزل : " لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا " (٣) (الى آخرها) (٤)

ففي الآية الاولى اختصار مسير للمسلمين ، ولكنهم شحروا بشقل . التبعة فشكوا أمرهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، فيرانه استنكر منهم ذلك وأمرهم بالسمع والطاعة . وهنا نلاحظ الحكمة والوضحة ، فان طاعتهم لله تجلب عليهم المصلحة في الدنيا والآخرة ، فما إن أذعنوا لأمر الله تعالى وقالوا كما علمهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى نزل القرآن يمتدحهم ويشيد بإيمانهم ثم اتبع ذلك بالتخفيف عنهم فنزلت الآية الأخيرة لترفع عنهم لما لم يطيقوه أول مرة .

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ [سورة البقرة : ٢٨٤ - (٣) البقرة ٢٨٦]
 (٢) اسباب النزول للواحدى (٥) =
 وليايب المقول (٦)

الركن الثاني : الصلاة .

الحكمة من مشروعية الصلاة واضحة جليلة ، ولا يحتاج بيانها الى كبير عنا . فهي صلة بين العبد وربه ، وأعظمُ بذلك من حكمة ؛ كما انها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتكون سبباً في عفو الله عن المسيئين .

قال تعالى : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ...) (١)

وقال جل شأنه : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ) (٢)

وقد اخرج الواحدى فى سبب نزول هذه الاية بسند

(من معاذ بن جبل رضى الله عنه . انه كان قاعدا عند النبى صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فقال : يا رسول الله ، ما تقول فى رجل اصاب من امرأة لا تحل له ، فلم يدع شيئا يصيبه الرجل من امراته الا قد اصابه منها ، الا أنه لم يجامعها ؟ فقال توضأ وضوءاً حسناً ثم قم فصل . قال : فأنزل الله تعالى هذه الاية : " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ " الى آخرها .

(١) سورة العنكبوت " ٤٥ "

(٢) سورة هود " ١١٤ "

→ فقال معاذ بن جبل : أهـي له أم للمسلمين عامة ؟ فقال : بل

هي للمسلمين عامة (١)

وقال السيوطي في سبب نزولها أيضا :-

(روى الشيخان (٢) عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبله ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأُنزل الله " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ " فقال الرجل ألي هذه ؟ قال : لجميع أمتي كلهم (٣)
وقال أيضا ما نصه :

(اخبر الترمذي (٤) وفيه عن أبي اليسر (٥) قال :
انتنى امرأة تبتاع تمرًا ، فقلت ، إن في البيت أطيب منه فدخلت
معى البيت ، فأهويت إليها فقبلتها ، فأتيت رسول الله صلى الله

- (١) اسباب النزول للواحدى " ١٥٤ "
- (٢) انظر صحيح البخارى " ٦٤ / ٦ " كتاب التفسير ، سورة هود .
- (٣) لباب النقول ص " ١٠٣ "
- (٤) انظر جامع الترمذى بشرح تحفة الاخوانى ١٢٨ / ٤
- (٥) هو ابو اليسر - بفتحتين - كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو
الانصارى السلمى - بفتحتين - شهد العقبة وبدرا والمشاهد
وكان آخر من مات من اهل بدر وكانت وفاته بالمدينة سنة
ضئ وعشرين من الهجرة (الاصابة ٢٢١ / ٤)

عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فقال : **أَخْلَقْتَ غَايَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا ؟ وَأَطْرَقَ طَوِيلًا حَتَّى أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ إِلَى قَوْلِهِ : " لِلذَّاكِرِينَ " (١) (٢)**

قلت : يبدو جلياً مما تقدم أن في مشروعية الصلاة مصلحة

كبيرة ، تتمثل في اكتساب القرب من الله تعالى ، وتطهير النفوس باجتناّبها الفحشاء والمنكر ، ومحو الذنوب والآثام من صحائف المؤمنين . ولا فرو أن هذا كله مؤداة إلى النعيم المقيم في الدار الآخرة .

هذا ولما كان الوضوء والتميم من لوازم الصلاة فقد شرعها الله

تعالى لحكمة بينها القرآن الكريم ، وهي أن الله تعالى يريد أن يطهر عباده ويزكيهم ويتم نعمته عليهم ، وذلك دفعاً لما يتوهم من

قصد الحرج والمشقة في هذه العبادة التي يسرها الله على عباده

قال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ**

فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ

إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْفِئُوا نَارَكُمْ مَرْصُيًّا أَوْ عَلَى سَفْسِرٍ

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنَ الْخَائِطِ أَوْ لَا مَسَاءَ فَمَا تَجِدُوا مَاءً

فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يَرِيدُ اللَّهُ

لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرٍّ وَلَكِنْ لِّيَطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ

عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (٣)

(١) سورة هود ٢١٤

(٢) لباب النقول ص ١٠٣

(٣) المائة : ٦

وقد اخرج السيوطي في سبب نزول هذه الآية ما نصه :

[روى البخاري في المن طريق عمرو بن الحارث عن عبد الرحمن

ابن القاسم عن ابيه من عائشة قالت : سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة ، فأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فثنى رأسه في حجره راقداً ، وأقبل أبو بكر فلكرني لكرزة شديدة وقال : كَبَسَتْ النَّاسَ فِي قِلَادَةٍ ؟ ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ وحضرت الصبح ، فالتَّمَسَ الماء فلم يوجد ، فنزلت : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ " الى قوله : " تَشْكُرُونَ " فقال أَسِيدُ بْنُ حَضِرٍ (٢) : لقد مارك الله للناس فيكم آل أبي بكر (٣)

الركن الثالث : الزكاة

في القرآن الكريم جملة من الآيات التي تأمر بأداء الزكاة ، وتَحَمُّتٌ على الإنفاق فسي سبيل الله بصفة عامة . والدارس لتلك الآيات لا يكاد يفتيب عن ناظره أسلوب القرآن الكريم في الترهيب والترهيب مما يجعله يدرك بوضوح الحكمة الإلهية من وراء مشروعية الزكاة القائمة على مصلحة العباد في الدارين .

(١) انظر نحو هذا الحديث في صحيح البخاري " ٦٣/٦ " كتاب

التفسير، سورة المائدة .

(٢) هو أَسِيدُ بْنُ حَضِرٍ بن سَمَاك بن عَتِيك بن عبد الأشهل الانصاري

الأشهل . كان من السابقين الى الاسلام وهو أحد النقباء

ليلة العقبة ، وكان ممن ثبت يوم احد ، توفي سنة عشرين من

الهجرة (انظر الاصابة ٤٩/١)

(٣) لباب النقول ص (٦٩)

أ / فمن تلك الآيات قول الله تعالى : - (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ
الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ
وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (١)

وقد اخرج الواحدى فى سبب نزولهن بسنده الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان يقول :- (كان اذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسَمِعُ عند وجهه دَوًى كدَوًى النحل فمكثنا ساعة ، فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا وأعلنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارزقنا . ثم قال : لقد أنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ " الى عشر آيات (٢)

قلت : واى مصلحة - مهما عظم شأنها وجَلَّ قدرها - يمكن ان تضارع الفائدة التى يجنيها المؤمن من فوزه بمروضة الله ودخول الجنة فضلا من التكافل الاجتماعى الذى يحدته أداء الزكاة ؟

ب / ومنها قوله تعالى : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (٣)
وقد نزلت هذه الآية - كما اخرج الواحدى بسنده الى ابن عباس رضى الله عنهما - (فى قوم كانوا قد تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، ثم ندموا على ذلك ، وقالوا :

(١) سورة المؤمنون ، الايات : (١ : ٤)

(٢) اسباب النزول للواحدى ص (١٢٨)

(٣) سورة التوبة (١٠٣)

تكون في الكين والظلال مع النساء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في الجهاد ؟ والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون الرسول هو يطلقها ويمد رنا . واوثقوا انفسهم بسوارى المسجد (١) فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مريهم فرآهم فقال : من هؤلاء ؟ قالوا : هؤلاء تغلفوا منك ، فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر باطلاقهم ، رغبوا عني وتغلفوا عن الغزو مع المسلمين ، فانزل الله هذه الآية (٢) فلما نزلت أرسل اليهم النبي صلوات الله عليه واطلقهم وهذرهم . فلما اطلقهم قالوا : يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا منك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا ، فأنزل الله عز وجل " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ " الآية (٣)

وقد اختلف العلماء في هذه الآية فبعضهم يرى انها خاصة بمن نزلت فيهم ، والبعض الآخر يرى انها في الزكاة المفروضة (٤)

(١) وهؤلاء هم : ابولبابة ، ومرداس ، واوس بن خذام ، وشعبة بن وديعة (لباب النقول " ٩٩ ")

(٢) هي الآية " ١٠٢ " من سورة التوبة : (وَأَخْرَجَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَسَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ فَظُورٌ رَحِيمٌ)

(٣) اسباب النزول للواحدى " ١٤٨ "

(٤) انظر تفسير القرطبي ٣٠ / ١٣ / ٤ (طبعة كتاب الشعب)

وممن ذهب المذهب الثاني الامام القرطبي (١) رحمه الله حيث قال :

(قوله تعالى : " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً " مطلق غير مقيد بشرط في المأخوذ والمأخوذ منه ، ولا تبين مقدار المأخوذ ولا المأخوذ منه ، وإنما بيان ذلك في السنة والإجماع حسب ما ذكره ، فتؤخذ الزكاة من جميع الاموال) (٢)

ومبها يكن من شيء فان الحكمة واضحة في سياق الآية من تطهير النفوس وتركيتها واسترواحها بدعا النبي صلى الله عليه وسلم . وأنعم بذلك من حظ لا تدانيه الحظوظ ، وأعظم به من حظوة تتعشقها قلوب الأبرار من عباد الله الصالحين .

الركن الرابع : الصوم :

نص القرآن الكريم على حكمة مشروعية الصوم في قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَلِكُمْ تَتَّقُونَ) (٣)

(١) هو الامام ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرح الانصارى المخرجي الاندلسي القرطبي المفسر . كان من عباد الله الصالحين ، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا . وكانت أوقاته كلها معمورة بالعبادة والتأليف توفي سنة احدى وسبعين وستمائة (كتاب الاسرائيليات للدكتور ابي شهبه ص ١٩٢)

(٢) الجامع لاحكام القرآن للامام القزويني ٣٠٨٤/٤

(٣) سورة البقرة " ١٨٣ "

وَلَا جَرَمَ أَنَّ اكْتِسَابَ الْمُؤْمِنِ التَّقْوَىٰ انما هو اثر مباشر من آثار
الصوم ، وثمرة طيبة من ثمراته . ويا لها من تجارة رابحة ، فان التقوى
هى زمام الامر وجماع الخيرات كلها . وصدق الله تعالى اذ يقول
(وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (١)

والتصبير بمطلق الخير يشمل كل ما يمكن تصويره من فوائد
الصوم كتطهير النفوس ، وتزكيتها ، والاكثار من ذكر الله ، وعمارة
المساجد ، وقيام الليل ، وكثرة الإنفاق فى سبيل الله ، وعطف
المؤسرين على الفقراء ، الى غير ذلك من فوائد الصوم الكثيرة التى
تدل على حكمة الله البالغة فى مشروعيته القائمة على مصلحة العباد
فى الدارين .

الركن الخامس : الحج

من البدهة ان الحكمة فى مشروعية الحج اظهرت نفسها فى
العبادات الأخرى . فقد جاء التعبير عنها فى القرآن الكريم بانها
منافع يشهد بها حجاج بيت الله الحرام .

قال تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَنُ مِنَ الْعَالَمِينَ) (٢)
وقال جل شأنه : وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . كَيْتَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ .. (٣)

الآيات (٣)

(١) سورة البقرة * ١٨٤

(٢) سورة آل عمران " ٩٧ "

(٣) سورة الحج * ٢٧ ، ٢٨

وفى الآية الاولى دليل وجوب الحج على المستطيعين اليه سبيلا
فقد ذكر السيوطي انه (لما نزل : " وَمَنْ يَبْتَغِ فَيْدًا مِنَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلْيَنْ
سُقْبِلَ مِنْهُ وَهُوَ عَلَى الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (١) قالت اليهود : فنحن
مسلمون . فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله فرض
على المسلمين حج البيت ، فقالوا : لم يكتب علينا ، وأبو ان يحجوا
فانزل الله : " وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَنِي مِنَ الْعَالَمِينَ " (٢)
وفى آيات سورة الحج جاءت حكمة التشريع صريحة معبر عنها
بلام التعليل . ويلاحظ في أسلوب القرآن الحكيم أن كلمة " منافع "
وردت بالتكثير لتكون شاملة لمصالح الدنيا والآخرة .

وهكذا نأتى الى نهاية الكلام عن المقصد الاول من مقاصد
الشرع الحكيم ، لننتقل منه الى بيان بعض ما ورد فى المقاصد الاخرى
وما التوفيق الا من عند الله .

ثانيا : حفظ النفس

لقد قُتِبَت الشريعة الاسلامية بهذا الامر عناية فائقة ، وأحاطته
بسياج متين من الوقاية والضمان ، حيث إن الله - جلَّتْ حكمته -
شرع القصاص لحفظ النفوس من فوائل المعتدين .
قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي
الْقَتْلِ الْحَرْبِ وَالْحَرْبِ وَالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى ، فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ
أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّنْ
رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعَدَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ
حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٣)

(١) آل عمران ٨٥
(٢) آل عمران ٩٧
(٣) [٣] لجام النقول ، ٤٠ ،
(٤) سورة البقرة ١٧٨ ، ١٧٩ .

وَالْقُلُوبُ عَلَى سَبَبِ النُّزُولِ يَسْتَجْلِي بِوَضُوحِ الْحِكْمَةِ الْمَالِفَةِ
 مِنْ وَرَاءِ هَذَا التَّشْرِيعِ الْحَكِيمِ . فَقَدْ جَاءَ فِيهِ [أَنَّ حَيِّينَ مِنَ الْعَرَبِ
 اقْتَتَلُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِقَلِيلٍ ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ قَتْلٌ وَجِرَاحَاتٌ
 حَتَّى قَتَلُوا الْعَبِيدَ وَالنِّسَاءَ ، فَلَمْ يَأْخُذْ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ حَتَّى اسْلَمُوا
 فَكَانَ أَحَدُ الْحَيِّينَ يَتَعَاوَلُ عَلَى الْآخَرِ فِي الْحَدِّ وَالْأَمْوَالِ فَحَلَفُوا
 أَلَّا يَرْضَوْا حَتَّى يُقْتَلَ بِالْعَبْدِ مِنَ الْحَرِّ مِنْهُمْ ، وَامْرَأَةٍ مِنَ الرَّجُلِ
 مِنْهُمْ ، فَنُزِلَتْ فِيهِمْ ، الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى
 بِالْأُنْثَى . . .] أ هـ (١)

فَالْقِصَاصُ فِيهِ حَيَاةٌ لِلْمَقْتُولِ بِأَحْيَاءِ دَمِهِ مِنْ أَنْ يَذْهَبَ هَدْرًا ،
 وَابْتِغَاءٌ عَلَى حَيَاةٍ مِنْ يَرِيدُ الْقَتْلَ بَعْدَ أَنْ يَرْتَدَّعَ وَيَنْزَجِرَ . وَفَوْقَ هَذَا
 كُلِّهِ يَجِيءُ التَّحْلِيلُ لَهُ بِقَوْلِهِ " لِحَلِّكُمْ تَقْوَى " (١)
 فَالْقَضِيَّةُ حِينَئِذٍ حَيَاةٌ فِي الْقِصَاصِ لِيَتَقَى النَّاسُ سَخَطَ اللَّهِ
 وَعَذَابَهُ إِنْ هُمْ تَقَاضَوْا إِلَى هَذَا الْمَبْدَأِ التَّشْرِيعِيِّ . وَلَا رَيْبَ أَنَّ
 حَرْفَ " لِحَلِّ " لِحَلِيلِ الْحَكْمِ وَالْبَاحِثِ عَلَيْهِ .
 هَذَا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
 بِكُمْ رَحِيمًا) (٢) وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ بَيَّنَّتْ أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنَ النَّهْيِ
 عَنْ قَتْلِ النَّفْسِ هِيَ رَحْمَةُ اللَّهِ بِنَا . فَقَوْلُهُ " إِنَّ " لِلتَّوَكِيدِ وَالتَّحْلِيلِ ،

(١) اسباب النزول للواحدي ص " ٢٦ "

(٢) سورة النساء " ٢٩ "

كَأَن سَائِلًا قَال : وَلِمَ يَنْهَانَا اللَّهُ عَنْ قَتْلِ أَنْفُسِنَا وَنَحْنُ أَحْرَارٌ فِيهَا ؟
فَقَالَ : إِمْدَارُهَا يَنْفَى الرَّحْمَةَ ، وَهُوَ الْخَالِقُ ، وَهُوَ الْمَحْيِ وَالْمَمِيتِ
فَيَنْبَغِي أَنْ يَتْرَكَ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ .

والإنسان بطبيعته مفلور على فريزتي حبا لبقاءه والاتقائه .
أي طول العيش والخوف على نفسه فأمره الله أن يفوض الأمر لخالقه
ولكل نفس أَجَلٌ . هذا هو القانون والنظام فإذا خرج الإنسان من
هَذَا بَانَ مَرَضُ نَفْسِهِ لِلتَّهْلُكَةِ أَوْ تَعَجَّلَ مَوْتُهُ فَقَدْ أَثِمَ .

ثالثا : حفظ العقل

هذا المقصد من مقاصد الشرع قد نال نصيبا وافرا من
العناية به في القرآن الكريم ، وذلك لِإِعْظَمِ شَأْنِهِ ، وَعَلَوْ قَدْرِهِ وَمَكَانِهِ .
فبكمال العقل يَشْرَفُ الْإِنْسَانُ ، وَيَبْلُغُ حُظَّهُ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُفْضِي
بِهِ إِلَى سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ .

وقد ورد في التنزيل الحكيم ما يفيد بَأْنَ تَعَاطَى الْخُمْرِ
من الحوامل المثيرة للعداوة والبغضاء بين الناس ، كما أنه يصد عن
ذكر الله وعن الصلاة . وما من أَحَدٍ يَرْضَى الْعِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ وَيَسْتَنْكَفُ
أَنْ يَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ إِلَّا ... كَانَ فِي عَقْلِهِ شَيْءٌ مِنَ الْخُلَلِ .

وانما كانت الخمر سببا لكل هذه الموبقات لانها تخامر
العقل : أي تغطيه وتحجبه عن دلائل الهداية والرشاد . ومن
ثُمَّ جَاءَ سَهْلًا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَمَا يَلِي :

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ (١) رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ
تَتْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي
الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ) (٢)
ومما ورد في سبب نزول هاتين الآيتين :

أ / ما أخرجه الواحدى بسنده الى سعد بن أبي وقاص قال :
(أتيت على نفر من المهاجرين فقالوا : تعال نلصقك ونسقيك خمرًا
وذلك قبل ان يحرم الخمر فأتيتهم في حش - والحش البستان - وإذا
رأس جزور مشويًا عندهم ، ودن من خمر ، فأكلت وشربت ، وذكرت
الأنصار والمهاجرين فقلت : ألم مهاجرين خير من الأنصار ،
فأخذ رجل كحى الرأس (٣) فجدع أنفى بذلك فأتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فأنزل الله في شأن الخمر : (إِنَّمَا
الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ... الآية) (٤)

(١) الأنصاب جمع نصاب : وهي حجارة كان المشركون يقربون لها
الذبايح . والأزلام القداح : كانوا إذا أرادوا السفر جعلوا
قداحا للخروج والجلوس فيفعلون ما تشير به عليهم (انظر
تفسير الطبري ٧٦/٦)

(٢) سورة المائدة * ٩٠/٩١

(٣) اللحي : منبت اللحية من الانسان وغيره (مختار الصحاح ٥١٥)
والمراد هنا عظم الفك الاسفل للبصير

(٤) اسباب النزول للواحدى ص ١١٨

ب/ وما ذكره السيوطي ^{يُنْمِيهِ} الى ابن عباس رضي الله عنهما
 قال : (إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار
 شربوا فلما أن ^{كَمَل} القوم عبت بعضهم ببعض ، فلما صَحَّوا جعل الرجل
 يرى الآخر في وجهه ورأسه ولحيته فيقول : صَنَعَ بِي هذا أَخِي فلان
 وكانوا إخواناً ليس في قلوبهم ضغائن ، فأنزل الله هذه الآية " .
^{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ} الآية (١)
 قلت : ولا تضارب بين الروايتين إذ يمكن الجمع بتعدد
 النزول . وواضح مما تقدم أن الخمر قد ذهبت بالحقول وكادت
 تؤدي الى فتنة طاحنة لولا أن من الله على الناس بتحريمها *
^{وَأَيُّ مَا كَانَ} فان الخمر ما حرمت الا للمحافظة على عقل
 الانسان الذي هو كيانه الحقيقي . وإذا تأملنا الآيات أدركنا الى
 أي مدى كان الأثر السيء عند ما صُرف العقل عن مجال نظره فكيف
 بتعطيله وإهداره ؟ قال تعالى : " وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ
 مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ " (٢) وقال في أكثر من موضع :
 (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) (٣) و (يَتَفَكَّرُونَ) (٤)
 و (يَهْتَفِلُونَ) (٥) و (لِّأُولِي النَّهْيِ) (٦)

(١) (لباب النقول ص " ٧٧ "

(٢) (سورة الملك " ١٠ "

(٣) (سورة يونس " ٦٧ "

(٤) (سورة الرعد " ٣ "

(٥) (سورة النحل " ١٢ "

(٦) (سورة طه " ٢٨ "

وكل هذا تمجيد لمَلَكَاتِ العقل ، وتعدد اختصاصه .
 فإذا ضاع العقل ضاع التَّكْلِيفُ ، انْلا خطاب شرعيا الا بتكليف ، ولا
 تكليف الا بعقل .

ولما كان العقل هو مناط التكليف الشرعي فقد مُنِيت به الشريعة
 ضاية فائقة ، ومن ثم كانت حكمة التشريع في تحريم الخمر هي حماية
 العقل والمحافظة عليه . ولذا فقد جاء التعبير في الآية بـ " لعل "
 لبيان أن الفلاح مرهون بتجنب الخمر . فقال تعالى : " فَاجْتَنِبُوهَ
 كَمَا كُنْتُمْ تُفْلِحُونَ " .

رابعا حفظ المال

قال الله تعالى : (وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ
 السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ الْفُتُورِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِيلِ
 وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) (١)

وقال تعالى : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
 كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) (٢)

وأخرج الواحدى بسنده في أسباب النزول أنه جاء فلام السى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إِنَّ أُمَّي تَسْأَلُكَ كَذَا وَكَذَا ،
 فقال : ما عندنا اليوم شىء ، قال : فتقول لك : اكُنْ قَمِيصَكَ
 قال فخلع قميصه فدفعه إليه وجلس في البيت حاسرا ، فأنزل الله
 سبحانه وتعالى " وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
 الْبَسْطِ " الآية (٣)

(١) سورة الاسراء " ٢٦ ، ٢٧)

(٢) سورة الاسراء " ٢٩ "

(٣) أسباب النزول " ١٦٥)

وروى السيوطي في "لباب النقول" انه (أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بَرٌّ، وكان مَعَطِيَا كريما، فقسمه بين الناس، فأُتاه قوم فوجدوه قد فرغ منه، فأنزل الله: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ مَنْتِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ" الآية (١)

قلت: وإذا تأملنا في الآيات المتقدمة نجد حكمة التشريع واضحة نبيها. ففي قوله تعالى "إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ" نجد أداة التأكيد والتحليل "إِنَّ" مبينة لعلال النهي عن تبذير المال وتضييعه بلا ضائل كما أنها تؤكد حقيقة هامة وهي أن التبذير قد يهبط بالإنسان إلى دركات الشياطين. ولا ريب أن الشخص المبذر سيجد نفسه يوما صِفْرَ اليدين من المال، وهو بطبيعته المسرقة لا يستطيع صبرا طي الفاقة، وسيؤدي به ذلك إلى اتباع الشيطان في كل مسارب، فيستمرى السرقه والقتل والفسخ والمفسر، جرياً وراء الكسب الحرام.

وأما الفداء في قوله (فَتَقَدَّرَ مَلُومًا مُحْسُورًا) فهي للتحليل أيضاً. والذي يحيننا هنا هو تحليلها لقوله "وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ" فقد أوضحت أن الحكمة من وراء هذا النهي هي أن الإسراف في الإنفاق يورث صاحبه الحسرة والندامة لفقدانه كل ما يملك بسبب هذا الإسراف المَكْتَبِت. والمعلوم أن الفعل هنا نُصِبَ في جواب

النهي ، وما ذلك الا لان الفاء للسببية ، والسبب علة باعثة على
تشريع الحكم .

وهكذا الشأن في قوله تعالى : وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ
الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا
مَعْرُوفًا . وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ
رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا . . .
الاية (١)

فانظر كيف اعتبر مال اليتيم مالا للوصي ، وكيف امر بحفظ
المال حتى نأمن منهم الرشد كي لا يضيعوه .
خامسا : حفظ النسل

قال تعالى : (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ
سَبِيلًا) (٢)

في هذه الاية الكريمة نهى الله تعالى عن قرب الزنى . والمراد
بقربه فعل مقدماته المفضية إلى ارتكابه ، فيكون النهى من فعله من
باب اولى

وقوله : " إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً " : " وَسَاءَ سَبِيلًا " بيان لحكمة
التشريع في الاية لان الحرف " إِنَّ " يفيد التعليل والتوكيد

(١) سورة النساء " ٥ ، ٦ "

(٢) سورة الاسراء " ٣٢ "

والحكمة في تحريم الزنى واضحة جلية لان (من عرف آثاره
واضراره من تدنيهن للمعرض والشرف ، وضياح للنسب ، واعتداء على
كرامة الناس ، وتطليع لهم بالعار والشنار ، وتعريض الأولاد للتشرد
والضياح حيث يولد " اللقيط " وهو لا يدري أباه ، ولا يعرف حسبه
ولا نسبه - الى فيما هناك من اضرار) (١) من عرف ذلك أدرك
حكمة الله البالغة في هذا التشريع الحكيم .

[وجريمة الزنى تعتبر في نظر الاسلام جريمة من اشنع الجرائم
ومنكرها من أخبث المنكرات ولذلك كانت عقوبته صارمة لان في هذه
الجريمة هدرًا للكرامة الانسانية وتصديقًا لبنیان المجتمع وفيه ايضا
تعريض النسل للخطر حيث يكثر " اللقيط " وأولاد البغاء ، ولا يكون
هناك من يتعهد بهم ويربيهم وينشأهم النشأة الصالحة] (٢)
قال تعالى : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا
مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) الآية (٣)
(ان الذي يرتكب هذه الجريمة لمجرد الاستمتاع والشهوة
ليس انسانًا بل هو حيوان ، وذلك لان الحيوان تسيطر عليه شهوته
فهو يسير تبعًا لها . والانسان يحكمه عقله ، ولهذا يسير مع منطق

(١) روائع البيان للشيخ محمد علي الصابوني (١١ / ٢)

(٢) المصدر نفسه . (٥٢ / ٢)

(٣) سورة النور " ٢ "

العقل . وليست هذه النريزة التي اودعها الله في الانسان لمجرد
نيل الشهوة او قضاء الوطر بل هي من اجل غاية نبيلة سامية
هي بقاء النسل (أ هـ (١)

ثم انظر الى آيات اللعان التي تحافظ على الأعراض حتى من
الكلمة الجارحة وهو عين صيانة والمحافظة عليها من اي تدنيس .
قال تعالى (وَالَّذِينَ يُرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ
فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ . وَالْخَامِسَةَ
أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَيَذَرُوهَا الْعَذَابُ أَنْ
تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ
عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ . وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ
اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ) (٢)

وقد بين الواحدى وفيه سبب نزول هذه الآيات (٣) غير أن
الذى له مساس بالموضوع هو الوقوف عند فضل الله ورحمته بعد تقريره
لاحكام اللعان . فلو لا فضله ما صينت الأعراض هذه الصيانة . ولو لا
رحمته لخاض الناس فى أعراض فيرهم بلا بينة . . وختام الآية بالحكمة
فى قوله " وَإِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ " يشير الى حكمة التشريع وهى صيانة
الأعراض بأجل ما تُصان به .

وهكذا يتبين مما تقدم أن الشرائع الالهية وضعت لحكمة بالغة
وهى مصلحة العباد فى الدارين . والامثلة على ذلك كثيرة ، ولو
اردنا استقصاءها لطلال بنا المقام ، فهذا حسبنا ، وبالله التوفيق

(١) روائع البيان ٥٣ / ٢

(٢) سورة النور (٦ - ١٠)

(٣) انظر اسباب النزول " ١٨٠)

الفصل الرابع

فی دفع توهم الحصر

وتعیین البرہات

وفیہ بیانات

المبحث الأول :

دفع توهم الحصر .

المبحث الثاني :

تعیین البرہات .

الفصل الرابع :

دفع توهم الحصر وتعيين المبهمات

هذان الأمران من الأمور الدالة على أهمية معرفة أسباب النزول وقد أورد هـما العلماء ضمن فوائد الأسباب . (١)

ولا ريب أن دفع توهم الحصر وتعيين المبهمات من أهم العوامل التي تعين الدارس للقرآن الكريم على الإدراك السليم والفهم الصائب لمدلولات النصوص القرآنية . وسأبين ذلك في محشين على النحو التالي :-

المبحث الأول :

دفع توهم الحصر

من النصوص ما يفيد بظاهرة الحصر ، على حين يكون المعنى المراد منه سوى ذلك ؛ وفي مثل هذه الحالة ينبغي الرجوع إلى أسباب النزول للوقوف على مقصد النص .

(١) انظر البرهان (٢٢/١) ، والاتقان (٣٠/١)

ومن ذلك قوله تعالى : (قُلْ لَا أُجِدُ فِيهَا أُوحًى إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى نَوَاحِمِ شَهْوَاهِمُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) الآية (١)

فإن من يتدبر هذه الآية يحزر من سبب نزولها يتوهم من ظاهر النص أنها حصرت المحرمات في الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به .

لكن الحصر غير مراد في الآية ، بدليل أن هنالك محرمات أخرى ذكرت في آيات أخر ، كالتي وردت في قوله تعالى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْتُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ) الآية (٢)

والحق أن المراد من الحصر الصوري الذي ورد في سياق الآية السابقة هو مشادة الكفار ومحاداتهم بمعاملة لهم بالمشركين . فقد ذهب الإمام الشافعي إلى أن الآية إنما نزلت بسبب معاندة الكفار وإصرارهم على تحريم ما أهل الله ، وتحليل ما حرم الله (٣)

(١) سورة الأنعام (١٤٥)

(٢) سورة المائدة (٣)

(٣) انظر : مناهل العرفان (١٠٥ / ١)

وبيان ذلك : (أَنْ الْكُفَّارَ لَمَّا حَرَمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَأَكَلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، وَكَانُوا عَلَى الْمُضَادَّةِ وَالْمُحَادَّةِ جَاءَتِ الْآيَةُ مُنَاقِضَةً لِمَا رَضِمُوا فَكَانَهُ قَالَ : لَا حَلَالَ إِلَّا مَا حَرَمْتُمُوهُ ، وَلَا حَرَامَ إِلَّا مَا أَحَلَلْتُمُوهُ ، نَارِئًا مَنْزِلَةً مِنْ يَقُولُ لَكَ : لَا تَأْكُلِ الْيَوْمَ حَلَاوَةً ، فَتَقُولُ : لَا أَكُلُ الْيَوْمَ إِلَّا حَلَاوَةً . وَالضَّرْفُ الْمَعَانِدَةُ لَا النَّفْسِيُّ وَالْإِثْبَاتُ عَلَى الْحَقِيقَةِ . وَكَانَهُ قَالَ : (لَا حَرَامَ إِلَّا مَا أَحَلَلْتُمُوهُ مِنَ الْمَيْتَةِ ، وَالْدَمِ ، وَلَحْمِ الْخَنزِيرِ ، وَمَا أَهْلُ لُغَةِ اللَّهِ بِهِ) . وَلَمْ يَقْصِدْ حِلَّ مَا وَرَاءَهُ ، إِذِ الْقَصْدُ اثْبَاتُ التَّحْرِيمِ لَا اثْبَاتُ الْحِلِّ (١)

وهكذا يتضح مما تقدم أن الحصرَ الحقيقيَ فيروارد في الآية مولوجاً معرفة السبب لجاز أن يُفهم ذلك منها ، ولقام - حينئذٍ - تعارض بينهما وبين آية المائدة التي ذكرت أنواعاً أخرى من المحرمات . فيروارد أن الوقوف على سبب النزول دفع توشم الحصر وأبان المعنى المراد على وجه المطلوب .

(١) انظر : البرهان (١ / ٢٣) ، والإتقان (١ / ٣٠)

ويلاحظ أن في الآية إشارة إلى هذا المسمى المراد منها ،
وذلك في قوله تعالى (فِيمَا أُوْحِيَ إِلَيَّ) أي الآن . ومن المعلوم
أن سورة الأنعام مكية ومن أوائل ما نزل فكان القصد فيها لدفع
التوهم . واستخدام القرآن لهذا الأسلوب إنما المراد به مزيد
من التأكيد للمعاندين والخصوم . فهم في الواقع هم الذين
وقفوا على المضادة والمحاذاة للقرآن الكريم فوقف منهم نفس الموقف ،
فالقرآن لم يبدأهم بذلك وإنما أمرهم ونهاهم ، فلما ارتكبوا
جريمتين : - رفض الأمر وتنفيذ الضد - بين لهم أنهم انحذروا بذلك
إلى الحضيض ، وليس منعناه أنه من أجل مفادهم حرم كما يُظن .
كلا إن القرآن يحرم حيث يوجد مقتضى التحريم ، لا لأنه يبنى تحريمه
على حل الكفار ، وتحليله على تحريمهم ، وإنما يريد أن ينقل لنا
صورة ما انتهوا إليه من ترك الأمر وتنفيذ الضد . ونتيجة لذلك
فإنهم كانوا في جانب ، والصواب في جانب آخر .

المبحث الثاني

تحسين المبهمات

في القرآن الكريم ألفاظ تتحدث أحيانا عن أفراد معينين ،
وأحيانا عن جماعات مصروفة . غير أن تلك الألفاظ فيها من الإبهام
والصموم ما لا يمكن معه التصرف على أشخاص هؤلاء وأولئك إلا بالرجوع
إلى أسباب النزول . ولهذا كان تعيين المبهمات من أهم فوائد
معرفة أسباب النزول . فان السبب يدل على من نزلت فيه الآية
أولآيات بعينه ، فلا يشتبه بغيره ، فينتج عن ذلك اتهام السببي
وبراءة الجاني كما حدث من مروان بن الحكم حينما اتهم عبد الرحمن
ابن أبي بكر بأنه هو الذي نزل فيه قول الله تعالى :- (وَالَّذِي
قَالَ لِيُؤَدِّيهِ أُفٍّ لَّكَمَا اتَّعِدَ إِنِّي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي
وَهُمَا يَسْتَفْهِتَانِ اللَّهَ وَإِلَّكَ آمِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا
إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ) (١) فردت عليه أم المؤمنين عائشة نافية

ذلك الاتِّهامَ حيث قالت : (كَذَبَ وَالله ، ما نزلت فيه ، والله ما
نزلت إلا في فلان بن فلان الفلاني) (١)

وهذه أمثلة لبعض المبهمات التي وردت في القرآن الكريم
نذكرها مع بيان أسباب نزولها لنرى مدى أهمية معرفة السبب في
تعيين هذه الألفاظ وأمثالها . وسنختارها مرتبة على حسب
ورودها في المصحف ، على النحو التالي :

أولها " مَبْنٌ " في قوله تعالى : " وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ
قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلْسِنُهُ
الْخِصَامِ (١٠٠) الْآيَةُ (٢) فإن المراد بهذا اللفظ هو الأَخْنَسُ
ابن شريق الذي (أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر له
الإسلام فأعجبه ذلك منه ، ثم خن فمَرَّ بزعم لقوم من المسلمين وحُمِرَ
فأحرق الزرع وحَقَّرَ الحُمُرَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ) (٣)

(١) انظر فتح الباري (٥٧٧/٨)

(٢) سورة البقرة (٢٠٤)

(٣) لبياب النقول ص (٢٨)

الثاني : مَنْ أَيْضًا ، في قوله تعالى : " وَمِنَ النَّاسِ

مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ " (١)
فإن المراد به صهييب الرومي حينما (أقبل مهاجرًا نحو رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من قريش من المشركين ، فنزل عن
راحلته ونثر ما في كنانته ، وأخذ قوسه ، ثم قال : يا معشر قريش
لقد علمتم أنني من أركم رجلا ، وأيم الله لا تصلون إليّ حتى أرمي
بما في كنانتي ، ثم أضرب بسيفي ما بقى في يدي منه شيء ، ثم
افعلوا ما شئتم . قالوا : دلنا على بيتك ومالك بمكة ونخلى عنك ،
وعاهدوه إن دلهم أن يدعوه ، ففعل . فلما قدم على النبي صلى
الله عليه وسلم قال : أبا يحيى ، ربيع البيع ، ربيع البيع ، وأنزل
الله : " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ " (٢)

(١) سورة البقرة " ٢٠٧ "

(٢) أسباب النزول للواحدى " ٣٤ "

الثالث : " الَّذِينَ " فى قوله تعالى : (أَلَمْ تُرِ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا) (١)

والمراد بهذا اللفظ اثنان من اليهود وهما : حَيَّ بن أخطب وكعب بن الأشرف (وقد جاءا إلى أهل مكة فقالوا لهم : أنتم أهل الكتاب وأهل العلم القديم ، فأعبروا عنا وعن محمد . فقالوا : ما أنتم ؟ وما محمد ؟ قالوا : نحن نَشْرُ الكُومَاءَ (٢) ونَسْقِي اللبن على الماء ، وَنُقِى الحَانِى (٣) ونَصِل الأرحام ، ونَسْقِي الحجيج ، وديننا القديم ، ودين محمد الحديث . قالوا : بل أنتم خير منه وأهدى سبيلا . فأنزل الله : " أَلَمْ تُرِ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ " (٤)

الرابع " مَن " فى قوله تعالى : (وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ اقْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) (٥) فإن المراد به الجدُّ بن قيس ، أحد المناغقين وسيد بنى سلمة .

(١) سورة النساء (٥١)

(٢) الكوماء : الناقة الضخمة السنام .

(٣) الحانى : الأسير .

(٤) أسباب الغزول للواحدى (٨٨)

(٥) سورة التوبة (٤٩)

وذلك أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم (لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى غَزْوَةِ
تَبُوكَ ، قَالَ لِلجَّدِّ بْنِ قَيْسٍ : يَا جَدُّ بْنُ قَيْسٍ ، مَا تَقُولُ فِي مَجَاهِدَةِ
بَنِي الْأَصْفَرِ ؟ (١) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَمْرٌ صَاحِبُ نِسَاءٍ ،
وَمَتَى أَرَى نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ افْتَتَنُ ، فَأَتَذَنُ لِّى وَلَا تَفْتِنَنِّى فَأَنْزَلَ
اللَّهُ : (وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ اتَذَنَ لِّى وَلَا تَفْتِنَنِّى) (٢)

الخامس x " مَن " فى قوله تعالى : (وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِى
الضَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ
يَشْخَعُونَ) (٣)

وهذه الآية نزلت فى ذِي الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيِّ حِينَما جَاءَ إِلَى
النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَوَجَدَهُ يَقْسِمُ قَسْمًا فَقَالَ : اْعْدِلْ . فَقَالَ
لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : وَبَيْتُكَ ، مَن يَحْدِلْ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ؟
فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (٤)

(١) بنو الأصفر : هم الروم .

(٢) لباب النقول ص (٩٥)

(٣) سورة التوبة . (٥٨)

(٤) لباب النقول (٩٥)

السادس : " مَنْ " أَيْضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (... إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ
وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ...) (١) فَإِنَّهُ نَزَلَ فِي عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ . وَذَلِكَ
(أَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَخَذُوهُ وَأَبَاهُ يَاسِرًا وَأُمَّهُ سَمِيَّةَ وَصَهِيبًا ، وَبِلَالًا ،
وَحَبَابًا ، وَسَالِمًا . فَأَمَّا سَمِيَّةُ فَإِنَّهَا رُبِعَتْ بَيْنَ بَعِيرَيْنِ وَوُجِئَتْ
قَبْلَهَا بِحَرَبَةٍ ، وَقِيلَ لَهَا : إِنَّكَ أَسْلَمْتِ مِنْ أَجْلِ الرِّجَالِ ، فَقَتَلَتْ
وَقَتَلَ زَوْجُهَا يَاسِرٌ ، وَهُمَا أَوَّلُ قَتِيلَيْنِ قَتِلَا فِي الْإِسْلَامِ . وَأَمَّا عَمَّارُ
فَإِنَّهُ أَصْلَحَهُمْ مَا أَرَادُوا بِلِسَانِهِ مُكْرَمًا . فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنَّ عَمَّارًا كَفَرَ ، فَقَالَ : كَلَّا ، إِنَّ عَمَّارًا بَلِيٌّ إِيْمَانًا مِنْ قَرْبِهِ
إِلَى قَدَمِهِ ، وَاخْتَلَطَ الْإِيمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ . فَأَتَى عَمَّارٌ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْكِي ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : إِنَّ مَا دُوا لَكَ فَطَدَّ لَهُمْ بِمَا قُلْتَ .
فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ (٢)

السابع : " الَّذِي " فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ
بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا) فَقَدْ أُنْزِلَ فِي الْحَاصِ بْنِ وَائِلٍ
الْمَسْمُومِ ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا أَتَاهُ حَبَابُ بْنُ الْأَرْثِ بِتَقَاضَاهُ فِي كَدِّينَ لِسَهْ

(١) سُورَةُ الْاَنْحُل ١٠٦
(١) اَسْبَابُ النُّزُولِ لِلْوَاحِدِ (٠٦٢)

(٢) سُورَةُ مَرْيَمَ (٧٧)

منده فقال العاصي : لا والله ، لا أعطيك حتى تكفر بمحمد . فقال
سباب : لا والله ، لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تُبعث . قال :
إني إذا متُّ ثم بُعِثْتُ جُثَّتِي ، وسيكون لي ثمَّ مال وولد ، فأعطيك .
فأنزل الله تعالى : " أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا " (١)

الثامن : " مَذَانِ خَصْمَانِ " في قوله تعالى : (هَذَانِ خَصْمَانِ
اِشْتَصَمَا فِي رَبِّهِمْ . . .) (٢) فإن هذه الآية نزلت يوم صدر
في الستة الذين تبارزوا ، وهم : حمزة بن عبد المطلب ، وعلي
ابن أبي طالب ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف من
المسلمين - وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة من
المشركين (٣)

التاسع : " أُولُوا الْفَضْلِ " في قوله تعالى : (وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا
الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . .) (٤)

(١) أسباب النزول للواحدى (١٧٣)

(٢) سورة الحج (١٩)

(٣) انظر لباب النقول (١١٩)

(٤) سورة النور (٢٢)

فإنه نزل في أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
 قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : (... فلما أنزل الله
 تعالى هذه الآية (١) في براءتي قال الصديق ، وكان ينفق على
 مسلح لقربته وفقره : - والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال
 لعائشة ما قال ، فأنزل الله تعالى : « وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ
 وَالسَّخَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَى » إلى قوله : « أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ
 لَكُمْ » فقال أبو بكر : والله إنني أحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى
 مسلح النفقة التي كانت عليه وقال : لا أنزعها منه أبدا (٢)
 العاشر : " مَنْ " في قوله تعالى : (وَمَنْ النَّاسِ مِنْ كَيْشَعْرِ لَهْمٍ
 الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِمِرْطَمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ
 عَذَابٌ مُهِينٌ) (٣) فإن المراد به النضرين السبحارث الذي
 اشترى قينة (٤) وكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به
 إلى قينته ، فيقول : أطمعته واشقيه وغنيته ، هذا خير مما يدعوك
 إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه ، فنزلت هذه
 الآية (٥)

(١) هي الآية الحادية عشرة من سورة النور، وأولها : " إِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " (...)

(٢) أسباب النزول للواحدى (١٨٥)

(٣) سورة لقمان (٦)

(٤) القينة - بالفتح - الأمة -

(٥) لباب النقول (١٣٥)

الحادى عشر : " رَجَالٌ " فى قوله تعالى : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ

صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ
وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا) (٥) فإنه نزل فى أنس بن النضر وأصحابه :

(من أنس بن مالك قال : فابعمتي أنس بن النضر ، وبه

سُمِّيَتْ أَنَسًا ، عن قتال بدر ، فشق عليه لما قَدِمَ ، وقال : فَبِئْسَ

عن أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لَكَيْسٌ

أَشْهَدَنِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ قِتَالًا لِّمَنْ لَّا اللَّهُ مَا أَصْنَعُ . فلما كان يومُ أُحُدٍ

انكشف المسلمون فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء

المشركون ، وأعتذر إليك فيما صنع هؤلاء ، يحيى المسلمين ،

ثم مشى بسيفه فلقبه سعد بن معاذ فقال : أَيْ سَعْدُ ، والذي

نفسى بيده إني لأَجِدُ ريح الجنة دون أُحُدٍ ، فقاتلهم حتى قُتِلَ .

قال أنس : فوجدناه بين القتلى ، به بضع وثمانون جراحة ، من

بين هزبة بالسيف وطعنة بالرمح ، ورمية بالسهم ، وقد مَثَلُوا بِهِ ،

وما عرفناه حتى عرفته أخته ببنائه . ونزلت هذه الآية : " مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ " قال وكنا نقول : أنزلت هذه

الآية فيه وفى أصحابه (أ هـ (٢)

(١) سورة الأحزاب (٣٢)

(٢) أسباب النزول للواحدى (٢٠٢) وانظر كذلك : صحيح البخارى

(٣٦١/٦)

الثاني عشر " الَّتِي " في قوله تعالى : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي
تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (١)

فإن التي جادلت زوجها هي خولة بنت ثعلبة كما ورد في
سبب نزول الآية الذي بينته فائشة أم المؤمنين بقولها : (تبارك
الذي وسع سمعه كل شيء . إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى
عليّ بعضه وحي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحي تقول : يا رسول الله ، أهلي شامي ، ونثرت له بطنى ، حتى
إذا كبر سنى ، وانقطع ولدى ، ظاهر منى ، اللهم إني أشكو إليك .
فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات : " قَدْ سَمِعَ
اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ " (٢)

(١) سورة المجادلة (١)

(٢) أسباب النزول للواحدى (٢٣١)

الثالث عشر : (الْأَعْمَى) في قوله تعالى (حَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ)
 (الْأَعْمَى) (١) فإنه نزل في عبد الله بن أم مكتوم حينما (أتى النبي
 صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة بن ربيعة ، وأبا جهل بن هشام
 وعباس بن عبد المطلب ، وأبياً ، وأمّية ابني خلف ، ويدعوهم إلى السي
 الله تعالى ويرجو إسلامهم ، فقال ابن أم مكتوم وقال : يا رسول
 الله ، علّمني مما علّمك الله ، وجعل يناديه ويكرر النداء ، ولا يدري
 أنه مشغل مُقْبِل على غيره ، حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لِقَطْعِهِ كَلَامَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ .
 فَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَدِّ ذَلِكَ يُكْرِمُهُ ، وَإِذَا رَأَاهُ يَقُولُ :
 مَرْحَبًا بِمَنْ مَا تَبْنَى فِيهِ رَبِّي) (٢)

قلت : هذه هي بعض المواضع التي اشتملت على ألفاظ
 مَبْهَمَةٍ يلزم لتعيينها الوقوف على سبب النزول . وهي كثيرة فسي
 القرآن ، يَبْدَأُ أَنْ هَذِهِ النِّمَازَجُ كَافِيَةٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَعْيِينِ الْمَبْهَمَاتِ
 مِنْ طَرِيقِ سَبَبِ النِّزُولِ .

(١) سورة عبس (٤١)

(٢) أسباب النزول للرازي (٢٥٥)

ولا بُدَّ من التذكير بأن هذه الألفاظ مع كونها نزلت بشأن
أشخاص معينين وبسبب أحوال خاصة ، إلا أنها تتعدى تلك الأسباب
إلى غيرها في الحكم ، فتتطبق على كل الأشخاص المعاشين ،
وعلى كل الحالات المشابهة ، وذلك لأن العبرة بعموم اللفظ لا
بخصوص السبب كما سيأتى قريباً إن شاء الله .

أما السُّرُّ في إيهام القرآن في مثل هذه المواضع ، فلغواً
عديدة ، منها :

أ / السُّرُّ على من سَيَحْسُنُ إسلامه فيما بعد ، إذ لو صُرح :
باسمه لربما أحجم عن الدخول في الإسلام .

ب / ومنها إرادة العموم .

ج / ومنها التحليم لنا : كيف نعبر عن المعاني بالألفاظ .
لا تجرح أحداً . فلو أنه أُعلن عن اسم خولة لجاز أن يشقَّ على
زوجها ، وهكذا . (١)

(١) لمعرفة المزيد من أسباب الإيهام انظر البرهان (١ / ١٥٥)

الفصل الخامس

في عموم اللفظ وخصوص السبب

هل العبارة بعموم اللفظ

أو

بخصوص السبب؟

وما الذي يترتب على كل من القولين؟

الفصل الخامس :

هل العبارة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب ؟
وبيان ما يقرب على كل من القولين

العموم والخصوص من المباحث الأصولية التي أفرد لها علماء الأصول بالكلام ليتسنى لهم الاستدلال بألفاظ الشارع على الأحكام الشرعية .

وقد عرفتوا العام بأنه (هو اللفظ الموضوع لاستفراق أفراده ما يصلح له) (١)

وبعبارة أخرى (هو اللفظ الدال على كثيرين ، المستفترق في دلالة لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد) (٢)

ومثلوا لذلك بلفظ (الرجال) لأنه لفظ عام يستفترق كل ما يصلح له من حيث الوضع .

وقولهم " بحسب وضع واحد " هو قيد في التعريف ، ليخرج الألفاظ المشتركة كلفظ " مَن " فإنه يدل على الذات ، كما يدل على الصين الباصرة ، والعين الجارية .

(١) أصول الفقه للشيخ محمد الخضرى ص " ١٤٧ "

(٢) أصول الفقه للشيخ محمد ابى زهرة ص " ١٥٦ "

كذلك تكلموا على الخاص ، وعرفوه بأنه : (هو اللفظ الذى
وُضِعَ لمعنى واحدٍ على سبيل الانفراد أى اللفظ الذى يدل على
معنى واحدٍ ، سواءً أكان ذلك المعنى جنساً "كحيوان" أم كان نوعاً
"كإنسان" و "كرجل" أم كان شخصاً كزيد . وإبراهيم ، فما دام المسمى
واحداً فهو الخاص) (١)

وهذا المبحث ، مع كونه متعلقاً بعلم الأصول ، فهو على صلة
وثيقة بأسباب النزول ، لأنَّ المَشَاهِدَ فى القرآن الكريم أن بعض
آياته تنزل بألفاظ عامة على أسباب خاصة .

ومن هنا جاء السؤال : هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص
السبب ؟ وبعبارة أخرى : أعموم اللفظ هو المعتبر فى الحكم ، أم
خصوص السبب ؟

اختلف العلماء فى هذه المسألة على رأيين كما يلى :-

أ / ذهب جمهور العلماء إلى أن العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص
السبب . ومعنى ذلك أن جميع أفراد اللفظ داخله فى الحكم
ولا فرق فى ذلك بين أفراد السبب وغير أفراد السبب إذ فى الحكم
يتناولهم جميعاً بمقتضى عموم النص نفسه ، دون اللجوء الى دليل
آخر من قياس أو سواه ، إذ لا مجال للقياس أو الاجتهاد مع وجود
النص .

والمثال على ذلك آيات الملاعة التى تبتدئ بقوله تعالى سبى
: وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهِدَاتٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَسَبَّوهُ

أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (١) .
فهذه الآيات نزلت بسبب خاص وهو قذف هلال بن أمية
لزوجته . ولكن لما كانت العبرة بعموم اللفظ ، فإن الحكم ينطبق
على حادثة هلال ، ومن ثم يشمل كل حالة مشابهة لها ، فكل
من يقذف زوجته ينسحب عليه الحكم الذي طُبِّقَ على هلال بن أمية
وذلك بمقتضى نص الآية ، دون الرجوع الى دليل آخر . هذا هو
رأى الجمهور .

ب/ وذهب فير الجمهور إلى أن العبرة بخصوص السبب
لا بعموم اللفظ . وَيَحْتَمِلُونَ بِذَلِكَ أَنَّ الآية التي نزلت في حادثة معينة
ينبغي أن تكون خاصة بتلك الحادثة ، ولا تتعداها لغيرها فسي
الحكم . اما ما يشابهها من حالات أخرى فإن حكمه لا يوشد
من ذلك النص المختص بسببه ، وإنما يثبت دليل آخر هو القياس
أو قوله صلى الله عليه وسلم : " حكمى على الواحد حكمى على
الجماعة " (٢)

(١) سورة النور : الايات من ٦ - ١٠

(٢) قال الدكتور الشيخ محمد أبو شهبه في كتاب " المدخل
لدارسة القرآن الكريم ص ١٥٦ ما نصه : (جرت كتب الأصول
على قد هذا الكلام حديثاً ، وهو بهذا اللفظ لا يفسر
ولا يثبت من النبي صلى الله عليه وسلم . وإنما هو في معنى
حديث رواه الترمذى وقال : حسن صحيح - والنسائي وابن
ماجة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مبايعة النساء
" إِنِّي لَا أَصَاحُ النِّسَاءَ ، وَمَا قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَّا كَقَوْلِي
لِامْرَأَةٍ امْرَأَةً " انظر : كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر
من الأحاديث على ألسنة الناس جزء ١ ص ٢٦٤) هـ

وعلى هذا الرأي فإن الآيات النازلة بسبب حادثة هلال وزوجته
تكون خاصة بتلك الحادثة، ولا تتعداها إلى سواها من الحوادث
المشابهة ، إذ العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ .

ويشترط في قيام هذا الخلاف بين الجمهور وفريقهم عدم وجود
قريئة مخصصة للفظ العام بسبب نزوله . أما إذا وجدت هذه القريئة
فلا مكان للخلاف بين الفريقين ، إذ الكل مجمعون على قصر الحكم
على سببه .

ومثال ذلك قوله تعالى : (وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَى الَّذِي يُؤْتِي
مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ
الْأَعْلَى) (١)

قالوا : إن المراد بالآتقى هو أبو بكر الصديق على وجه
الخصوص ، واشترطوا في استقامة هذا التمثيل أن تكون "أل" فسي
لفظ "الآتقى" للمجهول والمصمود هو الصديق رضى الله عنه (٢)

(١) سورة الليل (١٧ - ٢١)

(٢) انظر : مناهل الصرفان (١ / ١١٧)

جاء في أسباب النزول أن أبا قحافة والزأبي بكر الصديق قال له ذات مرة : (أراك تحق رقاباً ضحافاً ، فلو أنك اعتقت رجالاً جلدًا يمنعونك ويقومون دونك يا بُنَيَّ . فقال : إني إنما أريد ما عند الله . فنزلت هذه الآيات : " فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى " إلى آخر السورة (١)

وفي رواية (أن أبا بكر الصديق اعتق سبعة كلهم يحدب في الله . وفيه نزلت : " وَسَيَجْزِيهَا اللَّهُ تَقَى " إلى آخر السورة) (٢)
وفي أخرى (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أبا بكر أن بلالاً يحدب في الله . فحمل أبو بكر رطلًا من ذهب فابتاعه به فقال المشركون : ما فعل أبو بكر ذلك إلا ليده كانت لبلال عنده فأنزل الله تعالى : - وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى - (٣)

هذا ، وينبغي التنبيه إلى أن الجميع متفقون على عموم أحكام الآيات النازلة على أسباب خاصة ، فلا خلاف بين الجمهور وغيرهم

(١) لباب النقول ص ١٨١

(٢) المصدر نفسه

(٣) أسباب النزول للواحدى ص ٢٥٥

في عموم تلك الأحكام ، فير أن الجمهور يرؤن أن العموم مستفاد من نص الآية ، دون الرجوع إلى القياس أو غيره . فالحكم - عنكم - يتناول أفراد السبب ~~بغير~~ ^{غير} أفراد السبب بنص الآية .

وفير الجمهور يرؤن أن العموم مستفاد من دليل آخر فير النص المختص بسببه . ويقولون : - إن الحكم يتناول أفراد السبب بنص الآية ويتناول ~~غير~~ ^{غير} أفراد السبب عن طريق القياس أو بنص آخر ، كحديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفى بيان هذا الأمر يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله :

(فالذين قالوا ، لم يقصدوا أن حكم الآية مختص بأولئك الأعيان ، دون غيرهم ، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق .

(والناس ، وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب : هل يختص بسببه ؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المصين ، وإنما غاية ما يقال : أنها تختص بنوع ذلك الشخص ، فتضم ما يشبهه ، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ . والآية التي لها سبب معين ، إن كان أمراً أو نهياً فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلة . وإن كانت نهياً بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص ولمن كان بمنزلة) أهـ (١)

أدلة الفريقين :

بعد هذا العرض المتقدم لرأى الجمهور وغيرهم فى عموم "المسألة"
وخصوص السبب ، نعود إلى أدلة الفريقين فنبسّطها فيما يلى :-

لقد لخص الشيخ الزرقانى - رحمه الله - أدلة الجمهور وأدلة
مخالفيهم تلخيصاً جيداً ١٢ . ورأيت أن أستصير من قوله ما يفرس
بالفرض هنا . وفيما يلى أورد نص ما استحسنّت نقله من ذلك
التلخيص :-

أ / أدلة الجمهور :

قال رحمه الله :- (١)

(استدلال الجمهور على مذهبهم بأدلة ثلاثة :

[الأول : أننا نعلم أن لفظ الشارع وحده هو الحجة والدليل ،
دون ما احتف به من سؤال أو سبب فلا وجه إذن لأن نخصص اللفظ
بالسبب . وكيف يسوغ أن نجعل ما ليس حجة فى الشرع متحكماً
بالتخصيص على ما هو الحجة فى الشرع ؟

[والدليل على أن لفظ الشارع وحده هو الحجة ، أن الشارع

قد يصرف النظر عن السؤال ، ويحدّل بالجواب عن ستن السؤال
لحكمة ، نحو قوله تعالى " يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أُنْفِقُ مِنْ
خَيْرِ فُلُلُودِ الدِّينِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالتَّائِمِينَ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ . (٢)

(١) انظر : مناهل العرفان " ١ / ١٤٠ - ١٢٧)

(٢) سورة البقرة (٢١٥)

فإن ظاهر هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن بيان ما ينفقونه فجاء الجواب ببيان من ينفقون عليهم . وذلك من أسلوب الحكيم ، لأن معرفة مصارف النفقة والصدقة أهم من معرفة المصروف فيهما ، فإن إصلاح الجماعة البشرية لا يكون إلا من طريق تنظيم النفقة والإحسان ، على أساس توجيههما إلى المستحقين دون سواهم . وهذا وجه في الآية نراه وجيهاً ، وإن كانت الآية قد أشارت إشارة غفيفة ، إلى بيان ما ينفقونه بقوله سبحانه : " مِنْ خَيْرٍ فِيمَا أَنْهَاهَا إِشَارَةٌ إجمالاً لا تشبع حاجة السؤال .

[الدليل الثاني : أن الأصل هو حمل الألفاظ على معانيها المتبادرة منها عند الإطلاق ، أي عند عدم وجود صارف يصرف من ذلك المتبادر ، ولا صارف للفظ هنا من إرادة العموم ، فلا جرم يبقى على عمومه . أما ما يتوهمه المخالفون من أن خصوص السبب صارف ضمن إرادة العموم فمدفوع بأن مجرد خصوص السبب لا يستلزم إخراج غير السبب من تناول اللفظ العام إياه ، فلا يصلح أن يكون قرينة مانعة من إرادة ما وُضِعَ لسمعه اللفظ اللعام ، وهو العموم الشامل لجميع الأفراد .

[الدليل الثالث : احتجاج الصحابة والمجتهدين في سائر الأعصار والامصار بعموم تلك الألفاظ الواردة على أسباب خاصة في وقائع وحوادث كثيرة من غير حاجة إلى قيام أو استدلال بدليل آخر .

(١) أسلوب الحكيم هو تلميح المتألم بغير ما يترقبه ، إما بترك سؤاله : والإجابة عنه سؤال لم يسأله ، وإما بتحمل كلامه على غير ما كان يفهمه ، إشارة إلى أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال أو يفهم هذا المعنى . [انظر كتاب البلاغة الواضحة لعماد الجارم وعبدالله أمين ص (٤٦٦)]

وكيف يُنكر هذا ، وأكثر أصول الشرع خرجت على أسباب خاصة ؟
 ويرغم خصوص تلك الأسباب قد فهموا من الألفاظ النازلة فيها حقيقة
 العموم ، ثم صاغوا من عموماتها كثيراً من الأصول . فاستدلوا
 بآية السرقة (١) على وجوب قطع كل يد مع أنها نازلة في خصوص
 سرقة المِجَنِّ (٢) أو رداء صفوان .. واحتجوا بآيات الظهار (٣)
 على وجوب الكفارة المذكورة فيها ، والعمل بأحكامها ، على كل مَنْ
 ظاهراً ، مع أنها نازلة في خصوص مَنْ عَزَفَتْ قَبْلُ (٤) وكذلك
 برهنوا بآيات اللِّصَّانِ (٥) على شمول حكمه لكل مَنْ قذف زوجته
 ولم يكن معه شهود ، على حين أنها نازلة في خصوص مَنْ ذَكَرْنَا
 سابقاً (٦)

(١) هي الآية الثامنة والثلاثون من سورة المائدة وهي قوله تعالى :
 (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا
 مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ مُزِيدٌ حَكِيمٌ) .

(٢) المِجَنِّ : يكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون : هو الترس
 وكل ما وقى من السلاح : (مختار الصحاح ٢١٤)

(٣) هي الآيات الأربع الأولى من سورة المجادلة .

(٤) نقل المؤلف في الجزء الأول من كتابه هذا (مناهل العرفان)
 (١١٩) أن آية الظهار نزلت في امرأة قيس بن ثابت . والمشهور
 أنها نزلت في خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت .
 (انظر : أسباب النزول للواحدي ٢٣٢)

(٥) هي الآيات : من السادسة إلى العاشرة من سورة النور وتبتدئ
 بقوله (وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ) .

(٦) هو هلال بن أمية كما ذكر العصف في (١١٨ / ١) من كتابه
 (مناهل العرفان) .

ب/ شبهات المخالفين :

(استند مخالفوا الجمهور إلى شبهات خمس لتأييد مذهبهم ،
ونوا أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ :
[الشبهة الأولى :

يقولون : إن الإجماع قد انعقد على عدم جواز إخراج السبب
من حكم العام الوارد على سبب خاص إذا ورد مخصص ، وذلك يستلزم
أن العام مقصور على أفراد السبب ، لا يتناول غيرها ، لأنه لو لم
يكن مقصورا عليها لتساوت هي وغيرها في جواز الإخراج عند المخصص ،
وذلك ممنوع للإجماع المذكور .

[والجواب : أن الإجماع المذكور لا يستلزم قصر العام على
أفراد الخاص كما يقولون ، بل هو واقف عند حدود معناه من أن
أفراد السبب لا تمنع بالمخصص ، وذلك المعنى محقق لعدم التساوي
بين أفراد السبب وغيرها في حالة الإخراج بالمخصص ، لكنه لا يمنع
دخول غير أفراد السبب في الحكم إذا تناوله اللفظ ، وذلك لأدلة
الجمهور السابقة .

[الشبهة الثانية :

يقولون إن الرواة نقلوا أسباب النزول ، واهتموا بها وبتدوينها ،
ولا نائدة لذلك إلا ما ذهب إليه من وجوب قصر العام على أفراد سببه
الخاص . وهذا معنى أن العبرة بخصوص السبب ، لا بعموم اللفظ .

[والجواب : أَنَّهُ لَا وَجْهَ لَكُمْ فِي أَنْ تَجْعَلُوا قَاعِدَةً نَقْلَ الْأَسْبَابِ
حَتَّى قَصَرَ الْعَامَّ عَلَى أَفْرَادٍ سَبَبِهِ . فَإِنَّ لَأَسْبَابِ النُّزُولِ وَالْإِحَاطَةِ
بِهَا هَلْماً مِنْ طَرِيقِ نَقْلِ الرِّوَاةِ ، فَوَائِدٌ عِدَّةٌ وَمَزَايَا حَمِيدَةٌ .]

[الشُّبْهَةُ الثَّالِثَةُ :

يَقُولُونَ : إِنْ تَأْخِيرَ الْبَيَانِ عَنْ وَقْعِ الْوَاقِعَةِ وَتَوْجِيهِ السُّؤَالِ
فِي الْعَامِّ الْوَارِدِ عَلَى سَبَبٍ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَبْرَةَ بِمَعْنَى السَّبَبِ .
لَا أَنَّ تَأْخِيرَ لَفْظِ الشَّارِعِ إِلَى مَا بَعْدَ حَدِثِ سَبَبِهِ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ السَّبَبَ
هُوَ الْمَلْحُوظُ وَحَدَّةٌ لِلشَّارِعِ فِي الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِهَذَا اللَّفْظِ الْعَامِّ الْنَازِلِ
فِيهِ . وَإِلَّا لَمَا رَدَّاهُ بِالسَّبَبِ ، بَلْ لَا نَزْلَهُ قَبْلَهُ أَوْ آخِرَهُ مِنْهُ .

[والجواب : أَنَّهُ لَا يَكْفِي فِي حِكْمَةِ تَأْخِيرِ الْبَيَانِ إِلَى مَا بَعْدَ
السَّبَبِ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ الْعَامُّ بَيَانًا لَهُ ، وَلَوْ مَعَ مَا يَشَابُهُ ، مِنْ كُلِّ مَا
يَنْدَرِجُ تَحْتَ اللَّفْظِ الْعَامِّ . وَلَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ بَيَانًا لِمَا
وَحْدَهُ كَمَا ذَكَرْتُمْ .]

[الشُّبْهَةُ الرَّابِعَةُ :

يَقُولُونَ : قَدْ اتَّفَقَتْ كَلِمَةُ الْفُقَهَاءِ عَلَى أَنَّهُ إِذَا دَعَا رَجُلٌ رَجُلًا
آخَرَ إِلَى دَعَاءِ الْخَدَاءِ وَقَالَ لَهُ : تَعَدَّ عِنْدِي فَرَفَضَ وَقَالَ : " وَاللَّهِ
لَا أَتَعَدِّي " وَلَمْ يَقُلْ : " عِنْدَكَ " ثُمَّ تَنَاوَلَ الْخَدَاءَ عِنْدَ غَيْرِ هَذَا الدَّاعِي
فَانَّهُ لَا يَحْتَكُ . وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ هَذَا اللَّفْظَ الْعَامَّ قَدْ تَخَصَّصَ بِسَبَبِهِ ،
وَهُوَ كَلِمَةُ " تَعَدَّ عِنْدِي " الَّتِي حَصَّ بِهَا الدَّاعِي نَفْسَهُ . فَكَانَ الْحَالِفُ
قَالَ : " لَا أَتَعَدِّي عِنْدَكَ وَحْدَكَ " . وَلِذَلِكَ لَا يَحْتَكُ بِخَدَائِهِ عِنْدَ غَيْرِهِ .

[والجواب : أن حكم الفقهاء في هذا المثال ليس مبنياً على أن كل عام يتخصص بسببه كما فهمتم . بل هو مبني على أن هذا المثال وأشباهه تخصص بقريضة خارجة ، وهي حكم الحرف هنا بأن الحالف إنما يريد ترك الغداة عند داعيه فقط . وليس كلامنا فيما تخصص بقريضة خارجة سواء أكانت الحرف أم سواء ، فذلك محل وفاق .

ونظيره أن يقال لك : " كَلَّمْتُ فُلَانًا فِي وَاقِعَةٍ مَعِيْنَةٍ " فتقول : " وَاللَّهِ لَا أَكَلَّمُهُ أَبَدًا " فإنك لا تَحْنُثُ إِذَا كَلَّمْتَهُ فِي غَيْرِ تِلْكَ الْوَاقِعَةِ ، لِأَنَّ الْحَرْفَ يَحْكُمُ أَيْضًا بِأَنَّكَ تَرِيدُ عَدَمَ تَكْلِيمِهِ فِي خُصُوصِ تِلْكَ الْوَاقِعَةِ لَا مُطْلَقًا .

الشبهة الخامسة :

يقولون : إن التطابق بين السؤال وجوابه واجب في نذر الحكمة ، وبحكم قانون البلافة . وهذا التطابق لا يستقيم إلا بالتساوي بين لفظ العام وسببه الخاص . والتساوي لا يكون إلا إذا غصصنا اللفظ العام بسببه الخاص . لاسيما إذا وقع ذلك في كلام الشارع الحكيم ، وبما أرقى في نصوص البلافة روايتها إيجازاً ، وهو القرآن الكريم .

[والجواب : أن طرد العام على عمومه لا يخل بمطابقته لسببه الخاص . لأن هذه المطابقة تحصل بكون اللفظ أم من سببه ، كما تحصل بمساواته إياه . فإن المقصود من المطابقة أن يكون اللفظ

مبيناً لحكم السبب ، وفير قاصر عن الوفاء به . وهو إذا جاء أعم

يكون قد وثق بالمراد وزاد (أ هـ من " مناهل الصرفان " (١)

ولنا بعد هذا أن نتساءل : ما الذي يترتب على القولين ؟

والجواب أن الذي يترتب على القولين هو أن القائلين بأن

الجمرة بعموم اللفظ يُثبتون به كل ما يندرج تحته ، وحينئذ فلا إشكال .

أما القائلون بخصوص السبب والحاق ما سواه بالقياس فإنهم

يحصرونه فيما يثبت بالقياس لا بالنص . وعليه فالحدود تثبت بالقياس ،

وكذلك التكفارات . والحقيقة أن شيئاً من ذلك لا يثبت بالقياس . لأن في

ذلك من الضرر ما فيه . وموفر جائز لأن أكثر الأصوليين والفقههاء

يرفون أن الحدود والتكفارات لا تثبت بالقياس ، لأنه ظني ، وفيه

شبهة والحدود تُدْرَأ بالشبهات .

على أن أقوى ما استدل به هؤلاء ، الثالث والرابع ، مع أن

الرابع أفعال ، والأفعال لا عموم فيها على الرابع ، بل العموم

ما يكون على جهة التساوي ، والفعل يدل على مجرد الحقيقة .

أما الثالث ، فإنّ البيان أعم من أن يكون مساوياً أو أكثر شمولاً .

والذي أراه - بعد النظر في أدلة الفريقين - أن الرأي الرابع

هو ما ذهب إليه الجمهور من أن الجمرة بعموم اللفظ لا بخصوص

السبب . وذلك لما قدموا من أدلة قوية تسند مذهبهم وتجعله راجحاً

على ما سواه .

الباب الثاني

في طريقه معرفة السبب

وفيه تدرج فصول:

الفصل الأول:

في الروايات التي وردت

في أسباب النزول

وقيمتها

الفصل الأول

الروايات التي وردت في أسباب النزول وفيها

لما كانت الروايات التي وردت في أسباب النزول من الكثرة بحيث لا يتسع لتحقيقها فصلٌ كهذا ، فسأتناولها على النحو التالي :

١ / ما ورد في الصحيحين : وسأكتفي منه بعشرة أمثلة

٢ / ما وافق ما في الصحيحين : وسأقتصر فيه على عشرة أمثلة

أيضاً، مبينا قيمة الحديث بعد موافقه لما في الصحيحين .

٣ / ما لم يوافق - أو ما يخالف - ما في الصحيحين :

وسأكتفي منه بعشرة أمثلة .

٤ / ثم أقوم باحصاء مجمل لهذه الأقسام الثلاثة .

وفيما يلي تفصيل ذلك :

أولاً : ما ورد في الصحيحين :

وأكتفي منه بالأمثلة العشرة التالية :

- ١ / قوله تعالى : (أَجِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ، عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوكُمْ وَأَبْتَسُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ) (١)
- قال الإمام البخاري : (حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، عَنْ إِسْرَائِيلَ (٢)

(١) سورة البقرة (١٨٧)

(٢) هو ابن يونس

عن أبي إسحاق (١) عن البراء رضى الله عنه قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائما فحضر الإفطار فنام قبل أن يُفطِر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يُمسي . وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائما ، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها : أَعِنْدِكَ طعام ؟ قالت : لا ، ولكن أنطلق فأطلب لك ، وكان يومه يعمل ، فخلعته صباه ، فقالت : خيبة لك . فلما انتصف النهار فُشِيَ عليه ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية " أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ لَرَفَّتْ إِلَى نِسَائِكُمْ " ففرحوا بها فرحا شديدا . ونزلت : " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ " . (٢)

قلت : هذا الحديث من مسند الجامع الصحيح الذى لا يَحْتَمِلُ أية طعنة بسبب انقطاع ، أو إرسال ، أو إيهام فى السند ، أو تفسير ذلك من سائر العلل التى قد تقدر على السند . وفى هذا الحديث تأكيد لمبدأ التيسير ورفع الحرج كما قرره الاسلام إجمالا بقوله تعالى : (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (٣) وقوله (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (٤) ونزول الآية عُقِبَ الواقعة مباشرة يؤكد أَنَّ الواقعة نصٌّ فى سبب النزول .

(١) هو عمرو بن عبد الله السبيعي
(٢) صحيح البخارى ٣١/٥ - كتاب الصيام ، باب قوله جل ذكره :
(أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ لَرَفَّتْ ...)
(٣) سورة البقرة (١٨٥)
(٤) سورة الحج (٧٨)

٢٠ قوله تعالى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ) . . .
إلى آخر السورة (١)

قال الإمام مسلم رحمه الله : (حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَهْبَالٍ
الضَّرِيرُ ، وَأُمِّيَّةُ بْنُ بَسْطَامٍ الْعَيْشِيُّ ، وَاللَّفْظُ لِأُمِّيَّةَ قَالَا : حَدَّثَنَا
يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، حَدَّثَنَا رُوَيْحٌ - وَهُوَ ابْنُ الْقَاسِمِ - عَنْ الْقَلَاءِ ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي
أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوا يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيُخَفِّرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن
يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (٢) قَالَ : فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرَّكْبِ فَقَالُوا : أَيُّ رَسُولَ اللَّهِ
كَلَّفْنَا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ : الصَّلَاةَ ، وَالصِّيَامَ ، وَالْجِهَادَ ،
وَالصَّدَقَةَ ، وَقَدْ أُنزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ ، وَلَا نَطِيقُهَا . قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكُتَابِ
مَنْ قَبْلَكُمْ : " سَمِعْنَا وَخَصَّيْنَا " ؟ بَلْ قُولُوا : " سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
فَفَرَّانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ . فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ (٣)

(١) سورة البقرة (٢٨٥ ، ٢٨٦)

(٢) سورة البقرة (٢٨٤)

(٣) ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ : أَي تَلَوَهَا فِي يُسْرٍ وَسَهْوَةٍ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِيثَرِمَا " آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ لَهُ وَكُتِبَ وَرُسُلِهِ ، لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا فَفَرَأْنِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ " فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فَأَنْزَلَ اللَّهُ مَرَّةً وَجَلَّ : " لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ بَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا " قال : نعم ، " رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا " قال : نعم ، " رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَلَأَاطَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا ، وَافْفِرْ لَنَا ، وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ " قال : نعم (١)

قلت : وهذا الحديث - أيضا - مسند ، لا يرتاب أحد في صحته . ولقد تَوَشَّى الإمامُ مُسْلِمٌ فِيهِ الدَّقَّةَ وَالْأَمَانَةَ حَيْثُ أَسْتَدَّ اللَّفْظَ إِلَى قَائِلِهِ ، وَإِنْ رَوَاهُ عَنْ اثْنَيْنِ فِي أَوَّلِ السَّنَدِ .

وفيه واقعة بحينها ، وهي فزع الصحابة من تكليف يشق عليهم أو يصعب القيام به ، فلجأوا إلى مَقَرِّصِهِمْ يَسْتَوْضِحُونَهُ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : " وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخْشَوْنَ يَحَاسِبَكُمْ بِهِ اللَّهُ " ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم من إيضاح ، فأمرهم

(١) صحيح مسلم بشرح : نخوع ١٤٤ / ٢ كتاب الإيمان ، باب تَجَاوُزِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ .

بالطاعة حتى لا يتعرضوا لعقاب نزل بغيرهم من اليهود الذين شاقوا^١ الله ورسوله . ثم علمهم ما يقولونه فامتثلوا ، فغفغ الله عنهم وأوضح لهم ما كانوا يسألون عنه في قوله تعالى : " لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا " .

وقول الراوى : (نسخها الله تعالى) يجعلنا نقف متأملين هل بين الآيتين تعارض حتى يكون نسخاً بالمعنى الاصطلاحي ؟ أو أن النسخ عند المتقدمين يشمل تخصيص العام وتبيين المجهل ؟ وهذا هو الظاهر . وعلى كل ، فهذه الرواية نص في سبب النزول .

٣ / قوله تعالى : (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ . . .) (١)

قال الإمام مسلم : (حَدَّثَنَا عبيد الله بن عمرو بن ميسرة القواريري حَدَّثَنَا يزيد بن زريع ، حَدَّثَنَا سعيد بن أبي هريرة ، عن قتادة عن صالح أبي الخليل ، عن أبي هريرة الهاشمي ، عن أبي سعيد الخدري أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَوْمَ حَنْينَ ، بعث جيشاً إلى أوثداس (٢) فَلَقُوا حُدُوداً فَقَاتَلُوهُمْ فَظَهَرُوا طِيْهِمْ ، وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا . فَكَانَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحَرَّجُوا مِنْ فِشْيَانِهِمْ ، مِنْ أَجْلِ أَزْوَاجِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ " وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " أي فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن " (٣)

(١) سورة النساء (٢٤)

(٢) أوثداس : موضع عند الطائف .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٠ / ٣٤ كتاب الرضاع ، باب جواز وطء المسبية .

وفى هذا الحديث الصحيح الذى رواه الإمام مسلم رفع الله تعالى الحرج عن المسلمين ، وأباح لهم فُشَيَّان ما ملكت أيماهم من نساء المشركين ، بعد انقضاء عدتهن بالاستبراء بحبضة واحدة أو بوضع الحمل .

ولأننا قد تخرجوا من فُشَيَّانِهِنَّ لكونِهِنَّ متزوجاتٍ قبل الأثر ، وهذا هو المراد بإحصائِهِنَّ . فلما علم الله ذلك منهم رفع الحرج عنهم بنزول هذه الآية الكريمة . ومن ثم جاء هذا الحديث الشريف مبيناً سبب نزولها .

٤ / قوله تعالى : (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَفِئَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَسَّاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (١)

قال الإمام مسلم رحمه الله : (حَدَّثَنِي حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو ثَوْبَةَ ، حَدَّثَنَا معاوية بن سلام ، عن زيد بن سلام انه سمع ابا سلام قال : حَدَّثَنِي النعمان بن بشير قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل : ما أبالي أن لا أكملَ قَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَشْقَى الْحَاجَّ . وقال آخر : ما أبالي أن لا أكملَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَغْمَرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ . وقال آخر : الجهادُ في سبيل الله أفضل مما قُلْتُمْ . فزجرهم عمرُ وقال : لا ترفضوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يوم الجمعة ، ولكن إذا صَلَّيْتُ الجمعةَ خَلْتُ فاستفتيتُهُ فيما اختلفتم

فيه . فَأَنْزَلَ اللَّهُ مَزْجَلًا [أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .] الآية إلى آخرها (١) .

قلت : وفي هذا الحديث بيان لفضل الجهاد في سبيل الله
وطول شأنه في الإسلام . وقد كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم
حسبوا أن سقاية الحاج وعِمارة المسجد الحرام خيرٌ ما يكتسبه
المسلم بعد التدقيق بالشهادتين . ولما كان الإسلام هو الرسالة
الخاتمة التي ينبغي نشرها في كل بقاع الأرض ، فإن واجب المسلمين
يصبح أكبر من أن يُحْتَفَر في عِمارة المساجد وإكرام الضيوف ، لأن
هذين الأمرين - مع عظمتيهما - لا يكفيان لنشر الإسلام . فكان لابد
من اتخاذ وسيلة تقى بهذا الغرض الجليل ، ومن ثم شرع الجهاد
في سبيل الله .

وينزل هذه الآية : الكريمة اكتمل تصوُّر أولئك الأصحاب
الكرام لواجبهم الشرعي على الوجه الذي يحقق شمول الإسلام وكمالها

٥ / قوله تعالى : (وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ) (٢)

فَسَلَّ الإمام البخاري رحمه الله : (حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، حَدَّثَنَا
عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ ، قَالَ سَمِعْتُ أَبِي ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَجَبْرِيلَ :
مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مَا تَزُورُنَا ؟ فَنَزَلَتْ : " وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ
رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا " (٣)

(١) صحيح مسلم ١٣ / ٢٥ ، كتاب الإمارة ، باب فضل الشهادة

(٢) سورة مريم (٦٤)

(٣) (صحيح البخاري ١١٨ / ٦ ، كتاب التفسير ، باب : [وَمَا نُنَزِّلُ

إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ]

قلت : وهذا الحديث المسند الذي رواه الإمام البخارى يدل
دلالة واضحة على فائدة معرفة سبب النزول . فإن القارئ لهذه
الآية والآية التي قبلها يصعب عليه الربط بينهما قبل أن يعرف
سبب النزول .

فالآية السابقة - وهي قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ
عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ - وثيقة الصلة بما قبلها من قول الله تعالى :
" جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالثَّغِيرِ " . (١) لكون
الكلام منصبا على وصف الجنة في الكل .

أما قوله تعالى : " وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ " فيحتاج إلى بيان
لأنه كلام مستأنف .

ومن ثم جاء هذا الحديث الشريف ليبين أن الآية نزلت بسبب
سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام .

والمناسبة التي تربط هذه الآية بما قبلها : أن ما قبلها وعدت
بالجنة لمن كان تقيا أخلص عبادته لربه . ومن دلائل إخلاص العبادة
ومظاهر التقوى تعلق القلب بكل ما هو عند الله . ومن ثم تشوقت
نفس النبي صلى الله عليه وسلم أكثر لزيادة جبريل أمين الوحي
من زيارته ، فهو ينزل عليه بآيات هي ركائز التقوى ، ووسائل المعرفة
الصحيحة الموصلة إلى عبادة الله تعالى فبينت الآية الثانية أن جبريل
عابد لله مؤتمر بأمره ، وأنه مملوك لله كسائر المخلوقات ، وأن الله
تعالى لا يشعى عباده ولكنه ينزل وحيه عند ما يشاء .

٦ / قوله تعالى : (وَلَا تَكْرِهُوا قِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ...) (١)
 قال الإمام مسلم : (حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ (٢)
 جَمِيعًا عَنْ أَبِي معاوية (٣) وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ : حَدَّثَنَا أَبُو
 معاوية ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ (٤) عَنْ أَبِي سَفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : كَانَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَلُولٍ يَقُولُ لَجَارِيَةٍ لَهُ : اذْهَبِي فَأُبْغِينَا شَيْئًا
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَلَا تَكْرِهُوا قِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ
 تَحْصِنُوا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ
 إِكْرَاهِهِمْ - لَهُمْ - فَفَوْرٌ رَحِيمٌ) (٥)

قلت : وهذا بيان آخر لسبب النزول ورهه في هذا الحديث
 المسند الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله . وفيه صيانة للمُـسـرُوعِ
 وحفاظ على الشرف والكرامة والحققة .
 ومعلوم أن لفظ " لَهُمْ " في قوله : " فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ -
 لَهُمْ - فَفَوْرٌ رَحِيمٌ " ليس من الآية وإنما هو تفسير وبيان " (٦)

-
- (١) سورة النور (٣٣)
 (٢) هو محمد بن الملا الهمداني .
 (٣) هو محمد بن خازم الضرير .
 (٤) هو سليمان بن مهران .
 (٥) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٢ / ١٨ كتاب التفسير ، سورة النور .
 (٦) قال الامام النووي في شرحه لصحيح مسلم ١٦٣ / ١٨ : (هكذا
 وقع في النسخ كلها : " لَهُمْ فَفَوْرٌ رَحِيمٌ " وهذا تفسير لم يُردَّ به
 أن لفظة " لَهُمْ " مُنْزَلَةٌ ، فإنه لم يقرأ بها أحد . وإنما هي
 تفسير وبيان يُرد أن المغفرة والرحمة لَهُمْ لكونهن مكرهات لا لمن
 اكْرَاهَهُنَّ .)

والمصنى : أَنَّ الله تعالى غفور لِهَؤُلَاءِ الْفَتَيَاتِ ، رَحِيمٌ بِهِنَّ ،
لِحِلْمِهِ بِأَنَّهُنَّ مَكْرَهَاتٌ عَلَى فِعْلِ الْفَاحِشَةِ . وَقَوْلُهُ " غَفُورٌ " يَدُلُّ عَلَى
أَنَّ الْيَفَاءَ إِثْمٌ لَمْ يُجْزَ إِكْرَاهُ ، وَإِنَّمَا الْإِكْرَاهُ رَفْعُ الْعِقَابِ ، فَلَيْسَ الْإِكْرَاهُ
مِنْ أَسْبَابِ الْإِبَاحَةِ ، بَلْ هُوَ مِنْ رَفْعِ الْعِقَابِ .
وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا : أَنَّ أَسْبَابَ الْإِبَاحَةِ تَرْجِعُ إِلَى الْخَطِّ ، أَمَّا رَفْعُ الْعِقَابِ
فَوَاجِعٌ إِلَى الْفَاعِلِ .

٧ / قوله تعالى (إِنَّ الشَّرَّكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (١) قال الإمام البخاري
(حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ (٢) قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ " ح " قَالَ : وَحَدَّثَنِي
يُشَيْرُ (٣) قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ (٤) عَنْ شُعْبَةَ (٥) عَنْ سُلَيْمَانَ (٦)
عَنْ إِبْرَاهِيمَ (٧) عَنْ طَلْقَةَ (٨) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ (٩) قَالَ : لَمَّا
نَزَلَتْ " الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ " (١٠) قَالَ أَصْحَابُ

(١) سورة لقمان " ١٣ "

(٢) هو: الدنيا السقي .

(٣) هو بشر بن خالد الحسكزي .

(٤) هو محمد بن جعفر المعروف بِفُنْدُور .

(٥) هو شعبة بن الحجاج .

(٦) هو سليمان بن مهران الأعشى .

(٧) هو إبراهيم بن يزيد النخعي .

(٨) هو طلقة بن قيس النخعي .

(٩) هو عبد الله بن مسعود .

(١٠) سورة الأنعام (٨٢)

رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَيْنَا لَمْ يَظْلَمْ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ " إِنْ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " (١)

قلت : هذا الإسناد من أصحِّ الأسانيد كما وصفه الإمام الحافظ ابن حجر بقوله : (فى هذا الإسناد رواية ثلاثة من التابعين بعضهم من بعض . وهم : الأعمش ، عن شيبه إبراهيم بن يزيد النخعي ، من عالم طلقه بن قيس النخعي . والثلاثة كوفيون فقهاء . وبعد الله الصحابي هو ابن مسعود . وهذه الترجمة أخذت ما قيل فيه إنه أصح الأسانيد) (٢)

وهذه الآية الكريمة طَيَّبَ اللَّهُ أَنْفُسَ الصَّاحِبَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، حيث كانوا قد فهموا من قوله تعالى : " الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ " أنهم فى وِدادِ الظالمين ، فنزلت هذه الآية مبينةً أَنَّ المراد بالظلم هنا هو الشرك . فاطمأنت نفوسهم بسبب نزول هذه الآية . وزال عنهم ما اعتراهم من خوف وقلق . وفى هذا دليل على تخصيص عموم القرآن بالقرآن ، حيث إن الظالم فى الآية الأولى نكرة وقعت فى سياق النفى ، فتعم . ثم جاءت الآية الثانية فخصصت المراد بالظلم الذى لا يُجامع الإيمان ، بأنه شرك .

(١) صحيح البخارى : ١٤٤ / ١ كتاب الإيمان ، باب ظلم دون ظلم

(٢) فتح البارى : ٨٨ / ١

٨ / سورة الفتح :

قال الإمام البخارى رحمه الله : (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ السُّلَمِيُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى (١) ، حَدَّثَنَا عَبْدِ الْحَزِيزِ بْنُ سَيَّاهٍ مِنْ حَبِيبِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ : أَتَيْتُ أَبَا وَائِلٍ أَسْأَلُهُ ، فَقَالَ : كُنَّا بِصِفِّينَ (٢) فَقَالَ رَجُلٌ : أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : نَعَمْ . فَقَالَ سَهْلُ بْنُ حَنْفٍ : اتَّبِعُوا أَنْفُسَكُمْ فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ - يَعْنِي الصَّلَاحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَشْرُوكِينَ - وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا . فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟ أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ ؟ قَالَ : بَلَى . فَقَالَ : فَفِيمَ أُعْطِيَ الدُّنْيَا فِي دِينِنَا ، وَنُرْجِعُ وَلَمَّْا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا ؟ فَقَالَ : يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَنْ يُضَيِّقَنِي اللَّهُ أَبَدًا . فَرَجَعَ مُتَفَهِّظًا ، فَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى جَاءَ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ ، وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يَضِيعَهُ اللَّهُ أَبَدًا ، فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ (٣)

(١) هُوَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الطَّنَافِسِيِّ .

(٢) مَدِينَةُ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ .

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ١٧٠ / ٦ ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ ، بَابُ : إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا .

قلت : هذا الحديث من رواية الصحابي الجليل سهل بن حنيف وقد رواه في وقعة صفين محذراً من أنكروا التحكيم على علي رضي الله عنه، ومذكراً لهم بما وقع من الصحابة يوم الحديبية من إنكار بعضهم للمصلح مع المبشرين مع ما فيه من الفوائد التي ظهرت لهم فيما بعد، وأن الله أيد رسوله بالوحي فأنزل عليه سورة الفتح .

قال الحافظ ابن حجر : (قوله : " وقال سهل بن حنيف : اتهموا أنفسكم " أي في هذا الرأي ، لأن كثيراً منهم أنكروا التحكيم وقالوا : لا حكم إلا لله ، فقال علي : " كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ " وأشار عليهم كبار الصحابة بمطابقة علي وأن لا يخالف ما يشير به لكونه أعلم بالمصلحة . وذكر لهم سهل بن حنيف ما وقع لهم بالحديبية ، وأنهم رأوا يومئذ أن يستمروا على القتال ويخالفوا ما دُعوا إليه من المصلح . ثم ظهر أن الأصلح هو الذي كان شرع النبي صلى الله عليه وسلم فيه) (١)

٩ / قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (٢)

(١) فتح الباري ٨ / ٨٨٨

(٢) سورة الحجرات (٢)

قال الإمام البخاري رحمه الله : (حَدَّثَنَا بَسْرَةُ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ جَمِيلٍ
الْكُفَيْيُّ ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عَمْرٍو (١) عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ (٢) قَالَ :
كَادَ الْخَيْرَانِ أَنْ يَهْلِكََا - أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - رَفَعَا أَصَوَاتَهُمَا
عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ . فَأَشَارَ
أَحَدُهُمَا بِالْأَقْرِعِ بْنِ حَابِسٍ ، أَخِي بَنِي مُجَسَّاشٍ ، وَأَشَارَ الْآخَرُ بِرَجُلٍ
آخَرَ - قَالَ نَافِعٌ : لَا أَحْفَظُ اسْمَهُ - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ : مَا أَرَدْتَ إِلَّا
خِلَافِي . قَالَ : مَا أَرَدْتُ سَبْخَ خِلَافِكَ . فَارْتَفَعَتْ أَصَوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصَوَاتَكُمْ . . .) الْآيَةُ .
قَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : فَمَا كَانَ عُمَرُ يَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حَتَّى يَسْتَفْتِيَهُ . وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ مِنْ أَبِيهِ : يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ (٣)

قلت : هذا حديث مسند متصل . وإن كان ظاهره الإرسال
لروايته من ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ التَّائِبِيِّ . فَإِنَّ قَوْلَهُ فِي صُلْبِ الْحَدِيثِ :
(قَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ) يَدُلُّ عَلَى اتِّصَالِهِ .

وهذا الحديث مع بيانه لسبب النزول ، يدلُّ على مدى إزعاج
الصحابه لِأمر الله تعالى ، وتأديبهم مع رُسوله صلى الله عليه وسلم .

(١) هو نافع بن عمر الجُمَحِيُّ الْمَكِّيُّ .

(٢) هو عبد الله بن أَبِي مُلَيْكَةَ .

(٣) صحيح البخاري (١٧١/٦) كتاب التفسير ، باب لَا تَرْفَعُوا
أَصَوَاتَكُمْ نَوَقَ صَوْتِ النَّبِيِّ .

١٠ / قوله تعالى : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ) (١)
 قال الإمام مسلم : (حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْعَنْبَرِيُّ ، حَدَّثَنَا
 النُّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ - وَهُوَ ابْنُ عَمَارٍ - حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ قَالَ :
 حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ : مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِسَةً
 وَمِنْهُمْ كَافِرٌ : قَالُوا : هَذِهِ رَحْمَةٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَقَدْ صَدَقَ نَبِيُّ
 كَذَا وَكَذَا . قَالَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ " فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ " (٢)
 حتى بلغ " وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ " (٣)

قلت : هذا حديث مسند رواه الإمام مسلم رحمه الله في سبب
 نزول هذه الآية الكريمة.

قال الإمام النووي رحمه الله : (ليس مراده أن جميع هذا
 نزل في قولهم في الأنواء) وإنما النازل في ذلك قوله : " وَتَجْعَلُونَ
 رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ " والباقي نزل في غير ذلك . ولكن اجتمعاً في
 وقت النزول فذكر الجميع من أجل ذلك (٥)

(١) سورة الواقعة (٨٢) -

(٢) سورة الواقعة (٧٥) :-

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي " ٦١ / ٢ " ، كتاب الإيمان ، باب

بيان كفر من قال مطرنا بالأنواء .. وذكره شعبة القائل بالصدر [صحيح مسلم]
 (٤) الأنواء : جمع قُرْءٍ ، وهو الغيم .. وذكره شعبة القائل بالصدر [صحيح مسلم]
 (٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٦٣ / ٢) بشرح النووي [٦١/٢]

والحديث فيه تصحيح لعقيدة المسلم . فقد كان البعض يرجعون نزول المطر إلى الأتواء ، فنبههم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خطأ اعتقادهم . وأنزل الله هذه الآية الكريمة تأييداً لرسوله صلى الله عليه وسلم .

ثانياً : ما وافق ما في الصحيحين (١)

١- قوله تعالى : (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْحُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ...) الآية (٤)

قال الإمام السيوطي رحمه الله : (أخرج ابن أبي حاتم عن صفوان بن أمية قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم متضمخاً بالزعفران ، عليه جبة . فقال : كيف تأمرني يا رسول الله في عقرتي ؟ فأنزل الله : (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْحُمْرَةَ لِلَّهِ) فقال : أين السائل عن الحمر ؟ قال : ههنا . فقال له : ألقِ عنك ثيابك ، ثم اغتسل واستنشق ما استطعت ، ثم ما كنت صانعاً في حجك فاصنعهُ فمسي صرتك (٣)

(١) المراد بالموافقة هنا : أن يكون للحديث أصل في الصحيحين أو في أحدهما .

(٢) سورة البقرة (١٩٦)

(٣) لباب النقول ص (٢٦)

قلت : هذا الحديث له أصل في الصحيحين (١) وذلك ما رواه
 الشيخان ، واللفظ للبخاري قال : (حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ ، حَدَّثَنَا
 هَمَّامٌ (٢) عَنْ عَطَاءٍ (٣) قَالَ : حَدَّثَنِي صَفْوَانُ بْنُ يَحْيَى (٤) عَنْ أُمِّهِ - يَعْنِي عَنْ
 أَبِيهِ - أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِالْجُمُرَانَةِ
 عَلَيْهِ جُبَّةٌ ، عَلَيْهِ أَثَرُ الْخُلُقِ (٥) - أَوْ قَالَ صَفْرَةٌ - فَقَالَ : كَيْفَ
 تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي مَمَرِي ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فَسُتِرَ بِثَوْبٍ وَوُيِّرَتْ أُنَى قَدْ رَأَيْتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أُنْزِلَ
 عَلَيْهِ الْوَحْيُ . فَقَالَ مَرٌّ : تَعَالَ : أَيْسُرُكَ أَنْ تَنْتَظِرَ إِلَى النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَرَفَعَ
 طَرَفَ الثَّوْبِ فَتَنَظَرْتُ إِلَيْهِ لَهُ فَخْطِيطٌ - وَأَحْسَبُهُ قَالَ : كَخَطِيطِ الْبَكْرِ - (٥)
 فَلَمَّا سَرَى مِنْهُ قَالَ : أَيُّنَ السَّائِلِ مِنَ الْعَمْرَةِ ؟ اخْلَعْ مِنْكَ الْجُبَّةَ ، وَافْسِلْ
 أَثَرَ الْخُلُقِ مِنْكَ ، وَأُنْقِ الصَّفْرَةَ (٦) وَاصْنَعْ فِي مَمَرِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي . =
 = حَجَّكَ (٧)

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٧٦/٨ ، كتاب الحج .

(٢) هو هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى بْنِ دِينَارٍ .

(٣) هو عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِيَّاحٍ .

(٤) الْخُلُقُ - يَفْتَحُ الْخَاءُ - نَوْعٌ مِنَ الطَّيْبِ .

(٥) الْخَطِيطُ : صَوْتٌ كَصَوْتِ النَّائِمِ الَّذِي يُرْكَبُ مَعَهُ نَفْسُهُ ، وَالْبَكْرُ

- يَفْتَحُ الْبَاءُ - الْفَتْحُ مِنَ الْإِبِلِ " صحيح مسلم ٧٦/٨ "

(٦) أَنْقِ الصَّفْرَةَ : مِنَ النِّقَاءِ ، وَهُوَ النِّظَافَةُ .

(٧) صحيح البخاري (٦/٣) كتاب العمرة ، باب يُفْعَلُ فِي الْعَمْرَةِ

مَا يُفْعَلُ فِي الْحَجِّ .

والملاحظ أنَّ هذين الحديتين متكاملان ، يفسر كلاهما الآخر .
فرواية البخاري تفصل ما أجمل في رواية ابن أبي حاتم ، وذلك على
النحو التالي :-

أولاً : بيت رواية البخاري أنَّ صفوان بن أمية / هو صفوان بن يحيى بن
أمية ، كما أثبت أيضاً أنه روى الحديث من أبيه .

ثانياً : ذكرت رواية البخاري مكان الحادثة وهو الجحرانة ، وزادت
على ذلك بذكر ما دار من حوار بين عمر بن الخطاب والرجل المستفهم
ثالثاً : أشارت الرواية الى طرف من كيفية نزول الوحي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وفي الجانب الآخر نجد رواية ابن أبي حاتم تبين ما أجمل في
رواية البخاري . وذلك قول الراوي تارة : (فأنزل الله على النبي
صلى الله عليه وسلم " وقوله تارة أخرى : " وقد أنزل الله عليه الوحي "

فالمنزول في العبارة الأولى غير مبين ، وكلمة الوحي في العبارة
الثانية تحتاج إلى بيان أيضاً . ومن ثم جاءت رواية ابن أبي حاتم
لتبين هذا الإبهام في قول الراوي : " فأنزل الله : وأتوا الحجاج
والحجرة لله " .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (قوله : " كيف تأمرني
أن أصنع في عمري ؟ فأنزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم " لم
أقف في شيء من الروايات على بيان المنزل حينئذ من القرآن . وقد

استدل به جماعة من الصلما * على أن من الوعى ما لا يُتلى . لكن وقع عند الطبراني في الأوسط من طريق أخرى أن المنزل حينئذ قوله تعالى : « وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْحُمْرَةَ لِلَّهِ » (١)

قلت : ما نقله ابن حجر هنا عن الطبراني يُقوى رواية ابن أبي حاتم التي نصت على سبب النزول . وهاتان الروايتان تُعْتَبَران تفصيلا لما ورد مجملا في رواية الإمام البخاري المتقدمة . وبمجموع الروايات الثلاث نستطيع أن نستيقن من إشارات النص على سبب النزول .

٢ / قوله تعالى : (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ خَافِةً مِنْهُمْ مُمِلًا) (٢)

قال الإمام أحمد رحمه الله : (حَدَّثَنَا عبد الرزاق (٣) ، ثنا الكوفي عن منصور (٤) عن مجاهد ، عن أبي عبيد الله الزرقاني (٥) قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بِسُفَّانَ ، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد ، وهم بيننا وبين القبلة ، ف صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، فقالوا : قد كانوا على حال لو أصبنا فرتهم ، ثم قالوا : تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم

(١) فتح الباري ٦١٤ / ٣

(٢) سورة النساء (١٠٢)

(٣) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع -

(٤) هو منصور بن الحارث بن عبد الله السلمي .

(٥) هو زيد بن الصامت الزرقاني الانصاري ابو عبيد الله الصحابي الجليل .

شهد موقعة أحد وما بعدها من المشاهد ، و عاش الى خلافة

معاوية بن أبي سفيان (الإصابة ١٤٢ / ٤)

من أبنائهم وانفسهم ، قال : ففزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات بين الظهر والعصر : " وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ " قال : فحضرت ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاح . قال : فَصَنَفْنَا خَلْفَهُ صَفَيْنِ . قال : ثم ركع فركعنا جميعاً ، ثم رفع فرفعنا جميعاً ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالصف الذي يليه ، والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ، ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ، وجاء هؤلاء على مصاف هؤلاء . قال : ثم ركع فركعوا جميعاً ، ثم رفع فرفعوا جميعاً ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم والصف الذي يليه ، والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما جلس جلس الآخرون فسجدوا ، وسلم عليهم ثم انصرف . قال : فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : مرة بحُشَفَانِ ، ومرة بأرض بنى سليم (١)

قلت : هذا بالحديث له كُرِّأَصْلُ فِي مَوَاطِنَ مِنْ صَحِيحِ الْإِمَامِ

البخارى (٢) وسأكتفي بإيراد روايتين فيما يلي →

أ/ قال رحمه الله في كتاب الخوف :

(بَابُ صَلَاةِ الْخَوْفِ وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : " وَإِذَا ضَرَجْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا . وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا بِأَسْلِحَتِهِمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْكُمْ رَاكِعِينَ وَلْيَتَلَطَّفْ بَعْضُهُمْ آخَرًا فَلْيُصَلُّوا لِيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا بِأَسْلِحَتِهِمْ "

(١) مسند الإمام أحمد ٥٩/٤٠ و ٦٠

(٢) انظر صحيح البخارى : كتاب التفسير ، باب قوله فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا ، وكتاب الخوف ، باب صلاة الخوف ، وكتاب المفازي ، باب فزوة ذات الرقاع -

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً
وَاحِدَةً ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ
تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَمَدٌ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُبِينًا (١)

(حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ (٢) قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبُ (٣) عَنْ

الزُّمَرِيِّ قَالَ : سَأَلْتُهُ هَلْ صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٤ - يَعْنِي
صَلَاةَ الْخَوْفِ - قَالَ أَخْبَرَنِي سَالِمٌ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
قَالَ : فَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ نَجْدِ فَوَازَيْنَا
الْحَدَّ وَفَصَافْنَا لَهُمْ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصَلِّي لَنَا ،
فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مَعَهُ تَصَلِّي ، وَأَقْبَلَتِ طَائِفَةٌ عَلَى الْحَدِّ ، وَرَكَعَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ مَعَهُ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ، فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ فَرَكَعَ لِنَفْسِهِ رُكْعَةً وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ (٤)

ب/ وَقَالَ - أَيْضًا - فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ : (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ »

أَخْبَرَنَا مَالِكٌ ، مِنْ نَافِعٍ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ إِذَا
سُئِلَ عَنْ صَلَاةِ الْخَوْفِ قَالَ : يَتَقَدَّمُ الْإِمَامُ وَطَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ فَيُصَلِّي

(١) سُورَةُ النِّسَاءِ (١٠١ - ١٠٢)

(٢) هُوَ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ -

(٣) هُوَ شُعَيْبُ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ -

(٤) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ١٧/٢ - كِتَابُ الْخَوْفِ - بَابُ صَلَاةِ الْخَوْفِ -

بهم الإمام ركعة ، وتكون طائفة منهم بينهم وبين العدو لم يصلوا ،
 فإذا صلى الذين معه ركعةً استأخروا مكان الذين لم يصلوا ، ولا يسلمون .
 ويتقدم الذين لم يصلوا فيصلون معه ركعة ، ثم ينصرف الإمام وقد صلى
 ركعتين ، فيقوم كل واحد من الطائفتين فيصلون لأنفسهم ركعة بمحمد
 أن ينصرف الإمام ، فيكون كل واحد من الطائفتين قد صلى ركعتين .
 فان كان خوف هو أشد من ذلك صلوا رجالاً قياً على أقدامهم ،
 أو ركباً مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها . قال مالك : قال نافع ،
 لا أرى عبد الله بن عمر ذكر ذلك إلا من رسول الله صلى الله عليه
 وسلم (١)

قلت : الترجمة التي أوردها الإمام البخاري بين يدي الرواية
 الأولى تعضد ما رواه الإمام أحمد من سبب نزول الآية ، لأن الإمام
 البخاري أورد الآية بنصها في ترجمته للحديث . ولهذا كان ممن
 المستحسن إثبات تلك الترجمة هنا - على طولها - للاستئناس بها
 في معرفة سبب النزول .

ومن ناحية أخرى فإن الكيفية التي وردت في رواية البخاري الثانية
 تتفق مع الكيفية التي وردت في سياق الآية الكريمة .

(١) صحيح البخاري ٣٨/٦ ، كتاب التفسير ، باب قوله فَإِنْ خِفْتُمْ
 فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا .

والروايات الثلاث تتحدث عن كيفية صلاة الخوف ، مع انفراد رواية الإمام أحمد بالتصريح بسبب النزول . وما دامست هذه الرواية ذات أصول في صحيح البخاري ، فهي بلا ريب متفقة مع ما ورد في الصحيح .

أما ما جاء في هذه الروايات من اختلاف كيفية صلاة الخوف وتعدد أماكنها ، فلا إشكال فيه ، لأنه ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلاها بصور متعددة في غير أماكن .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (وأما الاختلاف في صلاة الخوف بمجرده فلا يدل على التفاضل ، لاحتمال أن تكون وقعت في الضرورة الواحدة على كسيفتين ، في صلاتين ، في يومين ، بل في يوم واحد) (١)

ونقل رحمه الله عن الإمام أحمد أنه قال : (ثبتت في صلاة الخوف ستة أحاديث أو سبعة ، أيها فعل المرء جاز) (٢)

(١) فتح الباري ٤٢٠/٧

(٢) فتح الباري ٤٣١/٢

ونقل أيضا من الخطابي (١) قوله : (صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في أيام مختلفات بأشكال متباينة ، يتحرى فيها ما هو الأحوط للصلاة والأبلغ للحراسة ، فهي على اختلاف صورها متفقة المعنى) (٢) وبهذا يزول ما قد يبدو - في ظاهره - تعارفا بين الروايات ويبقى سبب النزول ثابتا كما جاء في رواية الإمام أحمد رحمه الله .

٣ - قوله تعالى : (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاؤُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَأَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (٣)

قال الإمام أبو داود : (حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان أنا "ح" و"نا" عمرو بن عثمان ، حدثنا الوليد (٤) ، عن الأوزاعي - عن يحيى - يعني ابن أبي كثير - عن أبي قلابة عن أنس بن مالك بهذا الحديث - يعني حديث الصُرَيْبِيِّ - (٥))

ويقال أصح

(١) هو الإمام العلامة المحدث أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي صاحب المؤلفات القيمة . والخطابي نسبة جده المذكور . ارتحل في طلب العلم حتى سقى بالرحال ، وكان فقيها مجتهدا ولغويا أدبيا . توفي سنة ثمان وثمانين وثلثمائة بحرينية في الأقطانية في الطرة مفتاح البعثة ١٤٦٩ هـ .
(٢) من غير الحرب . جريد الخطابي ٨/١ ، تحقيقه د/ عبد الكريم الغزالي .
(٣) فتح الباري ٤/٣١١ -
(٤) الدجاجة (٣٣)

(٤) هو الوليد بن مسلم القرشي ،
(٥) نسبة إلى قبيلة عُرَيْبَةَ . وقد ثبت أن هؤلاء المرتدين هم من قبيلتي عَكل وعُرَيْبَةَ .

قال فيه : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم قافلةً ،
فأتى بهم ، فأنزل الله في ذلك : " إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا " الآية (١)

قلت : هذا الحديث له أصل في الصحيحين (٢) واللفظ هنا
للبخاري ، قال : (باب المحاربين من أهل الكفر والزندقة ، وقول
الله تعالى " إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ
فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا
مِنَ الْأَرْضِ .

(حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا
الأوزاعي ، حدثني يحيى بن أبي كثير قال : حدثني أبو قلابَةَ
الجرمي ، عن أنس رضي الله عنه قتل : قدم على النبي صلى الله عليه
وسلم نفر من فكل فأسلموا ، فاجتروا المدينة (٣) فأمرهم أن يأتوا
إبل الصدقة فيشربوا من آبوالها وألبانها ، ففعلوا فصَحُّوا فارتدوا

(١) سنن أبي داود بشرح مؤن المعبود ٢٣/١٢ ، كتاب الحدود

باب ما جاء في المحاربين .

(٢) انظر صحيح مسلم ١٥٣/١١ ، كتاب القسامة .

(٣) اجتروا المدينة : أي كرهوا المقام بها .

فقتلوا رعاتها ، واستاقوا الإبل . فبعث في آثارهم فأتى بهم ، فقطع
أيديهم وأرجلهم ، وسَمَل أعينهم (١) ثم لم يحسبهم (٢) حتى
ماتوا (٣)

والملاحظ في هاتين الروایتين أن رواية أبي داود لم تذكر
قَطَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أيدي المرتدين وأرجلهم وسَمَل
أعينهم ، وإنما اكتفت بذكر نزول الآية عقب إحصاءهم للنبي صلى
الله عليه وسلم . على حين أن رواية البخاري ذكرت إقامة الحد عليهم
عقب إحصاءهم ، ولم تنص على سبب النزول .

والحاصل أن الروایتين تكمل كل منهما الأخرى . فرواية أبي
داود التي اقتضت على ذكر سبب النزول تتضمن بدهة إقامة الحد على
المرتدين . لأنه لا يحل أن يتلقى النبي صلى الله عليه وسلم حكمه
ثم لا ينفذه .

ورواية البخاري التي اقتضت على ذكر إقامة الحد لا بد أن تكون
متضمنة إنزال الحكم قبل تنفيذه ، لإستحالة إقدام النبي صلى الله عليه

(١) السَّمَلُ : أن يدنى من العين حديدة محماة حتى يذهب بصرها .

(٢) الحَسْمُ : الكي بالنار لقطع الدم .

(٣) صحيح البخاري ١٢٣/٤ ، كتاب الحدود — باب المحاربين

من أهل الكفر والردة .

وسلم على فِعْل شَيْءٍ لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ .

ومما يَقْرَبُ هذا المعنى أَنَّ البخاريَّ ذَكَرَ الآيةَ بِنَصِّها فِي ترجمته .

للحديث .

هذا ، وَفِي الآيةِ مِنَ الأحكامِ الفقهيةِ ما تناوله الفقهاءُ بالتفصيل .

والذي يلفتُ النظرَ هنا هو ما فِي أحكامِ الإسلامِ من مرونة . فكلُّمة

"أو" للتخييرِ عند البعضِ (١) وإذا كَانَ الإسلامُ أعطى الخيارَ للإمامِ

فقد اتَّسعَ المجالُ أَمَامَهُ لِيُراعى بِاسْمِ المصلحةِ العامةِ كُلِّ حالةٍ مِنْ

الأحوالِ .

وفعله صلى الله عليه وسلم بِالْمُرْتَدِّينَ ، مَا فَعَلَهُ مَعَهُمْ إِلَّا لِأَنَّهُمْ

ارْتَكَبُوا جَرَائِمَ تَقْتَضِيها مَعَهَا العقوباتُ الَّتِي أُنْزِلَتْ بِهِمْ . فهُم أَوَّلًا

مُرْتَدُّونَ ، وَثَانِيًا قَتْلُهُ ، وَثَالِثًا سَنَاقُونَ ، وَرَابِعًا مُنْتَصِبُونَ . وَكُلُّ

جَزِيمةٍ مِنْ هَذِهِ الجَرَائِمِ تَسْتَوْجِبُ عَقوبةً تَتْلَاهُمُ مَعَهَا ، وَإِلَّا ضَاعَ العدلُ .

والَّذِينَ يَنْقُدُونَ الإسلامَ بِهَذَا الفعلِ يَنْظُرُونَ إِلَى الْجِزَاءِ

مَنْفَصلاً مِنَ الْعَمَلِ الْمُجَازِي عَلَيْهِ . بَيِّدْ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ صَحَّحَ هَذَا

الْفِعْلَ وَشَرَعَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ . وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ؟ (٢)

٤- قوله تعالى : (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لِمَنْ أُسْرَى حَتَّى يَشْخِنَ

فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٣)

رَأَى قَالَ صَاحِبُ "النَّبَهَةِ" : [وَ"أَوْ" تَكُونُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ : الْأَوَّلُ : أَمَدُ

الشَّيْءِ أَوْ الْأَشْيَاءِ ، عَلَى الْإِلْطَامِ . وَالثَّانِي : الشَّكُّ . وَالثَّالِثُ : التَّخْيِيرُ

وَالرَّابِعُ : الْإِبَاحَةُ ...] انظر : النبَهَةُ والشُّكْرَةُ ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، لِابْنِ مُحَمَّدٍ

الضَّمِيرِيِّ . بِتَحْقِيقِهِ الدُّنْيَا فَهِيَ أَحْمَدُ مُصْطَفَى عَالَمِ الدِّينِ .

(٢) سُوْرَةُ الْمَائِدَةِ [٥٠] - (٣) سُوْرَةُ الْأَنْفَالِ [٦٧]

قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري : (أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ، ثنا سعيد بن مسعود ، ثنا عبيد الله ابن موسى ، ثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأسارى أبا بكر ، فقال : قومك وعشيرتك فخل سبيلهم . فاستشار عمر فقال : اقتلهم . قال : ففداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل : " مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ " إلى قوله : " فَكُلُّوا مِمَّا فَنَمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا " قال : فلقى النبي صلى الله عليه وسلم عمر ، قال : كَادَ أَنْ يُصِيبَنَا بِكَ لَا مَنْ خِلَافَكَ (١)

قلت : روى الإمام مسلم نحوه هذا الحديث فقال : (حدثنا هناد بن السوي ، حدثنا ابن المبارك ، عن عكرمة بن عمار ، حدثني سماك الحنفي قال : سمعت ابن عباس يقول : حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر " ح " وحدثنا زهير بن حرب - واللفظ له - حدثنا عمر بن يونس الحنفي ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثني أبو زميل - هو سماك الحنفي - حدثني عبد الله بن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب

قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً . فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مَدَّ يديه فجعل يهتف بربه : " اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي . اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي . اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْحِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدُ فِي الْأَرْضِ " . فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداؤه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله ، كفك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما بوعدك . فأنزل الله عز وجل : " إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئْتَيْنِ " (١) فأمدّه الله بالملائكة . قال أبو زمييل : فعَدَّتْني ابنُ عباس قال : بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه (٢) إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أَقْدِمْ حِزْوُم . فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا فنظر إليه فإذا هو قد خُطِمَ أنفه (٣) وشقَّ وجهه كضربة السوط ،

(١) سورة الانفال (٩)

(٢) يشتد في أثره : أي يركض خلفه مسرعا .

(٣) الخطم : الأنف . وحِزْوُم : اسم فرس الملك (صحيح)

فَأَسْرَضَ ذَلِكَ أَجْمَعُ . فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة . فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين . قال أبو زميل : قال ابن عباس : فلما أسروا الأمبارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر : ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟ فقال أبو بكر : يا نبي الله هم بنوا العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قلت : لا والله يا رسول الله ، ما أرى الذى رأى أبو بكر ، ولكنى أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم فتمكن علينا من قتل فيضرب عنقه ، وتمكنى من فلان - نسيباً لعمر - فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ، ولم يهوماً قلت . فلما كان من الضد جئت ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعداً بين يبيكان . قلت : يا رسول الله أخبرني من أى شئ تبكى أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاءً بكيت ، وإن لم أجد بكاءً تساكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبكى للسدى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء ، لقد عرض على عدايهم أدنى من هذه الشجرة - شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم - وأنزل الله عز وجل : " مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ " إلى قوله : " فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَبَالًا طَيِّبًا " فأحل الله الغنيمة (١)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢ / ٨٧ ، كتاب الجهاد والسير .

قلت : هذا الحديث الذى رواه الإمام مسلم يشتمل على ما جاء فى رواية الحاكم المتقدمة ، وفيه تفصيل لما ورد فى تلك الرواية بشأن أَسْرَى بَدْر . هذا بالإضافة إلى ما جاء فيه من النص على سبب النزول ، الأمر الذى يجعل رواية الحاكم موافقة لما ورد فى الصحيح .

وفى الحديث فوائد ، نجعلها فيما يلى :

أولاً : يتجلى فى هذا الحديث مبدأ هام فى حياة المسلمين ، ألا

وهو مبدأ الشورى الذى حرم الإسلام على تحميله فى النفوس . فَمَا
إِنْ طَفِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِؤْلَاءِ الْأَسْرَى حَتَّى طَفِقَ يَسْتَشِيرُ
أَصْحَابَهُ فِي شَأْنِهِمْ . فَأَمَدُّوه بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ رَأْيٍ ، كُلُّ حَسَبٍ أَجْتِهَادَهُ
فِي الْمَسْأَلَةِ ، وَنَذَرْتَهُ لِإِبْحَادِهَا ، بِقَدَرِ مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ فَهْمٍ
وَإِدْرَاكٍ .

ثانياً نجد فيه مبدأ العفو عند المقدرة ، وهو مبدأ حميد ، يدعو
له الإسلام وَيُحِبُّهُ . وَالصَّادِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مَا أَشَارَ عَلَى
الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَفْوِ عَنْ الْأَسْرَى ، كَانَ يَنْطَلِقُ مِنْ مَبْدَأٍ
حَيِّصِهِ عَلَى مَصْلَحَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ . فَإِنَّ فِي الْقُدِيَّةِ قُوَّةً لِلْمُسْلِمِينَ
عَلَى أَعْدَائِهِمْ . وَلَرُبَّمَا كَانَ الْعَفْوُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَاتِّحَادُ الْفُرْصَةِ لَهُمْ
فِي الْإِفْتِدَاءِ مِنْ دَوَائِيِ اعْتِنَاقِهِمُ الْإِسْلَامَ ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ صَلَاحٌ لَهُمْ
وَتَقْوِيَّةٌ لِلْمُسْلِمِينَ . وَهَذَا الرَّأْيُ - وَإِنْ صَارَ مَرْجُوحًا بَعْدَ نَزُولِ الْوَحْيِ -
إِلَّا أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَحْتَظَى بِالْأَهَمِّيَّةِ وَالْإِعْتِبَارِ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ الطَّرْفَ الَّذِي
كَانَ يَحْيِيهِ الْمُسْلِمُونَ فِي بَدَايَةِ الْجِهَادِ وَنَشْرِ الْإِسْلَامِ ، هُوَ الَّذِي جَعَلَ
هَذَا الرَّأْيَ مَرْجُوحًا .

ولكن إذا تجاوزنا ذلك الحال ، فإننا نجد العفو من المبادئ ذات الأهمية الكبرى في الإسلام .

الثالث : نجد في هذا الحديث مبدأ الفاصلة بين الكفر والإيمان ، وذلك ظاهر في موقف عمر رضي الله عنه من أقربائه وعشيرته . فقد اهتمدى بحقيقته الصافية إلى الميزان الصحيح الذي يزن به المسلم علاقاته وصلاته بمن حوله من الناس .

فأصرة الدم واللحم ليست هي التي تحكم العلاقة بين المسلم ومن حوله . وإنما المدار في ذلك على العقيدة وحدها فهي التي تحدد القرابة والبعد ، وتفرق بين الكفر والإيمان .

وهذا هو الموقف الراجح الذي أيده القرآن الكريم في هذه المصركة الفاصلة بين الكفر والإيمان .

وهكذا نصيب مع أسباب نزول القرآن الكريم في بيانها لمراد الله تعالى مما نزل به الذكر الحكيم .

هـ / قوله تعالى : (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنُحَرِّضَنَّهُمْ فَنُحَرِّضُوهُمْ فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّمَا رِجْسٌ وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (١)

قال الإمام ابن جرير الطبري : (حدثنا يونس - هو ابن عبد
الأعلى - قال : أخبرنا ابن وهب قال : أخبرني يونس - هو ابن يزيد
الأدلي - عن ابن شهاب قال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله
ابن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعب بن
مالك يقول : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك جلس
للناس . فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه
ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل منهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلا نيتهم ، وبايعهم ، واستغفر لهم ، ووكل سراقهم
إلى الله ، وصدقته حديثي . فقال كعب : والله ما أنعم الله علي
من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدق رسول
الله صلى الله عليه وسلم ألا أكون كذبتاً فأهلك كما هلك الذين كذبوا .
إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي : " سَخِطُونَ
بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُخْرِضُوا عَنْهُمْ فَمَا أُخْرِضُوا عَنْهُمْ إِنْهُمْ رَجُسُوا
وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " إلى قوله : " فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى مِنَ
الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ " (١)

قلت : هذا الحديث هو جزء من حديث كعب بن مالك الذى أورده الإمام البخارى فى صحيحه . وهو حديث طويل ، نكتفى منه بما هو أصل لرواية الطبري هذه ، فنقول :

قال الإمام البخارى رحمه الله : (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ كُبَيْرٍ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ فَكَيْلٍ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ - وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ قَمِيَ - قَالَ : سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يَحْدُثُ - حِينَ تَخَلَّفَ - عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ (١) قَالَ كَعْبٌ : لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فِرَاقِهَا إِلَّا فِي فِرَاقِ تَبُوكَ . فَبِمَا أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي فِرَاقِ بَدْرٍ ، وَلَمْ يَمُوتْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهَا ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِيدٍ مِمَّنْ قُرَيْشٍ ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى فِرَاقِ مِصَادٍ

.....
قال كعب بن مالك : فلما بلغنى أنه توجه فأقلاً حسرتنى همى ، وطفقت أذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه فدا ؟ واستمعت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى . فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلل قادماً ، زاح منى الباطل ، وعرفت أنى لن أخرج

(١) قوله " عن قصة " متعلق بقوله " يحدث " والمعنى : أنه كان يحدث عن قصة تبوك زمان تخلفه ، أى من الزمن الذى تخلف فيه من الفِرَاق .

منه أبداً بشئ فيه كذب ، فَأَجَبْتُ صِدْقَهُ . وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادِمًا - وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيُرْكَعُ
 فِيهِ رَكْعَتَيْنِ - ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ ، فَلَمَّا فَصَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخْلِفُونَ فَطَفِقُوا
 يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيُحْلِفُونَ - لَهُ - وَكَانُوا بِضِعَّةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا - فَقَبِلَ مِنْهُمْ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَنْتَهُمُ ، وَبَايَعَهُمْ ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ ،
 وَوَكَّلَ سِرَاعَةَ رُحْمٍ إِلَى اللَّهِ . فَجَعَلَتْهُ ، فَلَمَّا سَلِمَتْ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُتَضَبِّ
 ثُمَّ قَالَ : / فَجَعَلْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لِي : مَا خَلَفَكَ ؟
 أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَهَمْتَ ظَهْرَكَ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى ، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ
 فَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنَّ سَاحِرًا مِنْ سَحَابِهِ يَغْدُرُ ، وَلَقَدْ
 أُمِيطَتْ جَدَلًا ، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ طَلَعْتُ لَيْلِنِ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثًا
 كَذِبٌ تَرْضَى بِهِ عِنْدِي كَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ ، وَلَيْلِنِ حَدَّثْتُكَ
 حَدِيثًا صَدَقَ تَجَدُّ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَا رَجُوفِيهِ مَفْوَالَهُ . لَا وَاللَّهِ ،
 مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرُ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ . فَقُمْتُ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ
 فَيْكَ . فَقَسَمْتُ فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ
 - بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ - أَعْظَمُ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ لَا أَكُونُ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا ،
 فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا - حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ - شَرًّا مَا قَالَ لِأَحْسَدٍ :
 قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : " سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَى قَوْلِهِ :
 " فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ " (١)

وَعَرِيٌّ بِنَا أَنْ نَقُفَ عِنْدَ سَبَبِ نَزُولِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ ،
لِتَتَبَيَّنَ عَاقِبَةُ الْكَذِبِ وَالنِّفَاقِ مِنْ جِهَةٍ ، وَطَاقِبَةُ الصِّدْقِ وَالْإِيمَانِ مِنْ
جِهَةٍ أُخْرَى .

فهؤلاء هم المنافقون يتخلفون عن الجهاد مُكَابِدَةً لِرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ لَا يَسْتَحْيُونَ - عِنْدَ عَوْدَتِهِ ظَافِرًا - أَنْ يَحْلِفُوا
بِاللَّهِ مُعْتَذِرِينَ عَنْ تَخَلُّفِهِمْ ، طَامِعِينَ فِي رِضَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَعَفْوِهِ . وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَفْضَحُ نِفَاقَهُمْ وَكَذِبَهُمْ فَيَنْزِلُ فِيهِمْ
قُرْآنًا يَصِفُهُمُ بِالرُّجْسِ وَالنَّجَسِ وَيُعِدُّ لَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً فِسْقِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ .
وَبِذَلِكَ يَنْكَشِفُ أَمْرُهُمُ لِلرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ فَيَعْلَمُونَ أَنَّ هُمْ كَذَّابُونَ مُنَافِقُونَ ،
فَلَا يُخَدِّعُ أَحَدٌ بِأَيْمَانِهِمُ الْكَاذِبَةَ ، وَلَا يَادِّعَاهُمُ الْفَارِقَةَ الْآثِمَةَ .

وَفِي الطَّرَفِ الْآخَرِ نَجْدُ الصِّدْقِ وَالْإِيمَانِ مُتَمَثِّلِينَ فِي مَوْقِفِ كَهِيبِ
ابْنِ مَالِكٍ الَّذِي آثَرُ أَنْ يُصَدِّقَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِإِدْفَاعِهِ عَنِ الْكَذِبِ وَالنِّفَاقِ ،
مَعَ مَقْدَرَتِهِ عَلَى الْجَدَلِ ، وَتَمَكُّنِهِ مِنَ الْاِعتِذَارِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِمَا يَرْضِيهِ وَيُذْهِبُ حَقِيقَتَهُ .

وَلَكِنَّ الصَّحَابِيَّ الْجَلِيلَ كَانَ يُدْرِكُ بِبَصِيرَتِهِ النَّافِذَةِ ، وَكَيْفَاسْتِيسَةِ
النَّيِّرَةِ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَى سِرِّهِ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى سَيَفْضَحُهُ أَمَامَ رَسُولِهِ
وَالْمُسْلِمِينَ ، إِنَّ هُوَ آثَرُ الْكَذِبِ وَالنِّفَاقِ . وَمِنْ ثَمَّ أَجْمَعَ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ ، وَأَكْرَمَهُ بِالصَّفْحِ عَنِ
خَطِيئَتِهِ الْكَبِيرَةِ ، بَعْدَ أَنْ مَنَّ عَلَيْهِ بِنِعْمَةِ الصِّدْقِ الَّتِي هِيَ أَكْظَمُ
النِّعَمِ وَأَجْلَاهَا .

٦ / قوله تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِيْهِ

الْقُرْبَىٰ) (١)

قال الإمام أحمد رحمه الله : (حَدَّثَنَا يَحْيَى (٢) عَنْ شُعْبَةَ (٣) ،

حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَيْسَرَةَ ، عَنْ طَاوُوسٍ قَالَ : أَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ رَجُلٌ

فَسَأَلَهُ . وَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ ، أَنَّ ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ

قَالَ : سَمِعْتُ طَاوُوسًا يَقُولُ : سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ

اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : " قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ " .

فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ : قُرْبَىٌ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :

فَجِلَّتْ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ بَطْنًا مِنْ قَوْمٍ إِلَّا

لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ قَرَابَةٌ . فَبَوَّلتُ : " قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ " . إِلَّا أَنْ تَصْلَوْا قَرَابَةَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) (٤)

قلت : هذا الحديث له أصل في صحيح الإمام البخاري . قال

رحمه الله : (بَابُ " إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ " .

(حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا

شُعْبَةُ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَيْسَرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ طَاوُوسًا

(١) سورة الشورى (٢٣)

(٢) هو يحيى بن سعيد القطان .

(٣) هو شعبة بن الحجاج .

(٤) مسند الإمام أحمد [٤٩٩١]

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سُئِلَ عن قوله : " إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِيْهِ الْقُرْبَى " فقال سعيد بن جبیر : قُرْبَى آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقال ابن عباس : عَجَلْتُ . إِنْ النَّبَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ بِطَنٍّْ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِمْ قُرَابَةٌ ، فقال : إِلَّا أَنْ تَصِلُوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ الْقُرَابَةِ (١)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (والحاصل أن سعيد بن جبیر ومن وافقه كملح بن الحسين والسدي وعمر بن شعيب فيما أخرجه الطبراني منهم ، حملوا الآية على أمر المغاطبين بأن يوادروا وأقارب النبي صلى الله عليه وسلم من أجل القرابة ، وابن عباس حملها على أن يوادروا النبي صلى الله عليه وسلم من أجل القرابة التي بينهم وبينه . فعلى الأول : الخطاب عام لجميع المكلفين ، وعلى الثاني : الخطاب خاص بقريش ، ويؤيد ذلك أن السورة مكية . . والمعنى أن قُرَيْشًا كَانَتْ تَصِلُ أَرْحَامَهَا ، فَلَمَّا بَعَثَ النَّبَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطَعُوهُ فَقَالَ : صَلُّوْنِي كَمَا تَصِلُونَ فَيَرَى مِنْ أَقَارِبِكُمْ (٢)

قلت : والصواب ما ذهب إليه ابن عباس رضى الله عنهما من أن المودة للنبي صلى الله عليه وسلم ، من أجل القرابة التي بينه وبين قريش . يدل على ذلك سبب نزول الآية الذي نص عليه ابن عباس في رواية الإمام أحمد رحمه الله . والله تعالى أعلم .

(١) صحيح البخارى ١٦٢/٦ كتاب التفسير ، باب " إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى " .

(٢) فتح البارى ٥٦٤/٨

٧ / قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكُفْرْتُمْ بِهِ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (١)

أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ الْهَيْثَمِيُّ (٢) فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ عَنْ كُوفٍ بَنِ
مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ (٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (انْطَلَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَا مَعَهُ ، حَتَّى دَخَلْنَا كَنِيسَةَ الْيَهُودِ يَوْمَ عِيدِ لَهُمْ ،
فَكَرَهُوا دُخُولَنَا عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا
مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، أَرُونِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِّنْكُمْ يَشْهَدُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، يُحِبُّ اللَّهُ عَنْ كُلِّ يَهُودِيٍّ تَحْتَ أَدِيمِهِ
السَّمَاءَ الْفُضْبَ الَّذِي عَلَيْهِ ، فَأَشْكُوا ، فَمَا أَجَابَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ
رَدَّ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ . ثُمَّ ثَلَّثَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ . فَقَالَ : أَكَيْتُمْ ؟
فَوَاللَّهِ لَا نَا الْخَاشِرُ ، وَأَنَا الْخَاقِبُ وَأَنَا الْمَقْفِيُّ ، آمَنْتُمْ أَوْ كَذَبْتُمْ .

(١) سورة الاحقاف (١٠)

(٢) هو علي نور الدين بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر أبو الحسن
القاهري الشافعي الحافظ المعروف بالهيثمي . كان تقياً زاهداً
مُقبلاً على العلم والعبادة . وُلِدَ سنة خمس وثلاثين وسبعمائة
وتُوفِيَ سنة سبع وثمانمائة (مجمع الزوائد ١/٢)

(٣) هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي القطفاني أبو عبد الرحمن .
شَهِدَ خَيْبَرَ وَفَتَحَ مَكَّةَ وَانْتَقَلَ إِلَى الشَّامِ وَبَقِيَ بِهَا إِلَى خِلَافَةِ
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَتُوفِيَ سنة ثلاث وسبعمين هجرية (تهذيب
التهذيب ٨/ ١٦٨)

ثم انصرف ، وأنا معه ، حتى كدنا أن نخرج ، فإذا رجل من خلفه فقال : كما أنت يا محمد . فأقبل ، فقال ذلك الرجل : أي رجل تعلموني منكم يا معشر يهود ؟ قالوا : والله ما نعلم فينا رجلاً كان أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ، ولا من أبيك قبلك ، ولا من جدك قبل أبيك . قال : فاني أشهد بالله أنه نبي الله الذي تجدون في التوراة . قالوا : كذبت ، ثم رددوا عليه وقالوا فيه شراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذبتُمْ ، لَنْ نَقْبَلَ مِنْكُمْ قَوْلَكُمْ . قال : فخرجنا ونحن ثلاثة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا ، وابن سلام (١) فأنزل الله تعالى : " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكُفْرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَمَأْمُنٌ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " (٢)

قال البيهقي : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . قلت : روى الإمام البخاري في صحيحه نحو هذا الحديث . قال رحمه الله :

(١) هو الصحابي الجليل عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف . كان حليفاً للخزرج ، وهو من بني قَيْنَقَاع . وكان إسلامه مقدّم النبي المدينة صلى الله عليه وسلم . كُوفِيَ بالعديّة سنة ثلاث وأربعين هجرية (الإصابة ٢ / ٣٢٠)

(٢) مَجْمَعُ الزَوَائِد (١٠٥ / ٧)

(حدثني حامد بن عمر ، عن بشر بن المفضل ، حدثنا حميد ،
حدثنا أنس ، أن عبد الله بن سلام بلغه مقدّم النبي صلى الله عليه
وسلم المدينة ، فأتاه يسأله عن أشياء فقال : إني سألك عن ثلاث
لا يعلمن إلا نبي : ما أول أشرار الساعة ؟ وما أول طعام يأكله
أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : «أخبرني
به جبريل آنفاً» ، قال : ابن سلام : ذاك عدو اليهود من الملائكة .
قال : «أما أول أشرار الساعة فنار تعشرون من المشرق إلى المغرب .
وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت . وأما الولد
فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء
الرجل نزعت الولد» . قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول
الله . قال : يا رسول الله ، إن اليهود قوم بُهت (١) فأشأنهم
بشيء قبل أن يعلموا بإسلامي . فجاءت اليهود ، فقال النبي
صلى الله عليه وسلم : «أي رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟» قالوا :
خيرنا وابن خيرنا ، وأفضلنا وابن أفضلنا . فقال النبي صلى الله
عليه وسلم : «أرايتم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟» قالوا : أعاده الله من
ذلك . فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك . فخرج إليهم عبد الله فقال : أشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . قالوا : شرنا وابن شرنا ،
ونقصوه . قال : هذا كنت أخاف يا رسول الله (٢)

(١) بُهت - بضم الباء والياء - جمع بهيت وهو الذي يبهت السامع

بما يفترى عليه من الكذب (فتح الباري ٢٧٣/٧) .

(٢) صحيح البخاري ٤٦/٥ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب

عبد الله بن سلام .

وجاء في صحيح البخارى أيضا : (حدثنا عبد الله بن يوسف قال : سمعت مالكا يحدث عن أبي النضر ، مولى عمر بن عبد الله ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه قال ز : ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشى على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام . قال : وفيه نزلت هذه الآية : " وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ " الآية . قال : لا أدري قال مالك الآية أو فى الحديث (١)

قلت : هذان الحديثان يمكن اعتبارهما معاً أصلاً لما ورد فى مجمع الزوائد ^{وغيره} ، إند الأول منهما يذكر قصة عبد الله بن سلام ^{مسند الإمام أحمد} ، والثانى يذكر سبب نزول الآية

أما الاختلاف الذى ورد فى ذكر القصة ، فيمكن رده إلى تكرار نزول الآية ، فتكون نزلت مرة عندما ذهب عبد الله بن سلام إلى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله ، ومرة أخرى عند ذهاب النبى صلى الله عليه وسلم وعبد الله إلى اليهود .

وسبب نزول الآية يسد على ما جيل عليه اليهود من العناد والاستكبار على الحق ، والإصرار على التمسك بالباطل . كما يدل على تكريم الله تعالى لعبد الله بن سلام رضى الله عنه لاستمساكه بالحق ونهذه الباطل ، واتباعه النور الذى أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم .

وفى الحديث من الأحكام الكثيرة ^{غير} على الموضوع . والذي
أؤكده هنا ما اتفق عليه البخاري وأحمد ، فى الجملة ، من أن المراد
بالشاهد من بنى إسرائيل هو عبد الله بن سلام .

٨ / قوله تعالى : (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ
عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا) (١)

قال الإمام أحمد رحمه الله : (ثنا بهز (٢) ثنا همام بن
قتادة عن أنس أنها نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم مَرَّجَعَهُ مِنْ
الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَأَصْحَابُهُ يَخَالِفُونَ الْحُزْنَ وَالْمَكَاةَ ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ مَسَاكِنِهِمْ ، وَنَحَرُوا الْهَدْيَ بِالْحُدَيْبِيَّةِ : " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا
كَبِيرًا " إِلَى قَوْلِهِ : " صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا " (٣) قال : لقد أنزلت على
آيتين هما أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا . قال : فلما تلاهما قال
رجل : هَنِيئًا مَرِيئًا يَا رَسُولَ اللَّهِ . قد بين الله لك ما يُفْعَلُ بِكَ
فَمَا يُفْعَلُ بِهَا ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آيَةً الَّتِي بَعْدَهَا : " لِيُدْخِلَ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ " حتى ختم
الآية (٤)

قلت : هذا الحديث له أصل فى صحيح البخارى (٥)
ومسلم ، واللفظ هنا لمسلم ، قاله : (حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضِيُّ

(١) سورة الفتح (٥)

(٢) هو بهز بن أسد البصرى

(٣) سورة الفتح (٢ و ١)

(٤) مسند الإمام أحمد (١٣٤ / ٣)

(٥) انظر صحيح البخارى (٦ / ١٦٨) كتاب التفسير ، باب
انفتحنا لك

حدثنا سالم بن الحارث ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ،
أن أنس بن مالك حدثهم قال : لما نزلت : " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا
مُبِينًا لِيَذُفِرَ لَكَ اللَّهُ " إلى قوله " فَهَؤُلَاءِ عِزِّي " مَرَجَعَهُ مِنَ الْحَدِيثِ
وَهُمْ يُخَالِفُهُمُ الْحَزَنُ وَالْكَآبَةُ ، وَقَدْ نُحِرَ الْهَدْيُ بِالْحَدِيثِ ، فَقَالَ :
" لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَى آيَةٍ رَأَى أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا (١)

وفى هذه الآية الكريمة بشارة عظيمة للمؤمنين ، ووعد طيب ، وفوز
عظيم بفران الذنوب ، والخلود في الجنة .

وسبب النزول يدل على اهتمام المسلمين بما ينزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الوحي ، كما يدل على تشبثهم بمرضاة الله ،
ورغبته في الجنة ونعيمها ، ولهذا كان اهتمام الصحابي بمستقبله
كبيراً ، حتى إنه استفسر النبي صلى الله عليه وسلم عما سيفعل بهم —
هو وإخوانه — فكان نزول هذه الآية الكريمة بركة . وسلاماً على قلبه
وقلوب إخوانه المسلمين .

٩ / قوله تعالى : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ . وَإِنْ يَرَوْا آيَةً
يَحْضُرُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ) (٢)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي [١٤٠ / ١٤١]

(٢) سورة القمر (٢٠١)

قال الإمام الترمذى رحمه الله (حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، عَنْ
عبد الرزاق ، عن مَعْمَرٍ (١) عن قتادة ، عن أَنَسٍ قال : - سَأَلَ أَهْلُ
مَكَّةَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةَ فَنَشَقَّ الْقَمَرَ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ فَنَزَلَتْ :
(ائْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ " إِلَى قَوْلِهِ " سِحْرُهُمْ سَتَرٌ ") (٢)

قلت : هذا الحديث له أصل في صحيح البخارى : قال رحمه
الله : (بَابُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ كُتِبَتْ آيَةُ يُخْرِضُوا . .)
(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا
شَيْبَانُ (٣) عن قتادة ، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سَأَلَ أَهْلُ
مَكَّةَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ (٤)

ومع كون الإمام البخارى لم يُصَرِّحْ بسبب النزول فى الحديث الذى
أورد هـ ، إلا أَنَّهُ نَسْتَأْنِسُ بِذِكْرِهِ لِلآيَةِ غَى ترجمته للحديث . وبهذا
تكون رواية البخارى أصلاً لما رواه الترمذى فى سبب نزول الآيتين .

(١) هو مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ الْأَزْدِيُّ .

(٢) سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِشَرْحِ تَحْقِيقِ الْأَحْوَدِيِّ ١٩١/٤ .

(٣) هو شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التَّمِيمِيُّ النَّحْوِيُّ .

(٤) صحيح البخارى ١٧٨/٦ كتاب التفسير ، باب وَانْشَقَّ الْقَمَرُ .

وهذا مما يُوجب الاعتقادَ الجازمَ بانشقاق القمر على عهد
الرسول، صلى الله عليه وسلم، انشقاقاً حَسْبِيًّا . وما ذلك على الله بعزيز .
فإنه تعالى هو الذى خلق القمر ابتداءً ، فلا يُشَجِّرُهُ من أمره شئٌ .

ونحن-المسلمين- لا نحتاج إلى دليل على انشقاق القمر بعهد خاتم
القرآن الكريم والحديث الصحيح . ولكن مما يؤكد هذا الحدث العظيم
- لغيرنا - أنه لم يرد أى اعتراض أو تكذيب من المشركين لما قرره القرآن
الكريم من انشقاق القمر الذى شهدوه عياناً كما تقدم فى الحديث
آنف الذكر .

ولو لم يحدث الانشقاق بالفعل لكانت هذه الآية مدعاةً لسخرية
المشركين وتكذيبهم ، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك بالنسبة لانشقاق
القمر الذى لم يَسْقَهُمْ نكرانه . فبرأئهم حاولوا تفسير هذه الظاهرة
بأنها سحرٌ مُسْتَعْمَلٌ . ولكن الواقع ينفي زعمهم الباطل هذا ، ويثبت
انشقاق القمر بمكة المكرمة .

١٠- قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ) (١)

قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري : (أخرني عبد الرحمن بن الحسن القاضي بهتان ، حدثنا إبراهيم بن الحسين ، ثنا آدم بن أبي إياس ، حدثنا ورقاء (٢) عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا عِدُوًّا ، وَقَدْ وَكَّمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ " إلى قوله : " وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " نزل في مكاتبة حاطب بن أبي بلتعة ومن معه إلى كفار قريش يحذرونهم . وقوله : " إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ (٣) نَهَوَّا أَنْ يَتَأَسَّوْا بِاسْتَفْهَارِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ فَيَسْتَفْهَرُوا لِلْمُشْرِكِينَ . وقوله تعالى " رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا " (٤) لا تمذبنا بأيديهم ولا بهذاب من عندك فيقولون : لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم) (٥)

(١) سورة الممتحنة (١)

(٢) . شو أبو بشر ورقاء بن عمر بنين كليب اليشكري الكوفي

نزول المداخن . كان محدثا ثقة ثبتا يروي عن الثقات .

و شود و فضل و ورع و علم بالتفسیر . انظر ترجمته فسی

تهذيب التهذيب ١١٣/١١

(١٣) سورة الممتحنة (٤)

(٤) سورة الممتحنة (٥)

(٥) المستدرك ٤٨٥/٢

قلت : الجزء المتعلق بقصة حاطب من هذا الحديث له أصل في صحيح البخاري :

قال رحمه الله : (باب لَا تَتَشَدَّدُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ

(حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ ، حَدَّثَنَا سَفِيَّانٌ ، حَدَّثَنَا عُمَرُو بْنُ دِينَارٍ

قال : حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَ اللَّهِ

ابْنَ أَبِي رَافِعٍ كَاتِبَ عَلِيٍّ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

يَقُولُ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُبَيْرُ

وَالْمِقْدَادُ ، قَالَ : " انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاغٍ ، فَإِنَّ بِهَا

طَحِينَةً (١) مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا " . فَذَهَبْنَا تَعَادَى بَنَّا

غَيْلَنَا (٢) حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ ، فَإِذَا نَحْنُ بِالطَّحِينَةِ . فَقُلْنَا :

أَخْرِجِي الْكِتَابَ ، فَقَالَتْ : مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ . فَقُلْنَا : كَخُرْجِنَا

الْكِتَابَ أَوْ لِنُلْقِيَنَّ الشَّيْبَ . فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا (٣) فَأَتَيْنَا

بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا فِيهِ : مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي

بِلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ ، يَخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا هَذَا

يَا حَاطِبُ ؟ " قَالَ : لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنْ كُنْتُ

(١) رَوْضَةُ خَاغٍ : مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، بِقَرَبِ الْمَدِينَةِ

وَالطَّحِينَةُ الْمَرَامَةُ . (انْظُرْ فَتْحُ الْبَارِي ١٢ / ٣٠٦)

(٢) تَعَادَى : أَصْلُهُ تَعَادَى بَنَاتَيْنِ : أَيْ تَرَكَتْنِي .

(٣) الْعِقَاصُ : جَمْعُ عَقِصَةٍ وَهِيَ الذَّوَابَةُ مِنَ الشَّعْرِ . وَالْمَرَادُ

ذَوَاتُهَا الْمَضْفُورَةُ (فَتْحُ الْبَارِي ٥ / ١٩٤)

امرأ من قريش ، ولم أكن من أنفسهم ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة . فأعربت إذ فاتني من النسب فيهم أن أصلح إليهم يداً يحمون قرابتي . وما فعلت ذلك كُفراً ولا ارتداداً من ديني . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ " . فقال هُمرٌ : دعني يا رسول الله فأضرب عنقه . فقال : " إنه شهد بداراً . وما يدريك ؟ لعل الله عز وجل أطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد ففرت لكم " . قال عمرو (١) : ونزلت فيه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا مَدَوِيَّ وَعَدَّوَكُمْ أَوْلِيَاءَ " قال (٢) : لا أدرى الآية في الحديث أو قول هُمر (٣)

قلت : يتأكد من سبب نزول هذه الآيات ان ولا المؤمنين لا يكون الا لله ولرسوله وللمؤمنين مهما كانت الاسباب والدوافع فالحق ولي الذين آمنوا وهو يدافع عنهم وينصرهم .

ويتضح من قصة حاطب سبدي اكرام الله تعالى للأصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم - ولا سيما أهل بيته -

(١) هو عمرو بن دينار - (٢) الفائل هروغيان بن عبيدة [نسخ الباقى] (٣) صحيح البخارى ١٨٥/٦ كتاب التفسير ، باب لا تتخذوا مدوياً وعدوكم .

الذين أَجْرَى الله على أَيْدِيهِمْ أَوَّلَ فَتْحٍ فِي الْإِسْلَامِ ، وَذَكَ بِهِمْ
عِصْمَةَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرَانِ ، وَجَعَلَ جِهَادَهُمْ ذَلِكَ سَبِيلاً فِي انْتِشَارِ
الْإِسْلَامِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا .

وَهُمْ مَعَ كَوْنِهِمْ بَشَرًا يَصِيبُونَ وَيُخْطِئُونَ فِي اجْتِهَادِهِمْ ، إِلَّا
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَهُمْ مَنْزِلَةً خَاصَةً بِهِمْ . فَلَا يَجُوزُ تَعْنِيهِمْ
أَوْ تَجْرِيعُهُمْ بِسَبَبِ اجْتِهَادِهِمْ . بَلِ الْوَاجِبُ حَسَنُ الظَّنِّ بِهِمْ
وَبِمَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ مِنْ آرَاءٍ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَبْتَغُونَ فِرَاقَ الْحَقِّ وَوَجْهَ اللَّهِ
تَعَالَى .

وَحُجَّتُهُمْ شَرَارَةُ رَبِّ الْعِزَّةِ إِذْ يَقُولُ : [وَالَّذِينَ بَعَثْنَا
الدُّلُوكَ مِنَ الْغُلَاجِ مَكِيدًا وَالَّذِينَ هَمَزْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ الْكَافِرَ
فَصَحَّى اللَّهُ عَنْهُمْ فِرْعَوْنَهُ وَهَامَانَهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَذَابًا شَدِيدًا
الْأَشْرَارَ غَالِيَةً فِيهَا أَيْدٍ ذَلِيلَةٌ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ] (١)
[وَمِنْهُ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا] ؟ (٢)

(١) سورة التوبة (١٠٠)

(٢) سورة النساء (١٤٢)

ثالثا : ما لم يوافق ما في الصحيحين =====

وسأكتفى منه بعشرة أمثلة أيضا فيما يلي :

١- قوله تعالى : (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (١)

قال ابن جرير الطبري : (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّمَادِيُّ

قال : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا شَرِيكٌ ، عَنْ عَمْرِو

ابن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : نزلت هذه الآية :

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) (٢) وكان بمكة رجل

يقال له ضمرة من بني بكر ، وكان مريضا . فقال لأهله : أَخْرِجُونِي

مِن مَّكَةَ فَإِنِّي أجدُ الْحَرَّ . فقالوا : أَيْنَ نُخْرِجُكَ ؟ فَأشار بيده

نحو المدينة . فنزلت هذه الآية : " وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى

اللَّهِ وَرَسُولِهِ " إلى آخر الآية (٣)

قلت : هذا الحديث ذكره الحافظ ابن حجر بطرق متعددة (٤)

وقال عنه الحافظ الهيثمي رجاله وثقات (٥) وأخرجه أيضا ابن أبي

حاتم (٦)

(١) سورة النساء " ١٠٠ "

(٢) سورة النساء " ٩٢ "

(٣) تفسير الطبري ٥ / ٢٤٠

(٤) الاصابة ١ / ٢٥١

(٥) مجمع الزوائد ٢ / ١٠

(٦) تفسير ابن كثير ١ / ٥٤٣

وقال منه صاحب [الصحيح المسند من أسباب النزول] (١) :
 (١) لعدد يشرجه ثقات . وشريك هو ابن عبد الله القاضي النعماني
 وفي مخطوطة ضعيف ، لكن الحديث له طرق أخرى تنتهي إلى عكرمة
 عن ابن عباس في "المطالب العالية" (٢) (٢)

وفي سبب النزول دلالة على وظم شأن الهجرة وأهميتها في
 الإسلام . وفيه أن النية الصادقة تكسب صاحبها أجر العمل كاملاً
 وإن لم يُؤفَّق في تمام إنجازها .

فهذا هو الصواب الجليل يعزّم على الخروج من بيته
 بنية الهجرة إلى الله ورسوله ، ثم تُدرّكه المنية قبل أن يصل إلى
 دار الهجرة فيكرمه الله تعالى بأن يكتب له أجر المهاجرين السابقين .
 وتلك آفة بعيدة في تكريم الإنسان لم يحظ بها إلا في دين الله
 القويم .

(١) الصحيح المسند من أسباب النزول / ص "٥٢" للوارثي

(٢) انظر المطالب العالية ٣/ ٣٢١ - حيث يقول الحافظ ابن حجر مأنصه :
 [ابن عباس : خرج ضربة من يمينه من بيته خارجاً ، فقال لأهله : اعملوني
 وأخرجوني من أرض الشرك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فما كان في الطريق قبل أن
 يصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فتمل الوحي : «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ فُجْراً إِلَى اللَّهِ الْآيَةَ» .

٢ = قوله تعالى : (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ
تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ) (١)

قال ابن جرير الطبري : ٢ حَدَّثَنَا صُرُوبُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : ثنا
عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مَقْدَمٍ قَالَ : سَمِعْتُ شَمَامَ بْنَ صُرَّةٍ يَحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ قَالَ : نَزَلَتْ فِي النَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ : " وَإِذَا
سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ " (٢)
قال الحافظ السهيمي : (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح) (٣)

قلت : في هذه الآية بشارة لمن آمن بالنبي صلى الله عليه
وسلم من أهل الكتاب ، وحسب وإن كان نزولها بدءاً في النجاشي
وأصحابه ، إلا أن حكمها عام يشمل كل كتابي آمن برسالة الإسلام
واتبع النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة المائدة " ٨٣ "

(٢) تفسير الطبري (٧ / ٥)

(٣) مجمع الزوائد ٤١٩ / ٩

وقد بشر الله هؤلاء المؤمنين بقوله :

"أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا . . ." (١)

فهم أولاً آمنوا برسولهم الذي أُرسِلَ إليهم قبل ظهور الإسلام .
وهم ثانياً آمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم إذ عانوا لأمر الله
لهم في كتمانهم التي بشرتهم بالرسالة الخامسة .

وبذلك فازوا بكلتا الحسنين ، إذ وعدهم الله . أَجْرَهُمْ
مرتين بما صبروا على تكاليف الرسالتين . غنقَ لهم أن يهتفوا بما
ترجمه الله عنهم : "وَمَا لَنَا . لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ
أَنْ يُدْعِيَ عَلَنًا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ" (٢)

(١) سورة القصص " ٥٤ "

(٢) سورة المائدة " ٨٤ "

٣- قوله تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوشُ وَلَجَ قُلُوبِ
أَبَائِنَا اللَّهُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) (١)

أخرج السيوطي عن ابن أبي حاتم (٢) قال : (حدثنا يونس
ابن عبد الأعلى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني هشام بن سعد
عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عمر قال : قال رجل في فزوة
تبتون في مجلس يوماً ما رأيته مثل قراقنا هؤلاء ، لا أرفع يدي ولا
أكذب السنّة ولا أجب عند اللقاء . فقال رجل في المجلس :-

(١) سورة التوبة "٦٥"

(٢) هو الامام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن الحافظ الكبير
أبى حاتم محمد بن إدريس التميمي الحنظلي الرازي . ولد
سنة أربعين ومثنتين ، وارتحل في طلب العلم إلى الشام
ومصر وأصبهان وغيرها . كان عالماً بالحديث وعلمه وبرّه في
فن الجرح والتعديل وتأريخ الرجال . وكانت وفاته سنة
سبع وعشرين وثلاثمائة (أعلام المحققين ٣١٢)

تذبت ، ولكنت منافق . لَأَخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
ونزل القرآن . قال عبدُ الله : فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقِّبِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنَكُّبَهُ الْحَجَارَةُ (١) وهو يقول : يَا رَسُولَ
اللَّهِ إِنَّمَا كُنَّا نَخْشَوْهُ وَنَلْعَبُ . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
«إِنَّ اللَّهَ رَأْيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ» (٢)

جاء في [الصحيح المسند من أسباب النزول] : (الحديث
رجالہ رجال الصحیح) الشَّامُ بْنُ سَعْدٍ فَلَمْ يُخْرَجْ لَهُ مُسْلِمٌ إِلَّا فِي
الشَّوَادِدِ كَمَا فِي الْمِيزَانِ (٣)

وقال الإمام الذَّهَبِيُّ (٤) : وَأَمَّا أَبُو دَاوُدَ فَقَالَ : «و» (٥)
أَثَبْتُ النَّاسَ فِي زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ (٦)

(١) النَّقَبُ : الْحِزَامُ الَّذِي يُشَدُّ عَلَى خَاصِرَةِ الْبَحِيرِ . وَتَنَكُّبُهُ
الْحَبْسُ خَاصَرَةً : أَيْ تَصْيِيهِ وَتَعُدُّهُ فِي رَجْلَيْهِ .

(٢) لِبَابِ النُّقُولِ ص ١٢٩ .

(٣) الصَّحِيحُ الْمُسْنَدُ مِنْ أَسْبَابِ النُّزُولِ ص ٧٧ .

(٤) وَالْإِمَامُ الْحَافِظُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ
عُثْمَانَ ابْنَ قَائِمٍ أَمَّا الزُّكْرَانِيُّ الذَّهَبِيُّ الْمَحْدَّثُ ، شَيْخُ الْجِسْرِ
وَالْتَعْدِيلِ وَصَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْكَثِيرَةِ . تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ
وَسَبْعِمِائَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ . (مَقْدَمَةُ مِيزَانِ الْاِعْتِدَالِ بِتَحْقِيقِ
الْبَجَاوِيِّ) .

(٥) الْمَرَادُ : شَّامُ بْنُ سَعْدٍ

(٦) مِيزَانُ الْاِعْتِدَالِ ٢٩٩/٤

قلت : هذا الحديث يكشف عما جبل عليه المنافقون من الكيد والمكر والدسائس . فهذا المنافق الكذاب أراد أن يطعن في صفوة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من القراء . فهو ينعتهم بالشرك والكذب والجبن . ولكن الله تعالى رد كيده في نحره ، فأنبرأ له أحد الصحابة حتى أسلمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتضح أمره ، وزاده الله ذللاً على ذلٍّ ، فأنزل فيه قرآناً يقتل ليفضحه إلى يوم الدين . وهكذا شأن القرآن الكريم مع المنافقين وأشياعهم ، يورثهم الذل والصغار في الحياة الدنيا ، ويورد هم الدرك الأسفل من النار في الدار الآخرة .

٤- قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (١)

قال ابن جرير الطبري : (حدثني المثنى قال : حدثنا عمرو ابن موم قال : أخبرنا هشيم (٢) عن حصين - هو ابن عبد الرحمن -

(١) سورة النمل ١٠٣

(٢) هو المحدث الثقة الثبت هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي أبو معاوية بن أبي حازم الواسطي . ولد سنة أربع ومائة ، وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب

عن عبد الله بن مسلم الحضرمي أنه كان لهم عبدان من أهل غير اليمن
وكانا يفلين ، وكان يُقال ل أحدهما "يسار" وللآخر "جبر" فكانا
يقرآن التوراة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رثما جلس إليهما،
فقال كفار قريش : إنما جلس إليهما يتعلم منهما . فأنزل الله
"لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ" (١)

قلت : هذا الحديث له شاهد رواه الحاكم في المستدرک
وصححه قال : (أخبرني عبد الرحمن بن الحسن ابن أحمد الأسدي
بمقدان ، ثنا إبراهيم بن الحسين ، ثنا آدم بن أبي إياس ، ثنا
ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، رضي
الله عنهما في قوله عز وجل : " إِنَّمَا يَسْتَلِمُهُ بُشْرُ لِسَانٍ الَّذِي يُلْحِدُونَ
إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ " قالوا : إنما يعلم محمدا عبدا

ابن المضيرقى وهو صاحب الكتب . فقال الله : " لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ
إِلَيْهِ أَصْغَىٰ ۚ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ۚ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ " (٢) . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه (٣)

وفى هذا الحديث إشارة إلى سَفَهِ عُقُولِ الْمُشْرِكِينَ . فَإِذَا كَانَ
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ نَزَلَ بِأَسْلُوبِ اعْتِزَالِهِمْ جَمِيعًا - وَنَمَّ أَرْبَابُ الْفَصَاحَةِ
وَالْبَلَاغَةِ - فَكَيْفَ يَسْتَحِيلُونَ نِسْبَتَهُ إِلَى طِفْلَيْنِ مِنَ الْأَعَاجِمِ لَا يُجِيدَانِ
الْقُصَصَ ؟

اللَّهُمَّ إِنِّهَا الْمَعَانِدَةُ وَالْمُكَائِدَةُ وَحَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ . وَصَدَقَ اللَّهُ
الْمُتَكَلِّمِينَ إِذْ أَلْزَمَهُمُ الْحُجَّةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : [لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ
أَصْغَىٰ ۚ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ .]

(١) سورة النحل ١٠٣

(٢) سورة النحل ١٠٥

(٣) المستدرک ٢/٢٥٧

... قوله تعالى : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا
ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا وَصَّيْنَا أَنْ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنُغْفِرَنَّ لَهُمْ) (١)

قال الطبري : (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّمَادِيُّ قَالَ :
حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شَرِيكٍ عَنْ قُفْرٍ بْنِ
دِينَارٍ عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ
أَسْلَمُوا ، وَكَانُوا يَسْتَحْتَنُونَ بِالْإِسْلَامِ ، فَأَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَهُمْ ،
فَأُصِيبَ بَعْضُهُمْ فَقُتِلَ الْمُسْلِمُونَ : كَانَ أَصْحَابُنَا هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ
وَكَرِهُوا ، فَاسْتَدْفَرُوا لَهُمْ . فَنَزَلَتْ : " إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْفَلَاقَةُ فِي الْحَيَاةِ
نُفْسِهِمْ قَالُوا فِيهِمْ كُفْرٌ " ... الآية (٢) قَالَ : فَكُتِبَ إِلَيَّ مِنْ بَقِيَّةِ
بِحَقِّهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ ، وَأَنَّهُ لَا مَذْرَأَ لَهُمْ ، قَالَ : فَخَرَجُوا
لَعَنَهُمُ الْمُشْرِكُونَ ، فَأَعْرَضُوا عَنْ الْفِتْنَةِ (٣) فَنَزَلَتْ فِيهِمْ : " وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ فَاذًا أُوذِيَ فِي اللَّهِ " إِلَى آخِرِ الْآيَةِ (٤) فَكُتِبَ

(١) سورة النحل "١١٠"

(٢) سورة النساء "٩٧"

(٣) المراد بالفتنة: الزَّوْجَةُ، والمعنى أن المشركين أرادوا فتنه المسلمين عند زواجهم، فاستجاب لهم بعض المسلمين وارتدوا، فكَاتَبَهُمُ الْمَلِكُ الْفِتْنَةَ -
عَنْ تَفْسِيرِ الرَّصَنِيِّ ٥ / ٥٠٤ - : [... فخرجوا فاحقهم المشركون
فافتنوه بعضهم، فنزلت فيهم الآية] .
(٤) سورة العنكبوت "١٠٠"

المسامون إليهم بذلك ، فحزنوا وأيسسوا من كل غيرهم نزلت
 فيهم : " ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا
 وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِ مَا لَخَفُوا رَحِيمٌ " فكتبوا إليهم بذلك : أن
 الله قد جعل لكم مخرجاً ، فخرجوا ، فأدركهم المشركون فقاتلواهم
 حتى نجا من نجا ، وقتل من قتل (١)

قال الإمام الهيثمي بعد أن ساق هذا الحديث : (رواه
 البزار ورجاله رجال الصحيح ، غير محمد بن شريك (٢) وثبوته (٣)
 وفي سبب النزول - هنا - تأكيد على وجوب التمسك بالحقيقة
 والاستسلام بالإيمان على كل الفتن والمضريات .

نحلي المؤمن أن يبذل كل ما في وسعه لصدِّ العدوان
 عن نفسه وعن دينه ، ولا ينبغي له الاستسلام للأعداء ما دام في
 مقدوره أن يعطي كيدهم ، ويفسد مخططاتهم الماكرة .

(١) تفسير الطبري ٢٣٤/٥

(٢) محمد بن شريك المكي أبو عثمان المتوفى سنة ثمان وستين

ومائة . قال أحمد وابن معين وأبو زرعة : ثقة . وقال

الدارقطني : ثقة مصروف . وذكره ابن حبان في الثقات .

(انظر تهذيب التهذيب ٢٢١/٩)

(٣) مجمع الزوائد ١٠/٧

ومن الوسائل النخالة في هذا الميدان الهجرة من ديار
الخراب إلى دار الإسلام ، حيث يكون المهاجر قد أضاف لبنة جديدة
إلى لبنات البناء الجهادي . وبذلك تقوى شوكة المؤمنين ، فيصير
في مكنيتهم تدبير الأرض من الفساد والمفسدين . وبذلك أيضا
تعلو راية الحق ، ويذلل الناس في دين الله أفواجا ، ويظهر هذا
الدين على الدين كله ولو كره المشركون .

٦- قوله تعالى : الزَّانِي لَا يَنْفَعُ إِلَّا زَانِيَةٌ أَوْ مُشْرِكَةٌ (١)

قال الإمام الترمذي : (حدثنا عبد بن حميد ، نا روح بن
صبابة عن عبيد الله بن الأحنس قال : أخبرني عمرو بن شعيب
عن أبيه [٢] عن جده قال : كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد وكان
رجلا يحمل الأسرى من مكة ويأتي بهم المدينة ، قال : وكانت
امراة بغي بمكة يقال لها عناق ، وكانت صديقة له ، وأنه كان وقد

[٢] المكنة - يفتح الميم ويسر الكاف - الثمان .
والمكنة - بضم الميم وإسكان الكاف - القوة والشدة .

(١) سورة النور ٣٠

(٢) هو مشيبي بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص .

رَجُلًا مِنْ أَسَارَى مَكَّةَ يَحْمِلُهُ . قَالَ : فَجِئْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى ظِلِّ
 ١٥١٠ . مِنْ حَوَائِطِ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ . قَالَ : فَجَاءَتْ عَنَاقُ فَأَبْصَرْتُ
 سَوَادَ ظِلِّي بِجَنْبِ الْحَائِطِ ، نَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى عَرَفَتُ فَقَالَتْ : مَرْتَدٌ ؟
 نَقَلْتُ : مَرْتَدٌ . فَقَالَتْ مَرْحَبًا وَأَهْلًا ، هَلُمَّ فَبِيتُ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ . فَقُلْتُ :
 يَا عَنَاقُ ، سَلِّمْ عَلَى اللَّهِ الرَّزَّاقِ . فَقَالَتْ : يَا أَهْلَ السَّيَّامِ هَذَا الرَّجُلُ يَحْمِلُ
 أَسْرَاكُمْ . قَالَ : فَتَبِعَنِي ثَمَانِيَةً وَسَلَكْتُ الْخَنْدَمَةَ (٢) فَانْتَهَيْتُ إِلَى
 نَارٍ أَوْ كَهْفٍ فَدَخَلْتُ . فَجَاءُوا حَتَّى قَامُوا عَلَى رَأْسِي وَصَلَّاهُمْ اللَّهُ عَنِّي
 تَالِثًا ثُمَّ رَجَعُوا وَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَحَمَلْتَهُ ، وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا حَتَّى
 انْتَهَيْتُ إِلَى الْآخِرِ فَفَنَكْتُ عَنْهُ أَكْبَلَهُ (٢) فَجَعَلْتُ أَحْمِلُهُ وَيُعِينُنِي حَتَّى
 تَدْرِمْتُ الْمَدِينَةَ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَا
 رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَنكِحُ عَنَاقًا ؟ فَهَلَسَتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَلَمْ يَرِدْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ : " الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً
 وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ " فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ يَا مَرْتَدُ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا
 إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ (٢)

(١) الْخَنْدَمَةُ : جَبَلٌ مَعْرُوفٌ بِمَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ .

(٢) الْأَكْبَلُ - بَضْمُ الْبَاءِ - جَمْعُ كَيْلٍ بِفَتْحِ الْكَافِ وَكُسْرُهَا وَإِسْكَانُ
 الْبَاءِ : وَهُوَ الْقَيْدُ .

(٣) سَنَنُ التِّرْمِذِيِّ بِشَرْحِ تَحْفَةِ الْأَحْوَدِيِّ ١٥٢/٤

قلت : هذا الحديث أخرجه أبو داود (١) والنسائي (٢)
وحسنه الترمذي (٣) وقال الحاكم : صحيح الإسناد (٤)

وسبب نزول الآية يبين حرص الإسلام على الظهور والصفاء والنزاهة
بقدر ما يدر من على مقت الحنا والخبث والفاحشة .

فالمسلم طاهر عفيف في عقيدته وسلوكه ، وهو مسئول عن إشاعة
نذاه القيم الفاضلة في بيئته ومجتمعه . ولكي يتسنى له القيام بهذه
المسؤولية لا بد له من الاستعانة بمن يشاركه الإيمان بتلك القيم .
ولذا فروا أن الزوجة الصالحة غير مضمّنين في هذا المجال . فكان من
منكمة الله تعالى وعده له أن يحرم على المؤمنين نكاح الزواني والمشركات ،
حتى يحفظ عليهم عفتهم وطمهرتهم في انفسهم ووفى دريتهم من بعدهم .
ومن ثم يقوم بأمر الدعوة حداة مؤهلون للقيام بواجبهم على الوجه المطلوب .

(١) سنن أبي داود ١٧٦/٢

(٢) سنن النسائي (٥٤/٦)

(٣) سنن الترمذي ١٥٢/٤

(٤) المستدرک ١٦٦/٢

٧- قوله تعالى : (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (١)

قال الإمام الطبري : (حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ آدَمَ قَالَ : حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْفَةَ قَالَ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي عَشْرَةِ أَنَا أَحَدُهُمْ :- " وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ") (٢)

وقال الهيثمي : (عن رِغَامَةِ الْقُرَيْشِيِّ قَالَ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي عَشْرَةِ أَرْهُطٍ أَنَا أَحَدُهُمْ : " وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ " رواه الطَّبْرَانِيُّ " ٣ " بِإِسْنَادَيْنِ أَحَدُهُمَا مُتَّصِلٌ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ هَذَا هُوَ وَالْآخَرُ مُنْقَطِعُ الْإِسْنَادِ .

(١) سورة القصص " ٥١ "

(٢) تفسير الطبري ٨٨ / ٢٠٠

(٣) هو الإمام الحافظ العلامة أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي اللخمي الطبراني من كبار أئمة الحديث والتفسير والمناسك . توفي سنة ستين وثلاثمائة (أعلام المحدثين

قلت : القول الذي ورد في الآية الكريمة المراد به القرآن الكريم، الذي أنزله الله لهداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور .

ولا شك أن القلوب المفتحة للهداية تنتفع بهذا القول الكريم، وتقنن لأمر ربها طائعة مذعنة ، مشوقة لمرضاة الخالق الديان .

وفي الآية إشارة إلى حكمة إرسال الرسل ، فإن من واجبهم تبليغ الدعوة إلى الناس وتمييز الحق من الباطل، بإقامة البراهين الدامنة ، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ومن ثم لا يملك عاقل سوى الإذعان لأمر الله ، والثناء لرسله الكرام عليهم السلام .
" وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَ الْأَنْبَاءِ " (١)

(١) سورة البقرة " ٢٠٩ "

٨- قوله تعالى : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (١)

قال الإمام الترمذى : (حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأوسى ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى ابن سعيد ، عن أنس بن مالك ، عن هذه الآية : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ " نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى الصلوة) (٢) قلت : هذا الحديث أخرجه الطبري في تفسيره (٣) وحسنه وصححه الإمام الترمذى (٤) وقال الحافظ ابن كثير : سنده جيد (٥)

وفي سبب النزول دلالة واضحة على حب الله تعالى لعباده القانتين ، واحتشائه بهم وبأعمالهم الصالحة .

(١) سورة السجدة " ١٦ " .

(٢) سنن الترمذى ١٦١ / ٤

(٣) تفسير الطبري ١٠٠ / ١٢

(٤) سنن الترمذى ١٦١ / ٤

(٥) تفسير ابن كثير ٤٠٩ / ٥

والحديث - أيضاً - يشير إلى سعة رعمة الله تعالى، وتفضله
على عباده، بامتداحه لهم بهذا الثناء الجميل، الذي يدل على الرضاء
الكامل والقبول بالتام .

ونلاحظ كذلك في ثنايا الحديث التنويه بأهمية صلاة العتمة ،
التي هي صلاة العشاء (١) وأن^{كمن} ينتلدا حتى يصليها يكتب عند الله
من القائمين الليل بأجمعه . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم * (٢)

(١) انظر تحفة الأعوذ ١٠١/٤

(٢) سورة الجمعة (٤)

١- قوله تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ ^{جَمِيعًا}) إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١)

قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري : (حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْقَارِي ، حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابْنُ إِسْحَاقَ قَالَ : وَأَخْبَرَنِي نَافِعٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ عُمَرَ قَالَ : كُنَّا نَقُولُ : (مَا لِمُفْتَتِحِ تَوْبَةٍ ، وَمَا لِلَّهِ بِتَقَابُلٍ مِنْهُ شَيْئًا) فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَنْزَلَ فِيهِمْ : " يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ ^{جَمِيعًا} إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " وَالْآيَاتُ بَعْدَهَا (٢)

قال الحاكم : (صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي) (٣)

(١) سورة الزمر " ٥٣ "

(٢) المستدرک ٤٣٥ / ٢

(٣) المستدرک ٤٣٥ / ٢

وقال المِثْمِيُّ : (رواه البزار (١) ورجاله ثقات) (٢)

قلت : هذا الحديث يشتمل على نعمة من كُبريات النعم التي
كَبَّها الله بها عباده ، وهي نعمة التوبة وقران الذنوب جميعاً ،
وما يتبع ذلك من دخول الجنة ، بعد أن كادت الأعمال تُوبق أصحابها
وتُسومهم سوء العذاب .

ومراد الآية - والله أعلم بمراده - إنقاذ العباد من داء القنوط
والْيَأْس من رحمة الله تعالى - لِأَنَّ الْيَأْسَ لو اسْتَحْوَذَ على النفوس
لَأُورِدَهَا مَوَارِدَ التَّهْلُكَةِ وَالْدَّمَارِ . ولكن الله تعالى رُؤُفٌ رَحِيمٌ بعباده ،
يريد لهم الخير والفلاح والسُّمُورَ بأرواحهم في مدارج الإيمان والتقوى .
ومن ثمَّ مهَّد لهم طريق التوبة والإنابة ، ووعدهم على ذلك غير ما
تتمناه الأنفس من النعيم المقيم والحياة الراضية . .

(١) هو العائف أبو الفضل أحمد بن سلمة النيسابوري البزار .
كان إماماً في الحديث وتوفي سنة ست وثمانين ومائتين (أعلام
المُصَنِّدِينَ ٣٠١)

(٢) مجمع الزوائد ٦١ / ٦

١٠- قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ
عَدُوًّا لَكُمْ فَاعْزِدُوا لَهُمْ) (١) رَحِيمٌ (٢)

قال الإمام الترمذی : (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ ، حَدَّثَنَا سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ ، عَنْ هَكْرَمَةَ
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : سَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاعْزِدُوا لَهُمْ " قَالَ : هَؤُلَاءِ
رِجَالٌ أَسْلَمُوا مِنْ أَصْلِ مَكَّةَ ، وَأَرَادُوا أَنْ يَأْتُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَأَبَى أَزْوَاجُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ أَنْ يَدْعَوْهُمْ أَنْ يَأْتُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَوْا أَصْحَابَهُمْ
قَدْ فَتَنَهُوا فِي الدِّينِ - سَمِعُوا أَنْ يُحَاقِبُوهُمْ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى " يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاعْزِدُوا لَهُمْ " الْآيَةَ .
هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (٢)

قلت : هذا الحديث أخرجه الطبري (٣) وابن كثير (٤)
وقال الحاكم : صحيح الإسناد (٥) . ومعرفة سبب نزول الآية

-
- (١) سورة التّحّافين " ١٤ "
(٢) سنن الترمذی ٢٠٢ / ٤
(٣) تفسير الطبري ١٢٤ / ١٨
(٤) تفسير ابن كثير ٣٧٦ / ٤
(٥) المستدرک ٤٩٠ / ٢

تعالج داء من الأدواء الخطيرة الفتاكة ، ألا وهو داء الافتتان بالآمل والمال والولد .

فها هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحترمون الهجرة إيقوا شوكة المسلمين ، وينصروا الله ورسوله ، بإزهاق الباطل وإعلاء رايات الحق فوق رؤى أرجاء الكون . ولكنهم يجدون أنفسهم مشدودين بأعابيل العاطفة الزوجية ، والحنان الأبوي . فلا يملكون لذلك ردًا بل ينكضون على أعقابهم متعلفين من الهجرة إلى الله ورسوله . ويخذ اشتباقتهم من سكرات العواطف يلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم . فإذا يجدون نى دار الهجرة ؟ إنهم وجدوا إخوانهم السابقين قد فاتوهم آمادًا بعيدة في اكتساب العلم والتسلق بأداب نبهم الكريم . فلم يملكوا غير الأسى على مسا فاتهم من الخير ، ولم يجدوا بُدًا من معاقبة أهليهم . ولكن الله تعالى يتداركهم برحمته الواسعة ، فيدعوهم إلى الحفو والصّفح والشفرة : " وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (١)

وهكذا تتضح قيمة الروايات الواردة فى أسباب النزول : فهى إما أن تكون من رواية الشيخين . وإما أن يكون لها أصل فى الصحيحين . وإما أن تكون مروية بالأسانيد الصحيحة المتصلة . وهذا القسم الأخير هو الذى نلنى أسباب النزول لأن ما ورد فى الصحيحين أكثره مَعْنَى بتفسير القرآن الكريم .

هناك شيء مهم جداً
بأسانيد متصلة

ولهذا السبب نجد أنَّ ما ورد في الصحيحين من أسباب
النزول لا يتجاوز الستة مواضع بعد المائة موضع . وأنَّ الموافق لما
في الصحيحين يبلغ ثمانية وعشرين موضعاً (١) ومجموع هذين
القسمين يبلغ أربعة وثلاثين موضعاً ومائة موضع . وما بقى من
الروايات الواردة في أسباب النزول كلُّه من القسم الآخر ، وجملته
واحد وسبعون موضعاً وسبعمئة موضع (٢)
وأنت ترى أنَّ القسم الآخر من الكثرة بحيث لا يتسع لتحقيقه
نصل كنهذا ببل هو صالح لتأليف رسالة كاملة مستقلة عسى الله أن
يفتح باعدادها في مُقِيل الأيام . ولهذا كُزِمَ الاكتفاء هنا بسوق
أمثلة للأقسام الثلاثة . والله تعالى أعلم بمكنونات كتابه ، وهو
سبحانه من وراء القصد .

[١] انظر «كتاب التفسير» في كَلَامِهِ صَاحِبِي الْبَخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .
[٢] كان الاعتماد في هذا الاستغناء - بعد الله تعالى - على الصحيحين ،
ثم كُنَّا فِي الْوَامِدِيِّ وَالسَّيُوطِيِّ فِي أسباب النزول ، ثم كُنَّا فِي «الصحيحين»
المُسْتَدْرَكِ أسباب النزول «التي هي مقبل به هادي الوارثين» .

الفصل الثانی

فے صیغ الرواة

فہ التفسیر عن سبب النزول

والکوازنۃ بدینہ

وفیہ مباحث

المبحث الأول :

صیغ الرواة فی التفسیر عن سبب النزول.

المبحث الثاني :

الکوازنۃ بینہ ہذا لصیغ .

الفصل الثاني

=====

في صيغ الرواة في التعبير عن سبب النزول

والموازنة بينهما

=====

ويشتمل هذا الفصل على مبحثين :

المبحث الأول : صيغ الرواة في التعبير عن سبب النزول

للمرواة صيغ متنوعة في تعبيرهم عن سبب النزول . وهي لا تكاد

تتعدى الأنواع التالية :- (١) ^{كقولهم}

أولاً : ما صُرح فيه بنقطة السبب ↑ : سبب نزول هذه الآية كذا .

ثانياً : ما اقترن بقاء داخل على مادة نزول الآية عقب سرد حادثة ،

كقولهم : " فنزلت " أو " فأنزل الله " .

ثالثاً : ما نزل جواباً على سؤال ، ووجه للنبي صلى الله عليه

وسلم ، وهذا النوع لا يُصرَّح فيه بالسبب ولا يعبر عنه بالفاء ، ولكن ^{للاقتضاء}

السببية تفهم فيه من المقام .

رابعاً : قول الصحابي : «نزلت هذه الآية في كذا»

خامساً : قول التابعي : «نزلت هذه الآية في كذا» .

سادساً : ما لم يجرم به الراوي ، كقولهم : أحسب هذه الآية

نزلت في كذا (٢)

(١) انظر مناهل العرفان ١٠٧/١

(٢) انظر الاثقان ٣٢/١

وسأشك في هذا المبحث ما سلكه الأصوليون في التعرف على مسالك
الحلّة (١)

(١) فقد يثبت السبب أو الحلّة عند الأصوليين بالنص صراحة ،
أو بالإجماع . ونظير ذلك في أسباب النزول ما صرح فيه بنص السبب
كقولهم : (سبب نزول هذه الآية كذا)

والذاكر أن هذه الصيغة أدرجت - افتراضاً - ضمن صيغ التعبير
من سبب النزول ، لأنها لم ترد بهذه الصيغة في رواية من الروايات
المعتبرة . والكتب المعنية بأسباب النزول شاهدة على ذلك (٢)

وكان من اللائق أن تهمل هذه الصيغة لعدم ورودها في أسباب
النزول . غير أن ورودها في بعض كتب علوم القرآن (٣) باعتبارها
نصاً في السببية دكاً إلى ذكرها دناء للتنبيه على أنها لم تـكـرـد
- أصلاً - في أسباب النزول .

(١) انظر أصول الفقه للشيخ محمد ابى زهرة ص ١٤٤

(٢) انظر على سبيل المثال : كتابي الواحدى والسيوطى .

(٣) انظر مناهل الصرفان ١٠٧/١

٢- وقد يثبت بالإيمان . فكما أَنَّ الحِلَّةَ تُثَبَّتُ بالإيمان، فكذلك السبب ، ويكون هذا الإيمان بِتَرْتِيبِ الْحُكْمِ عَلَى سَبَبٍ ، مثل قوله تعالى نَبِيَّ الْحِلَّةِ : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ غَاقُطُوا أَيْدِيَهُمَا) (١) فَإِنَّ حِلَّةَ الْقُلْعِ هِيَ السَّرِقَةُ بِالْإِيمَانِ الَّذِي هُوَ تَرْتِيبُ الْجُزْأِ عَلَى الْوَصْفِ . وكذلك في السبب نحو قولهم : " فنزلت " أو " فأنزل الله " بتحقيق المنزول على ما ذكره الراوى .

وهذه الصيغة هي الخالصة في التعبير عن سبب النزول . ومن أمثلتها ما ورد في صحيح الإمام البخارى على النحو التالى :-

أ / (حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، سَمِعَ زُبَيْرًا (٢) عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ شُهُورٍ (شَهْرًا) وَكَانَ يُحْجِيهِ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ الْبَيْتَ وَأَنَّهُ صَلَّى - أَوْ صَلَّاهَا - صَلَاةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَصَلِّي مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ / أَرَأَيْتُمْ . قَالَ أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَكَّةَ فَدَارُوا كَمَا هُمْ قَبْلَ الْبَيْتِ . وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قِبْلَ الْبَيْتِ رَجَالٌ قَتَلُوهُ لَمْ نَدْرَ مَا نَقُولُ فِيهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : " وَمَا كَانَ لِلَّهِ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَبٌّ ذَكِيٌّ " (٣)

أول صيغة

[تنبيه القارئ]

(١) المائدة (٣٨)

(٢) زهير بن معاوية بن حديج بنهم الحاء ، مصنف أ.

(٣) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب سَيَقُولُ الشُّكَّاءُ « وَأَنْزَلَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ آيَةً رَقْمَ ١٤٣ »

ب / (حَدَّثَنَا صَبِيدُ اللَّهِ ^[١] عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ
عَنِ الْبَرَاءِ - وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَثْمَانَ ، حَدَّثَنَا شُرَيْحُ بْنُ مَسْلَمَةَ قَالَ :
حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُونُسَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ : سَمِعْتُ
الْبَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَمَّا نَزَلَ صَوْمُ رَمَضَانَ كَانُوا لَا يَقْرَبُونَ النِّسَاءَ
رَمَضَانَ كُلَّهُ ، وَكَانَ رِجَالٌ يَغْوُونَ أَنْفُسَهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : " هَلِمَ
اللَّهُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَمَسَّابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ " (١)

ج / (حَدَّثَنَا صَبِيدُ اللَّهِ ^[٢] عَنْ مُوسَى ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ أَبِي
إِسْحَاقَ ، عَنْ الْبَرَاءِ قَالَ : كَانُوا إِذَا أُحْرِمُوا فِي الْجَاشَلِيَةِ أَتَوْا
الْبَيْتَ مِنْ شَمِيرِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : " وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ
شَمِيرِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَاتُّوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا " (٢)

د / (حَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ أَبُو مُحَمَّدٍ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
يَعْفَرٍ عَنْ شُعْبَةَ ^[٣] عَنْ سُلَيْمَانَ ^[٤] عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ :
لَمَّا أُمِرْنَا بِالْصَّدَقَةِ كُنَّا نَتَعَامَلُ (٥) فَجَاءَ أَبُو مُقَيْلٍ بِنِصْفِ صَاعٍ وَجَاءَ

[١] هَوَابِهُ مُوسَى .

(١) صَمِيحُ الْبَيْهَقِيِّ كِتَابُ التَّفْسِيرِ ، بَابُ (أَعْلَلَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ)

وَانْظُرْ سُورَةَ الْبَقَرَةِ آيَةَ رَقْمِ ١٨٧

(٢) صَمِيحُ الْبَيْهَقِيِّ ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ ، بَابُ (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا

الْبُيُوتَ مِنْ شَمِيرِهَا) . وَانْظُرْ أَيْضًا سُورَةَ الْبَقَرَةِ آيَةَ رَقْمِ ١٨٩

(٣) هَوَابِهُ الْحَاجِّ . [٤] هَوَابِهُ مِهْرَانَ الْأَعْمَشِيِّ .

(٥) نَتَعَامَلُ : أَيْ يَحْتَمِلُ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ بِالْأَجْرَةِ (فَتَحَ الْبَارِي

إنسان يكثر منه ، فقال المنافقون : إن الله لَغَيٌّ عن صدقة هذا .
وما ندل هذا إلا رفاً فنزلت : " الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ " الآية (١)

قلت : فأنت ترى في الأمثلة الأربعة المتقدمة أن السبب لم
يذكر صراحة بل ذكر ضمناً ، وذلك هو الإيماؤ الذي تقدم ذكره آنفاً .

نفي المثال الأول كان سبب النزول تحوُّف الصحابة على مصير
إخوانهم الذين لم يدركوا تحويل القبلية إلى الكعبة ، وكأنهم أشفقوا
من أن تكون صلاتهم إلى بيت المقدس غير مقبولة ، نأزل الله قوله
"وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ" ولَمَّا نَهَمَ عَلَى مصير إخوانهم وبين لهم
أن المِهْمَ هو العمل بالتشريع فمن مات قبل أن يُنْزِلَ هذا التشريع
نَسَمَلُهُ مَحْسُوبٌ لَهُ ، غير ضائع عليه ، بِإِذْنِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ .

(١) صحيح البخارى - كتاب التفسير - باب " الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ "

وانظر سورة التوبة آية رقم [٧٩]

وفي المثال الثاني كان التشريع في صدر الإسلام هو اعتزال النساء رمضان كله ، ولكن بعذر المسلمين جعلوا يختانون أنفسهم ، فخالفوا التشريع ، واتصلوا بنسائهم ، فكان ذلك سبباً في نزول الآية ، حيث عَفَفَ الله عنهم ، وأباح لهم الرّفثَ إلى نسائهم في ليالي رمضان ، ، وتاب عليهم وحفا عنهم فيما ارتكبه من مخالفتهم التشريع السابق .

وفي المثال الثالث كان الناس في الجاهلية يحرمون ويأتون البيت من ظهره ، لأننا منهم أن نرى ذلك خيراً وبرّاً ، فنزل القرآن يوجههم إلى الطريق المثلى ، وهي إتيان البيوت من أبوابها ، ويرشد هم إلى تقوى الله التي هي جماع الخير والبر والفلاح .

وفي المثال الرابع نرى فقراء المسلمين يجهدون أنفسهم طلباً لآمر الله بالصدقة ، وحريصاً منهم على الفوز بمروءة ربهم ، فكانوا يتعاملون : **[أَنْ يَسْعَلَ بِحَضْرِهِمْ لِبَعْضِ الْأَجْرَةِ]** ، ويتصدق الأجراء بما كسبت أيديهم ، على قَلْبِهِ وَشَعْنِهِ وَشِدَّةِ حَاجَتِهِمْ لَهُ ، وفي الوقت نفسه كان الأثنياء منهم يتنافسون في بذل أموالهم لتجسير الجيش . ولكن المنافقين اغتاثوا من ذلك البذل السخّي ، فأرادوا تشييت همم المسلمين ، بالتهمك والسُّعْرِيَّةِ مِن فقرائهم ، وبالتشكيك في إغلاص المؤسرين منهم ، فأُنزل الله تبرة المسلمين مما وصَّهم به أعداء الله ، وأُنذَرُ المنافقين بأنَّ سَعْرِيَّتَهُمْ مَرْدُودَةٌ عَلَيْهِمْ ، وأنهم سَيُلْقَوْنَ جزاءَ كُفْرِهِمْ ونفاقِهِمْ في الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ .

وهكذا نجد سبب النزول في هذه الآيات الكريمة وفي غيرها لم يرد صراحةً وإنما ورد إيماءً بتحقيق سبب النزول على ما ذكره الراوى .

وعليه فالإيماء إشارة الى ربط المسبب بسببه . فقول الراوى " نزلت لربط ما هو مسبب من النازل بسببه المقتضى لنزوله .

ومن معانى الناء الترتيب ، أى ترتيب المسبب على السبب والتحقيق عليه . ولا شك أن الإيماء متفاوت الدرجات فالإيماء من الله تعالى أصح من الإيماء من الراوى ، إذ أن الإيماء من الله قاطع والإيماء من الراوى يحتره التفاوت إذ يجوز عليه الشك . ونرى ذلك واضحاً عند اختلاف الرواة فى سبب النزول وإن كان مثلاً هذا لا يقال فيه بالرأى، إلا أن صيغ الرواة فى إيمائهم أقل وضوحاً من الصيغ الواردة من الله تعالى .

فمثلاً : لا ريب فى أن السرقة طئة التلوع فى قوله تعالى "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْلَبُوا أَيْدِيَهُمَا"^(١) أما إذا قال الراوى - مثلاً - : سَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَجَدَ ، دَلَّ بِظَاهِرِهِ ^{عَلَيْهِ} أَنَّ طئة السجود هى السهو ومع ذلك يبقى احتمال آخر وهو أنه سجد لغير السهو . بل سجد ليحلم الأمة . إلا أن الراوى لم يتطرق لذهنه هذا الاحتمال .

(١) سورة المائدة « ٣٨ »

من أجل ذلك أقول : إن قول الراوى : " فنزلت " يحتمل أن يكون ما ذكره هو السبب ، ويحتمل أن يكون غيره . ولذا قلت إن هذا التعبير إيماء وليس بتصريح .

٣- وقد يثبت السبب عن طريق سؤال يوجه إلى النبي صلى عليه وسلم فينزل الوعى بالجواب المراد .

ومثال ذلك ما ورد فى الروایتين التاليتين :

أ/ قال الإمام مسلم رحمه الله : (حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ بَكْرِ النَّاقِدِ ، حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْعُنْكَدَرِ ، سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : مَرَضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُوبَكْرٍ رِيحُودَانِي مَاشِيَيْنِ ، فَأُفِّعِي عَلَيَّ فَنُتَوَضَّأُ ثُمَّ صَبَّ عَلَيَّ مِنْ وُضُوئِهِ فَأَفَقْتُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي ؟ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ : " يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُنْتِزِكُمْ فِي الْكَلَالَةِ " (١)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الفرائض (٥٤ / ١١)

وانظر سورة النساء : آية ١٧٦

ب/ وقال الإمام البخاري رحمه الله : (حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ
ابْنُ فَيَافٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ (١)
عَنْ طَلْقَةَ (٢) ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرْثٍ وَهُوَ مَتَكِيٌّ عَلَى عَسِيبٍ (٣) إِذْ مَكَرَ
الْيَهُودُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُكُمْ
إِلَيْهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرُمُونَهُ ، فَقَالُوا : سَلُوهُ ،
فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُرِدْ عَلَيْهِمْ
شَيْئًا ، فَحَلَمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ ، فَخَمَمْتُ مَقَامِي ، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ :
" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا
قَلِيلًا " (٤)

(١) وهو النخعي .

(٢) وهو طلقة بن قيس .

(٣) العسيب هو جريدة النخل التي لا غوص فيها : [فتح الباري

[٤٠١/٨]

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ،

وانظر سورة الإسراء آية [٨٥]

تلت : فهاتان الروايتان فيهما سؤال وجواب ، وبينهما شبه
كمال اتصال ، مما يحقق الرابطة الأكيدة بين المسبب والسبب ،
ويثبت نوعاً من العلاقة المؤكدة بينهما .

وقد نزلت الآيتان طلبيةً لمطلوب يهّم الناس أن يعرفوه . ومن
دقة القرآن الكريم أن يكون الجواب مناسباً لحالة السائلين :

نلما اسْتَفْتَوْا فِي حُكْمٍ شَرَعِيٍّ جَاءَ الْجَوَابُ صَرِيحاً بِقَوْلِهِ تَعَالَى :
" قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ " بينما الآية الأخرى في حكم ضمني .
ومن أجل ذلك كان في الجواب ضربٌ من الإبهام ، فقال : " قُلِ الرُّوحُ
مِنْ أَمْرِ رَبِّي " .

وبهذا تتأكد في العلاقة بين الجواب والسؤال حتى في الأحوال :
من وضوح ، وخفاء ، وطلب ، ومطلوب ، والله تعالى أعلم بأسرار كتابه ،

٤- وقد يثبت السبب احتمالاً ، نحو قولهم : " نزلت هذه
الآية في كذا " .

فهنا احتمالات :

الأول : بيان السبب .

الثاني : بيان ما تضمنته الآية :

الثالث : رأي الرواي في تفسير الآية .

ولما كان المحتمل لا يتعين إلا بقريئة ، فقد قالوا : إن قول الراوى : " نزلت هذه الآية فى كذا " ليس نصاً وإنما هو محتمل لكنهم فرّجوا المسألة إلى فرعين ، تبعاً لحال الراوى : -

أ/ فان كان الراوى من الصحابة الذين شهدوا الوحي والتزيل ، فان قوله " نزلت هذه الآية فى كذا " يُعتبر حديثاً مُسنداً ، بمعنى أنه مرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ويحضرهم لا يدُخله فى المُسند ، بل يحمله من قبيل التفسير (١)

وفى ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله : (وقد تنازع العلماء فى قول الصّاحب : " نزلت هذه الآية فى كذا " هل يجرى مجرى المُسند - كما يُذكر السبب الذى أنزلت لأجله - أو يجرى مجرى التفسير منه ، الذى ليس بمُسند ؟ قال البخارى يُدخله فى المُسند ، وفيه لا يُدخله فى المُسند ، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره ، بخلاف ما إذا ذكر سبباً نزلت فقيهه ، فإنهم كلهم يُدخلون مثل هذا فى المُسند) (٢)

(١) الإتيان ٣٢/١

(٢) مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص [٤٨]

ب/ وإن كان الراوي تابعياً فإن قوله يُحْتَبَر مرفوعاً أيضاً ، ولكنه مُرْسَل ، وقد يُقبل إذا صح إسناده إليه، وكان محتضداً بمُرسل آخر، بشرط أن يكون من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة، كمجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير (١)

أَمْثَلُ لِلنُّوعَيْنِ :

وفيما يلي نسوق أَمْثَلُ لما رواه الصَّحَابِيُّ ، وما رواه التَّابِعِيُّ
الآخذ من الصحابة .

أَوَّلُ : ما رواه الصحابي :

ونكتفي منه بمثلين فيما يلي :

المثال الأول :

(عَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَدَّثَنَا سَفِيَّانُ قَالَ : قَالَ عَمْرُو : سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ : فِينَا نَزَلَتْ : " إِذْ كُفَّتْ دَائِثَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا " (١) قَالَ : نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة ، وما نُحِبُّ - وقال سفيان مرة : وما يُسُرُّني -

(١) الدائتان [٢٢/١]

(٢) آل عمران [١٢٢]

أَنَّهُ لَمْ تَنْزِلْ ، لقول الله : «وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا» (١)

المثال الآخر :

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ ، حَدَّثَنَا مَحَلِيُّ بْنُ مَنْصُورٍ ، عَنْ
حَقَّادِ بْنِ زَيْدٍ ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ (٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ : " وَتُخَفِّفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ " (٣)
نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ، وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ (٤)

فَفِي هَذِهِ الْمَثَالَيْنِ جَاءَ التَّصْبِيرُ مِنْ سَبَبِ الْخُزُولِ احْتِمَالًا ،
لِأَنَّ قَوْلَ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " فِيمَا نَزَلَتْ " يَحْتَمِلُ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ
بِسَبَبِ هَمِّهِمْ بِالرَّجُوعِ مِنَ الْخُزُولِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِمْ - أَيْ فِي
بَيَانِ مَا عَزَمُوا عَلَيْهِ مِنَ الْفُكُوصِ عَنِ الْجِهَادِ -

وكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِي قَوْلِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " نَزَلَتْ فِي شَأْنِ
زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ " - فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ نَزُولَ الْآيَةِ بِسَبَبِ زَوَاجِ زَيْنَبَ ، كَمَا
يَحْتَمِلُ نَزُولُهَا فِي بَيَانِ الْقِصَّةِ .

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب إِذَا هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ .

(٢) هو ثابت بن أسلم البنانى .

(٣) سورة الأحزاب (٣٧)

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب وَتُخَفِّفِي فِي نَفْسِكَ .

ثانيا : ما رواه التابصى :

ونكتفى منه بمثلين أيضا :

المثال الأول :

قال الإمام السيوطى رحمه الله : (أخرج ابن أبى حاتم عن
سعيد بن جبير قال : إِنَّ حَيَّيْنِ مِنَ الْعَرَبِ اقْتَلَوْا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ،
قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِقَلِيلٍ . وَكَانَ بَيْنَهُم قَتْلٌ وَجِرَاحَاتٌ ، حَتَّى قَتَلُوا
الْعَبِيدَ وَالنِّسَاءَ . فَلَمْ يَأْخُذْ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ حَتَّى أُسْلِمُوا . فَكَانَ
أَحَدُ الْحَيَّيْنِ يَتَدَاوَلُ عَلَى الْآخَرِ فِي الْحَدِّ وَالْأَمْوَالِ ، فَحَلَفُوا أَلَّا يَرْضَوْا
حَتَّى يُقْتَلَ بِالْعَبْدِ مِّنَ الْمَعْرُومِينَ ، وَالْمَرْأَةِ مِّنَ الرَّجُلِ مِنْهُمْ ، فَنَزَلَ
فِيهِمْ : " الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى " (١)

(١) لباب النقول ص (٢٢) وانظر سورة البقرة آية رقم ١٧٨

المثال الآخر :

قال الإمام ابن جرير الطبري : (حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ قَالَ : ثنا الحسين
قال : ثنا عجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قال : نزلت هذه
الآية : " إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا " (١)
في أبي رافع ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وحبيش
ابن أحمد (٢)

قلت : وكما جاء التعبير من سبب النزول احتمالا في رواية
الصحابي ، فذلك مبرر منه في رواية التابعي . لأن قول سعيد
ابن جبير : " فنزل فيهم " وقول عكرمة : " نزلت هذه الآية في أبي
رافع الخ ، يحتمل كلاهما أن الآيات نزلت بسبب من ذكروا
في الروایتين ، ويحتمل أنها نزلت في بيان أمرهم وأحوالهم .

(١) آل عمران (٧٧)

(٢) جامع البيان (٣ / ٣٢١)

تنبيه

إنَّ الاعتمال في القسم الثاني ناشئ من المقارنة بالإيمان فسي
كلام الله . أما الاحتمال في صيغة الصحابيِّ أو التَّابعيِّ فناشئ من
الصيغة نفسها . ولو تأملنا في مثالي التَّابِعِيَّين لوجدنا التفسير
في مثال بالفاء ، وفي الآخر بدونها ، ممَّا يدلُّ على التفاوت في
الاعتِمالات . وهذه المسائل تُدرك بالتأمل والنظر والرؤية .

هـ - . وأخيراً قد يشكُّ الرواي في سبب النزول فيجزم عنسه
بقوله : أحسب هذه الآية نزلت في كذا . . .

جاء في كتاب الإِتقان للإمام السيوطي ما نصه :-
(مصروفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا
وربما لم يجزم بعضهم فقال : أحسب هذه الآية نزلت في كذا . . .) (:)

ومثال ذلك ما رواه الإمام البخاري رحمه الله ، قال : - (حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرنا مَعْمَر ، عن الزُّهري ، عن عُرْوَةَ قال : غاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شَرِيح من الحِرة (١) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ » . فقال الأنصاري : يا رسول الله ، أن كان ابنُ مَمْتَك ؟ نَسْتَلُونُ وَجِبُهُ ثُمَّ قَالَ : « اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ اخْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ (٢) ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ » . وَاسْتَوْفَى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ، في صريح الحكم حين أخفظه الأنصاري ، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة . قال الزبير : فَمَا أَحْسَبُ هَذِهِ آيَاتِ إِلَّا نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ " فَلَا وَرَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَبْغُوكَ رَبِّمَا شَجَرَ بَيْنَهُمَا " (٣)

(١) الشَّرِيحُ وَالشُّرَاجُ : مَسِيلُ الْمَاءِ . وَالْحِرةُ حِجَارَةٌ مُحْتَرَقَةٌ وَهِيَ

مَوْضِعٌ مَحْرُوفٌ بِالْمَدِينَةِ الْمَنُورَةِ .

(٢) الْجَدْرُ هُوَ الْحَاجِزُ الَّذِي يَحْبِسُ الْمَاءَ (فتح الباري ٥ / ٣٦)

(٣) صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب " فَلَا وَرَّكَ " . وانظر

سورة النساء آية [٦٥]

قلت : أورد الحافظ ابن حجر روايات تُفيد بأن الزبير جزم
بنزول هذه الآية، ولكنه أضاف قاطلا : (والراجح رواية الأكثر ، وأن
الزبير لم يجزم بذلك) (١)

وقال أيضا ما نصه : (وجزم مجاهد والشَّعْبِيُّ بأن الآية إنما
نزلت فيمن نزلت فيه الآية قبلها، وسمى قوله تعالى : " أَلَمْ تَرَ إِلَى
الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ
أَنْ يَتَنَاجَوْا إِلَى الطَّاغُوتِ (٢) . . . الآية - فروى إسحاق بن راهويه (٣)
في تفسيره بإسناد صحيح عن الشَّعْبِيِّ قال : كان بين رجل من
اليهود ورجل من المنافقين خصومة ، فدعا اليهودي المنافق إلى
النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة . ودعا المنافق
اليهودي إلى حكامهم، لأنه علم أنهم يأخذونها ، فأُنزل الله هذه
الآيات إلى قوله " وَيَسْلُمُوا تَسْلِيمًا " (٤)

(١) فتح الباري ٣٧/٥ (٢) سورة النساء ٦٠
(٣) هو الثابت بن الجليل عامري شراجل به عبد الله بن الجهمي . ذ ١٠٧ هـ [تهذيب التهذيب ٣٧/٥]
(٤) فتح الباري ٣٧/٥
(٥) أهل اللغة يضبطونه هكذا (راهويه) بفتح الراء والواو وإمكان الباء، يعني
هؤلاء مأكسورة . على وزن (سيبويه) . وأما المحدثون فيضبطونه
كأنهم [بضم الراء وإسكان الراء وفتح الباء]

ثم استدرد الحافظ قائلا : (ورجح الطبري في تفسيره ، وعزاه
إلى أصل التأويل في «تفسيره» ، أن سبب نزولها هذه القصة
ليتسق نظام الآيات كلها في سبب واحد) (١)

ولعل الحافظ بن حجر يعني بهذا قول الطبري في تفسيره :
(قال أبو جعفر : وهذا القول - أعني قول من قال : عني به
المعتكمان إلى الطافات اللذان وصف الله شأنهما في قوله : " أَلَمْ
تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ
قَبْلِكَ " - أولى بالصواب ، لأن قوله " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى
يُكَلِّمُوهُمْ نِيْمًا شَجَرَ بَيْنَهُمْ " في سياق قصة الذين أسدى الله الخبر
عنهم بقوله : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ " . ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم . فإلحاق
بمعنى ذلك ببعض ما لم تأت دلالة على انقطاعه أولى) (٢)

(١) فتح الباري ٣٨/٥

(٢) جامع البيان ١٥٩/٥

إلى أن قال :

(فإنه غير مستحيل أن تكون الآية نزلت في قصة المُحْتَكِمِينَ
إلى الدَّافُوت، ويكون فيها بيان ما احتكم فيه الزبير وصاحبـــــــــــــــــه
الأنصارى ...) (١)

وهكذا يتضح مما تقدم في قول السيوطي وابن حجر والطبري ،
أن الزبير لم يكن يجزم بسبب النزول ، وأن الآية ربما تكون نزلت
في فيسر قصته مع الأنصارى ، ولهذا جاء التفسير من سبب النزول
بقوله : " فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك من فيسر
جزم منه بسبب النزول . والله أعلم .

المبحث الثاني

الموازنة بين هذه الصيغ

بعد التعرف على صيغ التعبير عن سبب النزول ، لابدَّ من الموازنة بينها ، لمعرفة ما عوَّض في السببية ، وما هو ليس بنس فيهما . ولحلُّه من المفيد أن نسترشد ، في منهج الموازنة [١] بالأمور الآتية :-

١ / عند التعارض يُقدِّم النصُّ على الإيما ، والإيما على المحتمل والمحمَّل على المشكوك .

ب / وعند الترجيح ، إن تعارضت صيغتا روايتين ، يرجَّح ما يؤيد بصيغة أقوى .

ج / وعند موافقة الصيغ وتعدد الأقوال ، فالأولى الجمع إن أمكن ، وإلا فالثبوت ، أو التخيُّر ، أو الإسقاط

وفي البداية ، لابدَّ من تجاوز الصيغة الأولى ، وهي قولُ الراوي : " سببُ نزولِ هذه الآية كذا " لما تقدم من عدم ورودها بهذا الصيغة . وهي - على نثر ثبوتها - تُعتبر نصًّا في السببية ، وتكون مقدَّمة على غيرها ، لأنَّ النصَّ مقدَّم على ما سواه . غير أنَّ هذا الافتراض لا يقوم أصلاً ، لِخُلُوءِ الروايات من هذه الصيغة .

[١] المراد الموازنة بصيغة عامّة .

وَلَمَّا كَانَ الْإِيمَاءُ مُتَدَمِّمًا عَلَى مَا سِوَاهُمَا فِي الصِّفَةِ الدَّالَّةِ عَلَى ثُبُوتِ النَّبِيِّ بِالْإِيمَاءِ ، وَشَى مَا اقْتَرَنْتَ بِالْفَاءِ ، تُعْتَبَرُ أَقْوَى صِيغَةً فِي السَّبَبِيَّةِ ، وَتَكُونُ مُقَدِّمَةً عَلَى مَا سِوَاهَا .

وَيُلْحَقُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مَا كَانَ جَوَابًا عَلَى سُؤَالٍ مُوجَّهٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكُونَهُ يَدُلُّ عَلَى اِزْتِمَادِهِ وَثِيقٍ بَيْنِ الْمُسَبَّبِ وَالسَّبَبِ كَمَا تَقْدُمُ فِي الْقِسْمِ الثَّالِثِ ، وَلَا اقْتِرَانَهُ أَحْيَانًا بِالْفَاءِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ ، مِنْ مِثْلِ قَوْلِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :-

أ / (إِنْ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا عَاصَتْ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهُمَا وَلَمْ يَجَامِعُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ . فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَيْحَنَةِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَيْحَنَةِ " . . . إِلَى آخِرِ الْآيَةِ (١) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ فَقَالُوا : مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدْعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ . فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، وَهَبَادُ بْنُ بَشْرٍ فَقَالَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ الْيَهُودَ تَقُولُ

كَذَا وَكَذَا غَلَا نُجَا: مِنْهُمْ . فتفسير وجه الرسول صَلَّى الله عليه وسلم
حتى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا ، فخرجنا فاستقبلَهُمَا هَدِيَّةً مِنْ لَبَنٍ
إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلم ، فأرسل نِي آثَارَهُمَا فسنقشهما ، فَخَرَفَا
أَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا (١)

ب ب / (غلب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم غلبةً ما سمحت مثلها
قَدْ . قَالَهُ تَعْلَمُونَ مَا أَكَلْتُمْ لَفَحِكُمْ قَلِيلًا وَلَبَكْتُمْ كَثِيرًا . قال : ففَطَمَ
أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجُودَهُمْ لَهُمْ خَنِينَ . فقال
رَجُلٌ : مَنْ أَبِي ؟ قال : أبوك فلان ، فنزلت هذه الآية (٢)
" لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْؤُكُمْ " (٣)

فتوله نِي الرَّوَايةُ أَنَّ وَلِيَّ " فَأَنْزَلَ اللَّهُ " وَلِيَّ الثَّانِيَةِ " فنزلت يجعل
هذه الصيغة مُرتبطةً بِسَابِقَتِهَا فِي قُوَّةِ الدَّلَالَةِ عَلَى السَّبَبِيَّةِ .

[*] حَذِيثُهُ بِالْحَاءِ الْمَصْلُوعَةِ ، وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى " خَنِينَ " بِالْخَاءِ الْمِيمَةِ .
وَالْأَوَّلُ الصَّوْتُ الَّذِي يَرْتَفِعُ بِالْبَاءِ مِنَ الصَّوْتِ ، وَالثَّانِي مِنَ الْأَنْفِ [فتح الباري] ٢٨١/٨

(١) صحيح مسلم بشرح النووي [٢/٣١١]

(٢) سورة المائدة " ١٠١ "

(٣) انظر فتح الباري [٨/٢٨٠]

ثُمَّ نَتَدْرَجُ بِهَذَا إِلَى النَّصِّ الْمُحْتَمَلِ ، لِقَائِهِ مَقْدَمَ عَلَى
الْمَشْكُوكِ . وَهُوَ يَأْتِي فِي الْمَرْتَبَةِ التَّالِيَةِ لِصِيغَةِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ .

وَأَعْيُرَا نَأْتِي إِلَى الصِّيْغَةِ الَّتِي لَمْ يَجْزَمْ فِيهَا الرَّاوي بِسَبَبِ
الذُّوْلِ . وَهِيَ تَأْتِي فِي الْمَرْتَبَةِ الْأَخْرَجَةِ لَمَّا تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ شَكْلِ
الرَّاوي وَتَرُدُّهُ فِي الْجَزْمِ بِسَبَبِ نَزْوْلِ الْآيَةِ . . .

وَبِهَذَا تَتَضَعُ دِقَّةُ عُلَمَاءِ الْقُرْآنِ وَعُلَمَاءِ الْأُصُولِ ، لِيَكُونَ التَّرْجِيحُ
أَوْ الْجَمْعُ عَلَى أُسُسٍ مَكِينَةٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ .

الفصل الثالث

فی تعدد الأسباب والمُتَرَل واحد

وفی وحدة السبب لأکثره آیه

وفیه مجتات

المبحث الأول :

تعدد الأسباب والمُتَرَل واحد .

المبحث الثاني :

وحدة السبب لأکثره آیه .

الفصل الثالث

في تعدد الأسباب والنزول واحد
وفي وجه السبب لأكثر من آية

ومن يشتمل على مبحثين :-

المبحث الأول :
تعدد الأسباب والنزول واحد

من الصور الواردة في أسباب النزول أن يكون هناك نازل واحد
من القرآن الكريم ، ولكنه ينزل لأسباب متعددة .

وقد نظر العلماء في هذا الأمر ، واصطلحوا على تسمية بتعدد
الأسباب والنزول واحد . ومثلوا له بأن ترد روايتان في نازل واحد
من القرآن الكريم وتذكر كلتا سبباً صريحاً للنزول ، مخالفاً لما ورد
في الرواية الأخرى .

وللتصرف على السبب الصحيح المعتقد من هاتين الروايتين
انتقوا على اعتراض صور أربع لما يمكن أن تكون عليه كلتا الروايتين ،
ووضعوا لكل صورة حكماً خاصاً بها ، وبذلك استطاعوا الوصول إلى

مخرجة الرواية المعتمدة في سبب النزول (١)

ثم إن العلماء اعتمدوا نبي الترجيح على أمرين رئيسيين :
أحدهما يتعلق بالمتن ، والاخر بالسند .

قال نبي " فواتح الرحموت " : (ثم الترجيح الواقع بين السند
إما نبي المتن أو نبي السند) (١)

ونكتني بذكر خمسة من مرجحات المتن ، ثم نقبضها بمثلها من
مرجحات السند . ونبي ذلك مايفي بالفرض .

نمن مرجحات المتن : (٢)

=====

أ / الرواية باللفظ : فإنها تترجح على الرواية بالمعنى ، لاحتمال
الالتباس في نقل المعنى .

(١) فواتح الرحموت ، بهامش المستصفى للبخاري [٢٠٤ / ٢]

(٢) فواتح الرحموت [٢٠٦ / ٢]

ب/ ما جَوِيَ بِمَنْصُورَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَرَجَّحُ عَلَى مَا بَلَّغَهُ
فُسَّخَتْ ، لِأَنَّ الْأَوَّلَ أَشَدُّ دَلَالَةً عَلَى الرُّضَا مِنَ الثَّانِي .

ج / صِيغَةُ الشَّرْكِ تَتَرَجَّحُ عَلَى الْفِكْرَةِ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ ، لِإِفَادَتِهَا
التَّشْكِيلَ . وَالنَّكْمُ الْمَعْلَلُ أَقْوَى مِنْ فَيْرِ الْمَعْلَلِ .

د / . النَّهْيُ يَتَرَجَّحُ عَلَى الْأَمْرِ ، لِأَنَّ دَفْعَ الْمَفْسَدَةِ الْمُسْتَفَادَ
مِنَ النَّهْيِ أَنْتُمْ مِنْ جَلْبِ الْمَنْفَعَةِ .

هـ / ما ذُكِرَ مَعَهُ السَّبَبُ يَتَرَجَّحُ عَلَى نَقِيضِهِ لِأَنَّ ذِكْرَ السَّبَبِ
قَرِينَةُ الْأَنْعِمَةِ .

ومن مَرَجِّحاتِ السَّنَدِ :- (١)

أ / نَقَةُ الرَّاوي وَقُوَّةُ ضَبْطِهِ وَوَرَعُهُ .

ب / مَبَاشَرَةُ الرَّاوي لِلْخَبَرِ وَالْقَصَّةِ .

ج / ما تَعَمَّلَهُ الرَّاوي بِالْإِذَا مُسْلِمًا أَرْجَحَ مِمَّا تَعَمَّلَهُ صَبِيًّا أَوْ كَافِرًا .

د / الْإِتِّفَاقُ عَلَى رَنَحٍ أَوْ لَبْسٍ ، يُفَرِّجُ مَقْطُوعَ الرَّفْعِ عَلَى مَا اِخْتَلَفَ
فِي رَنَحِهِ .

هـ / نِسْبَةُ الْخَبَرِ إِلَى كِتَابٍ مَعْرُوفٍ بِالصَّحَّةِ ، كَالصَّحِيحَيْنِ .

وفيما يلي نُعرض الصور الأربع وأحكامها :

أ / الصورة الأولى

أما الصورة الأولى فهي أن تكون إحدى الروایتين صحيحةً
والأخرى غير صحيحة .

والحكم في هذه الحالة أن الرواية الصحيحة هي المعتمدة في

سبب النزول (١)

ومن أمثلة ذلك ما يلي :

أ / أخرج الشيخان واللفظ للبخاري ، قال : (حدثنا

أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا الأسود بن قيس قال :

سمعت جندب بن سُنيان رضي الله عنه قال : اشتكى رسول الله .

صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً ، فجاءت امرأة فقالت

(١) انظر الإتيان ٣٣/١

يا محمد ، إني لا رجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أَرُه قَرِيْبَكَ
منذُ ليلتين أو ثلاثاً ، فأنزل الله عز وجل : " وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ
إِذَا سَجَىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ " (١)

ب / أخرج الطبراني وابن أبي شَيْبَةَ عن حفص بن ميسرة ،
عن أمِّه ، عن أمِّها - وكانت خادمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم -
أنَّ جَرَّوًا دخل بيتَ النبي صلى الله عليه وسلم عند غَلِّ تحت السرير ،
فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أيام لا ينزل عليه
الوحي ، فقال : " يَا غَوْلَةُ ، مَا حَدَّثَتْ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ جَبَّرِلُ لَا يَأْتِينِي " . فقلتُ في نفسي : لو كَيَّأت البيتَ
وكنَّسْتِه ، نَأْشَوَيْتُ بِالْمَكْنَسَةِ تحت السرير فأخرجتُ الجَرَّو ، فجاء النبي
صلى الله عليه وسلم ترعدُ لحيته ، وكان إذا نَزَلَ عليه أخذتهُ
الرَّعْدَةُ ، فأنزل الله : " وَالضُّحَىٰ " ، إلى قوله : " فَتَرَضَى " (٢)

(١) صحيح البخاري ٢١٣/٦ كتاب التفسير ، باب [مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ
وَمَا تَلَى] -

(٢) الإتيان ٣٣/١

شبهاتان الروایتان أولاهما صحيحة ، لأنها من رواية الإمام
البحراني في صحيحه . والثانية غير صحيحة لأنها ورد فيها من كلام
العلماء .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (ووجدت الآن في البحراني
بإسناد فيه من لا يحرف أن سبب نزولها وجود جبريل تحت
سريره صلى الله عليه وسلم لم يشعروا به ، فأيداً عنه جبريل لذلك .
(وقصة إيلاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة)
لكن كونها سبب نزول هذه الآية قريب ، بل شاذ مودع بها في
الصحيح ، والله أعلم) (١)

قلت : فيها عوارض الإمام الحافظ يصف سند هذه الرواية بأن فيه
مجهولاً ، ويردّها لذرايتها وشدوها ومخالفتها لما في الصحيح .

وعليه فإن الرواية المقتدة في سبب نزول هذه الآيات هي
رواية الإمام البخاري ، والله أعلم .

٢ - الصورة الثانية :

=====

وأما الصورة الثانية فهي أن تكون الروایتان كلتاهما صحيحة ،
ولكن يوجد ما يُزجج إحداهما على الأخرى .

والمُحكَّم في هذه الحالة هو اعتماد الرواية الرَّاجحة في بيان السبب ،
والأخذ بها ، دون العرجوسة (١)

ومثال لهذه الصورة :-

أ / مرواه الإمام البخاري في صحيحه : قال :- (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
ابْنُ سُلَيْمٍ بَنُ فَيَّاض ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ : حَدَّثَنِي
إِبْرَاهِيمُ [٢] ، عَنْ حَلَقَةَ [٣] ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا أَنَسًا
مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِيَسْرُهُ ، وَنُومَتُنِي * عَلَى حَسْبِ سَبَبٍ -
إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَلُّوهُ مِنَ الرَّوْحِ . فَقَالَ : مَا رَأَيْكُمْ
إِلَيْهِ ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَنْ يَسْتَقْبِلَكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ . فَقَالُوا : سَلُّوهُ

(١) انظر مناقب الشرفان ١١٠٦

[٢] هو التَّخَعُّي . [٣] هو ابنه فَيْس . [٤] هو ابنه مَسْعُود .

نَسْأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ، فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُرِدْ عَلَيْهِمْ
شَيْئًا . لَمَتُ أَنْهُ يُوسَى إِلَيْهِ فَقَعْتُ مَقَامِي . فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ :
" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ
إِلَّا قَلِيلًا " (١)

ب/ ما أخرجه الإمام الترمذی : قال : (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، نَسَا
بِشَيْءٍ بَنِي زَكْرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَتِ قُرَيْشٌ لِيَهُودَ : أَمَلُونَا شَيْئًا تَسْأَلُ عَنْهُ
هَذَا الرَّجُلُ ، فَقَالَ : سَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ، فَنَسْأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ، فَأَنْزَلَ
اللَّهُ تَعَالَى : " وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا " (٢) قَالُوا :
أُوتِيتَنَا طَعْمًا كَبِيرًا ، أُوتِيتَنَا التَّوْرَةَ ، وَمَنْ أُوتِيَ التَّوْرَةَ فَقَدْ أُوتِيَ
شَيْئًا كَثِيرًا ، فَأُنْزِلَتْ : " قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكُنَّيَاتٍ رَبُّنَا
كَفَتْكَ الْبَحْرُ " (٣) إِلَى آخِرِ آيَةٍ . هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (٤)

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير - باب يسألونك عن الروح (

(٢) الإسراء ٥٨

(٣) التوبة ١٠٩

(٤) سنن الترمذی ١٣٧/٤ كتاب التفسير ، سورة بنی اسرائیل .

فبإتقان الروايتان صحيحتان بلا ريب .

أما أولاهما فلكونها من صحيح الإمام البخاري .

وأما الأخرى فلكونها رواها الإمام الترمذي وصححها ، كما

صححها الحافظ ابن حجر، وهذا رجالها للإمام مسلم .

ابن حجر

قال المصنف/ رحمه الله : (. . . لَكِنْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ طَرِيقٍ

دَاوُدَ بْنِ أَبِي دِينَارٍ عَنْ عِكْرَمَةَ بْنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلْيَهُودِ

أَدْنُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ هَذَا الرَّبَّ ، فَقَالُوا : سَلُوهُ مِنَ الرُّوحِ ، فَسَأَلُوهُ ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : " وَيَسْأَلُونَكَ مِنَ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي "

وربَّاهُ رَجَسًا مُسْلِمًا (١)

قلت : فرواية البخاري تدل على أن نزول الآية كان بالمدينة ،

ورواية الترمذي تدل على أن نزولها كان بمكة .

ومع أن الروايتين كلتاهما صحيحة إلا أنه ينبغي الأخذ برواية

البخاري في سبب النزول ، لكونها را جملة على رواية الترمذي من

وجهين :-

الأول : أنها رواية الإمام البخاري ، والمحروف أن رواية البخاري أصح من رواية غيره .

الوجه الآخر : أن الرواية في رواية البخاري شعبة الله بن مسعود ، وقد كان حاضراً القصة ومشاهداً لها . وأما ابن عباس في رواية الترمذي فلا دليل على مشاهدته القصة ، ولم يصرح بأنه كان حاضراً لها .

وبكذا يتضح من هذين المرجحين أن رواية البخاري هي المعتمدة في سبب النزول لأنها هي الراجحة .

على أننا لا نرجع إلى الترجيح إلا بعد تفقد الجمع ، فحيث أمكن الجمع نأخذ به . في الراجع - لأن فيه إعمالاً لكل من الروایتين . وسبب لا يمكن أن نجمع لجأنا إلى الترجيح .

ولا يمكن الجمع في هذا المقام إلا إذا قلنا إن الآية نزلت مرتين مرة في مكة وأخرى في المدينة ، ونهر ما فيه ، وكذلك إذا قلنا إن السؤال بأمرته قريش بتخريب من اليهود .

وأما ما كان ألا عرفنا تفسير على وفق قواعد كلية . أما الوقائع الجزئية فلكل واقعة ظروف تحيط بها . وأما أقرب ما ذكرته من ترجيح رواية البخاري على رواية الترمذي ، والله أعلم بعقائد الأمور .

٣- الصورة الثالثة :

=====

وأما الصورة الثالثة فهي استواء الروايتين ، بأن تكون كلتا هما صحيحة ، ولا مرجح لإحداهما على الأخرى ، (ولكن يمكن الجمع بينهما بأن كلا من السببين حصل ، ونزلت الآية عقب حصولهما معاً ، لتقارب زمنييهما . نعمتكم هذه الصورة أن نحمل الأمر على تحدد السبب ، لأنه ظاهر ، ولا مانع يمنعه (١)

ومثال ذلك :

أ / ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه : قال : (حدثني محمد بن بشار ، حدثنا ابن أبي حنيفة ، عن هشام بن حسان ، حدثنا يكرمة ، عن ابن عباس أن حلال ابن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحابة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «الْبَيْتَةُ أَوْ حَدَّثَنِي ظَهْرُكَ» . فقال : يا رسول الله إذا رأيت أمة على امرأتها رجلاً يفتلح يلمس البينة ؟ فحصل الذي صلى الله عليه وسلم يقول : البينة والآن حدثني في ظهرك .
فقال حلال : ما يفتلح ظهري من الحديث ، فنزل جبريل ، وأنزل عليه " وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ " فقرأ حتى بلغ " إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢)

(١) شاهد الزمان ١ / ١١١

(٢) سورة النور (٦ - ٩)

فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليها ، فجاءه علال فشهد
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ ،
سَهْلٌ مِنْكُمَا ذَائِبٌ ؟ ثم قامت فشهدت ، فلما كانت عند الخامسة
وقفوها وقالوا : إنها موجهة . قال ابن عباس : فتلكأت ونكصت حتى
دأبنا أنها ترجع ، ثم قالت : لا أفصح قومي سائر اليوم ، فمضت .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «أَبْصِرْ وَمَا ، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْهَلُ
الْحَيْنَيْنِ ، سَابِغَ الْأَلْيَتَيْنِ ، حَدَّثَكَ السَّاقِينَ (١) فهو لشريك بن
سحمة» . فجاءت به كذلك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
«لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ (٣) لَكَانَ لِي وَلِهَا شَأْنٌ (٣)

ب/ وما أخرجه الإمام البخاري أيضا في صحيحه :
قال (سَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ الْفَرِيبِيُّ ،
سَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ
صُوبِجْرًا أَتَى عَائِشَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ - وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي فَجْلَانَ - فَقَالَ : كَيْفَ

-
- (١) حَدَّثَكَ السَّاقِينَ أي عظيمهما (عدة القاري ٧٨/١٩)
(٢) المراد قوله تعالى في سورة النور [وَيَذَرُوهَا الْعَذَابَ] :
الآية (٨)
(٣) صحيح البخاري ١٢٦/٦ ، كتاب التفسير . باب [وَيَذَرُوهَا
الْعَذَابَ] .

عن ذلك، فأتى عامر النبي صلى الله عليه وسلم

تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً ؟ أَيْقَتْلُهُ نَتَقَتْلُونَهُ ؟ أم كيف يصنع ؟ سَلَّ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسَائِلَ ، فَسَأَلَهُ حُوَيْمِرُ

نَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرِهَ الْمَسَائِلَ وَجَابَهَا

قَالَ حُوَيْمِرُ : وَاللَّهِ لَا أَنْتَهِيَ حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ . نَجَاهُ حُوَيْمِرُ فَقَالَ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، رَجُلٌ وَجَدَ

مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا ، أَيْقَتْلُهُ نَتَقَتْلُونَهُ ؟ أم كيف يصنع ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَدُ أَنْزَلَ الْقُرْآنُ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ . فَأَمَرَهُمَا

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَلَاعِنَةِ بِمَا سَمَى اللَّهُ فِي كِتَابِهِ .

ذَلَا مِنْهَا ، ثُمَّ قَالَ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ حَبِيسَتُهَا فَقَدْ ظَلَمْتُهَا .

فَذَلَمْتُهَا . فَكَانَتْ سُنَّةٌ لِمَنْ كَانَ بَعْدَهُمَا . فِي الْمُتَلَامِينِ . ثُمَّ قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « انظُرُوا ، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أُسْحَمُ (١)

أَذْهَبَ الصَّيْنَيْنِ (٢) عَظِيمَ الْأَلْيَتَيْنِ ، عَدَدَ السَّاقَيْنِ ، فَلَا أُحْسِبُ

(١) أَيُّ شَدِيدِ السَّوَادِ . " عمدة القاري ٧٤/١٩ "

(٢) أَيُّ شَدِيدِ سَوَادِ الصَّيْنَيْنِ . . " المصدر نفسه "

ثُمَّ يَمُرُّ إِلَّا تَدَّ صَدَقَ طَبِيعًا . وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَحْيَمَرُ كَانَتْ وَحَرَةً (١)
ثُمَّ لَا أُحْسِبُ ثَوْبَهُ إِلَّا قَدْ كَذَبَ عَلَيْهَا . نَجَّاهُ بِهِ عَلَى الْخَصَةِ الَّذِي
نَسَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَصَدِيقِ ثَوْبِهِ . فَكَانَ بِحَسْبِ
يَنْسَبُ إِلَى أُمِّهِ (٢)

قلتُ : نيهاتان الروايتان صحيحتان ، لأنَّ كليهما أُخرجهما
البيهقي في صحيحه ، ولا مَرَجَّحَ لِأَحَدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى . وَلَكِنْ
يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا نَثَرًا لِتَقَارُصِهِمَا فِي الزَّمَنِ فَتَكُونُ الْآيَاتُ نَزَلَتْ
عَقِبَ السُّؤَالَيْنِ .

وبيان ذلك أن يكون هلالٌ سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولاً
ثم بهاءً بعده ثَوْبَهُمْ فَسَأَلَ ، نَزَلَ اللَّهُ الْآيَاتِ إجابةً عَلَى السُّؤَالَيْنِ معاً .

(١) الْوَحَرَةُ دُوْبِيَّةٌ تَتَرَامَى عَلَى الطَّعَامِ فَتَفْسِدُهُ ، وَهِيَ مِنْ نَوْعِ الْوُزْغِ =

= (فتح الباري ٩/٤٥٣)

(٢) صحيح البيهقي ١٢٥/٦ كتاب التفسير - باب [وَالَّذِينَ

يَزْنُونَ أَرْوَاهُمْ]

قال الحافظ ابن حجر : (وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع ،
 فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر ، ومنهم من رجح أنها
 نزلت في شأن هلال ، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له
 ذلك هلال ، وصادقه مجيء عويمر أيضا ، فنزلت في شأنهما معا
 في وقت واحد . وقد جئنا التوروي إلى هذا ، وسبقه الخطيب (١)
 فقال : لهما اتفق كونهما جاءا في آن واحد . . . (٢)

ونكفنا بتوضيح أن الحكم في هذه الصورة هو الجمع بين الروايتين ،
 بأن يكون النازل جوابا للسؤالين معا .

(١) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي
 المعروف بالخطيب ، أحد الحفاظ المورخين المتقدمين ، له
 أكثر من ستين مصنفا ، توفي سنة ثلاث وستين وأربع مائة
 من الهجرة : (انظر : معجم الأدباء ٢٤٦/١ - وفيات
 الأعيان ٣٢/١)

(٢) فتح الباري ٤٥٠/٨

الصورة الرابعة :

وأما الصورة الرابعة فهي أن تستوي الروايتان في الضعة ،
ولا يوجد مرجح لإحداهما على الأخرى ، ولا يمكن الأخذ بهما معاً
لبعد الزمان بينهما .

ففي هذه الحالة لا بد من حمل الأمر على تكرار النزول ، فتكون
الآية نزلت مرة بسبب معين ، ونزلت مرة أخرى بسبب آخر .

ومثال ذلك فيما يلي :-

أ / أخر البيهقي والجزار (عن أبي ريرة أن النبي صلى الله :
عليه وسلم وقف على حمزة حين استشهد وقد مثل به ، قال : " لا مثلن
بمصحين منهم مكاناً " فنزل جبريل - والنبي صلى الله عليه وسلم واقف -
بآيات سورة النمل : **وَإِنْ كَانْتُمْ لَا تُحِبُّونَ أَنْ يَتَحَدَّثَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** (١)
إلى آخر السورة (٢)

(١) الآيات [١٢٦ - ١٢٨] من سورة النمل .

(٢) الاتقان ٣٤ / ١ .

ب/ وما أخرجه الترمذی والحاكم ، واللفظ للترمذی قال :

(حدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ الْحُسَيْنِيُّ بْنُ حُرَيْثٍ ، نا الفضل بن موسى ،
عن عيسى بن عبيد ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية قال :
نفي أبي بن كعب قال : لما كان يومُ أحدٍ أُصيب من الأنصار أربعة^١
وستون رجلاً ومن المهاجرين ستة^٢ ، منهم حمزة عَمَلُوا بِهِمْ ، فَقَالَتْ
الأنصار : لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لَنَرَيْنَهُمْ عَلَيْهِمْ . قال :-
فلما كان يومُ فتحِ مكة نازل الله تعالى : " وَإِنْ مَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ
مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ غَمْرًا لَّصَابِرِينَ " فقال رجل : لا قَرِينَهُ
بَعْدَ الْيَوْمِ . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كَفُوا عَنِ الْقَوْمِ
إِنَّ أَرْضَهُ (٢)

قلت : من المستبعد أن تكون الآية نزلت عقب السبطين معاً ،
ليحد الزمان بين فزوة أحد وفتح مكة (٢) وعليه فلا بد من القول
بتعدد نزول الآيات ، مرة في فزوة أحد ، ومرة أخرى في فتح مكة .
والله تعالى أعلم .

(١) سنن الترمذی بشرح تحفة الأخوذی ١٣٣/٤ كتاب التفسير ،
سورة النحل .

(٢) كانت فزوة أحد في الحام الثالث الهجري ، وفتح مكة في

الحام الثامن . [انظر : مدائخ الأنوار ومطالع الأسرار لابن
الديبع الشيباني ج ٤ / ص ٥١٧ و ٦٥٩ ، بتحقيقه عبد
البراهيم الأتقاري] .

المبحث الثاني

وَعِدَّةُ السَّبَبِ لِأَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ

د تتقدم في المبحث السابق من هذا الفصل أن النازل الواحد
من القرآن الكريم قد ينزل لأسباب متعددة .

وعلى الحكم من هذه الحالة نجد في القرآن الكريم جملة من
الآيات تنزلت بسبب واحد . وهذا ما اصطاح العلماء على تسميته
بتمدد النازل والسبب واحد . وهو نفسه ما حفيناه بقولنا : وحدة
السبب لأكثر من آية .

وتناوت الآيات النازلة في السبب الواحد من آيتين إلى أكثر .
وهذا أمر إشكال فيه ، ولا مانع منه ، (لأنه لا ينافي الحكمة في
إقناع الناس ، وعداية الخلق ، وبيان الحق عند الحاجة ، بل إنه
قد يكون أبلغ في الإقناع وأظهر للبيان) (١)

(١) مناهل العرفان ١١٤/١

وَلَا قَرُونَ أَنْ نَزَلَ آيَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ فِي حَادِثَةٍ وَاحِدَةٍ يَكُونُ لَهُ أَثَرٌ
كَبِيرٌ فِي تَقَبُّلِ السَّامِعِينَ لِلْحُكْمِ النَّازِلِ عَلَيْهِمْ ، كَمَا أَنَّهُ يَزِيدُهُمْ اطمئناناً
وَاقْتِنَاءً نِيْذِرُهُمْ لِمَا رَأَوْا عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ .

وفيما يلي نورد أمثلة للسبب الواحد تَنْزِلُ فيه آيتان أو أكثر :-

أ - أمثلة للسبب الواحد تَنْزِلُ فيه آيتان :
=====

١- من ذلك ما أخرجه الإمام البخاري : قال :

(حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ

عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ، عَنْ ابْنِ شَيْبَانَ قَالَ : حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ

سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ أَنَّهُ رَأَى مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ فِي الْمَسْجِدِ ، فَأَقْبَلَتْهُ

بَنَسَتْ إِلَى بَنِيهِ ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّنَى عَلَيْهِ " لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " (١) فَجَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَشَوَّيْلُهَا (٢)

(١) سُورَةُ النِّسَاءِ [٩٥]
(٢) بِعَلِّهَا : أَيِ بِعَلِّهَا عَلَيْهِ .

طَلَّى قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْتُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ - وَكَانَ أَهْوَ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِيهِهُ طَلَّى
نَزِيرٌ ، كَقَوْلِكَ طَلَّى ، عِنْتُ أَنْ تُرْسَ فَنَزِيرٌ ، ثُمَّ سُرٌّ مِنْهُ (١)
فَأَنْزَلَ اللَّهُ : " فَذَرِ الْأُولَى الضَّرَرَ (٢) (٣)

٢ - وَمِنْهُ مَا أُتِيَ بِهِ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِسَنَدِهِ إِلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ،
أَيْضًا قَالَ : كُنْتُ أَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأُتِيَ
لِوَضْعِ التَّمْ عَلَى أُنْزِي إِذْ أُمِرْنَا بِالْقِتَالِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ مَا يُنْزَلُ عَلَيْهِ ، إِذْ جَاءَ أَهْوَ فَتَالَ : كَيْفَ لِي يَا رَسُولَ
اللَّهِ وَأَنَا أَهْوَ ؟ فَأَنْزَلَتْ : " كَيْسَ عَلَى النَّسَاءِ " (٤) (٥)

(١) سُرٌّ مِنْهُ : أَوْ انْكَشَفَ مِنْهُ (صَدَّةُ الْقَارِ ١٨ / ١٨٦)

(٢) قَالَ النِّسِيُّ فِي " صَدَّةِ الْقَارِ " ١٨ / ١٨٦ [اسْتَطَعْتُ الْقَرَاءَةَ فِي

إِحْرَابٍ " فَيْرٌ نَقِيًّا ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَفْرٍو وَعَاصِمٌ بِالْوَضْعِ عَلَى الْبَدَلِ

مِنْ " الْقَاعِدِ " وَتَرَأَى الْأَعْمَشَ بِالْجَرِّ عَلَى الصِّفَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَتَرَأَى

الْبَاقُونَ بِالْفَحْشِ طَلَّى ابْنُ اسْتِثْنَاءٍ] . وَقَالَ ابْنُ الْحَرْثِ فِي " النَّسَاءِ " ٥١٢ - ٥١٣ -

[قَرَأَ الْمَرْثِيَّةَ وَابْنُ عَامِرٍ وَالْمَرْثِيَّةَ وَخَلْفَ بَعْضِ الْمَرْثِيَّةِ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِرَفْعٍ]

(٣) صَبِيحُ الْبَهَارِ ، ٦٠ / ٦ ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ ، بَابُ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ

(٤) التَّوْبَةُ [٩١]

(٥) لِبَابِ الْفِتْلِ ص [٩٨]

نحو اتيان الآيات نزلتا بسبب واحد، وهو السؤال عن موقف الأعشى
من نريفة الجهاد في سبيل الله ، وما ذا يحصاه أن يفعل وهو عاجز
عن القتال ؟ وكان في نزولهما رفع للحرج عن مدين الصحابيين
ومن دون في حكمهما . [٢]

٢- ومن ذاك أيضاً ما أُخبر به ابن جرير الدائم، حيث قال :
(حدثني أيوب بن إسحق بن إبراهيم قال : ثنا عبد الله بن رباح
قال : ثنا إسرائيل ، عن سفيان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن
عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في ظل شجرة ،
فقال : **إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ إِنْسَانٌ فَيَنْشُرُ إِلَيْكُمْ بَعِثَتَيْنِ ، فَإِذَا جَاءَ فَلَا
تُخَفُّوهُ فَلَئِنْ يَأْتِيَنَّ أَنْ يُلَاحِظَ رَجُلٌ أَرَضَى ، فِدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : " هَلَاكَ تَشْتُمْنِي أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ ؟ " فَاذْهَبْ الرَّجُلُ فَجَاءَ
بِأَصْحَابِهِ ، فَخَلَفُوا بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَمَا فَعَلُوا حَتَّى تَجَاوَزَ عَنْهُمْ . فَأَنْزَلَ
اللَّهُ : " يَسْخَفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا (١) " إِلَى آخِرِ آيَةٍ (٢)**

[*] قلت هذا المحتمل أن يكون السائل في الخلفين كقوله أم كلثوم .
(١) التوبة [٧٤]

(٢) جامع البيان [١٨٥/١]

٤- ومنه ما أخرجه الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس قال :

(ثنا حسن بن موسى ، ثنا زهير ، ثنا سفيان ، حدثني سعيد بن جبير أن ابن عباس حدثه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ثلج من حجرة ، وعنده نفر من المسلمين قد كثر يقلسون عندهم الظل ، قال : فقال : إله سيأتيكم إنسان ينفث إليكم بطنين شيطان ، فإذا أناكم فلا تسلموه . قال : نجا رجل أزيق ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّمه ، قال : «كلام تشتمني أنست وفلان وفلان» فنردعاهم بأسماهم . قال : نذهب الرجل فدعاهم ، فكلّفوا بالله واعتذروا إليه ، قال فأنزل الله عز وجل " فَيُحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ . . . " الآية (١) (٢)

ومما تان الروايتان تشتملان أيضا على آيتين نزلتا بسبب واحد وهو عليه السلام المنافقين كذبا على أنفسهم لم يشتموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله تعالى أشدّهم وكيداً ثم في نحوهم بنزول الوحي الذي كشف نفاقهم وكذبهم .

(١) المجادلة (١٨)

(٢) مسند الإمام أحمد [٢٦٦/١]

وبذان المثالان يؤكدان الوعُدة الموضوعة في القرآن الكريم .
 نالَ اِيمان من سورتين مختلفتين ، وسببهما واحد ، وهذا يدلُّنا
 على أن القرآن كُلُّه لا يتجزأ ، ووَعْدَةٌ لا تَتَشَرَّقُ لا تَتَقَرَّبُ في ذلك بين ان
 تكون الايتان من سورتين ، او في موضعين من سورة واحدة . فكل من
 السورة والقرآن وعدة لا تنفصل اجزائهما .

ب - أمثلة لنسب الواحد تنزل فيه أكثر من آيتين :
 =====

١ - قال الإمام الترمذی : (حدثنا ابن أبي عمير ، ثنا
 عن عمرو بن دينار ، عن رجل من ولدِ أمِّ سلمة ، عن أمِّ سلمة قالت : -
 " يا رسول الله لا أسمعُ اللهَ ذَكَرَ النساءَ في الهجرة " ، فأنزل الله تبارك
 وتعالى : " أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَابِدٍ مِّنْكُمْ مَّنْ ذَكَرَ أُؤْتِيهِ " بعضُهم
 منَ بَشَرٍ " (١) (٢)

(١) آل عمران " ١٩٥ "

(٢) جامع الترمذی ٨٨ / ٤ كتاب التفسير ، سورة آل عمران

وقد أُخرج الحاكم في المستدرک [١٦ / ٢] من حديث أمِّ

سلمة نحوه وقال : صحيح على شرط الشيخين .

٢- وقال أينما : (حدثنا ابن أبي حمزة ، نا سُفيان ، عن ابن أبي نَجِيحٍ عن مُجَابِدٍ ، عن أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : « يَذْكُرُوا الرِّجَالَ وَتَذْكُرُوا النِّسَاءَ » ، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ ، يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى "وَلَا تَقْتُلُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ" (١) قَالَ مُجَابِدٌ : وَأُنْزِلَ فِيهَا : " إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ " (٢) وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أَوَّلَ نَحْبِيَّةٍ قَدِمَتْ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرَةً (٣)

٣- وَأَمَّا الْحَاكِمُ بِسَنَدِهِ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا ثَلَاثٌ : (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَذْكُرُ الرِّجَالَ وَلَا تَذْكُرُ النِّسَاءَ فَأُنْزِلَتْ : " إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ " وَأُنْزِلَتْ : " أَنْتِ لَا أَضِيعُ فَعَلَ مَا مَلَئَتْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ") (٤)

(١) النساء " ٣٢ "

(٢) الأعراف " ٣٥ "

(٣) جامع الترمذي [٨٨ / ٤] كتاب التفسير ، سورة النساء " "

(٤) المستدرک [٤١٦ / ٢]

قلت : في هذه الأمثلة ثلاث آيات نزلت بسبب واحد ، وهو سؤال أم المؤمنين أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم عن شئونها تتعلق بالنساء ، فنزل الله القرآن الكريم موضعا تلك الأمور .

وإن بعد أن تكون . تلك الأسئلة التي طرحتها أم المؤمنين قائمة في أذهان كثير من النساء ، ونحوها السواء منهن من أن يسألن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلماذا ألفت زوجي ، ونزل الوحي بالجواب ، حرقت كل مسلمة موقعتها المنا سب في صفوف الدعوة ، ومن ثم التزم جميعهن الحذر الذي دعا الله لهن ، وطابت نفوسهن بذلك في رضى وطمأنينة .

وما أكد حاجتنا نحن المسلمين إلى يوم إلى الرجوع إلى هذا النهج الساني المتمثل في محبة حدود الله والوقوف عندها ، باستتار وقناعة . فإن أعداء الله قد اتفقوا في طعن كثير من عقول الشباب المسلم - ذنونا وإناثا - وشوهوا صورة الإسلام في أذهانهم ، وجندوهم لعرب دنيهم من حيث لا يحلمون .

وما قضية المرأة وحقوقها التي تتأرجح في هذا الزمان إلا فيض من أئير المافهم المملوطة من الإسلام ، التي عابها الأعداء عقول شياطينا ، فتراهم يستنكفون من دنيهم ويقفون . من الانتساب إليه ، بحجة أنه لا يسائر الحضرة ولا يواكب متطلم بات الحضارة .

ولكن تركيز الأعداء كان منصبا على الفتاة المسلمة بصفة خاصة ،
لأنهم أدركوا أن نجاحهم نى زمرة عقيدتها هو أقرب الوسائل
وأبداها للوصول إلى هدفهم الأكبر ، وهو إفساد الأجيال المسلمة ،
وصدها عن دينها .

ومن ثم صوّروا وضع المرأة في الإسلام أبشع تصوير ، فزعموا
أنها مذمومة مشهورة لا تتمتع بأدنى قدر من الحرية الشخصية ،
أو الاجتماعية أو الاقتصادية ، نهى مسلوحة الإرادة : فلا يجوز لها
أن تلبس كما تشاء ، وليس من حقها أن تصادق من يروق لها من
الشبان ، ولا أن تختار شريك حياتها ، ولا تملك أن تُطلقه بعد الزواج
إذا أرادت اشتد الهُبحر ، ولا يحق لها أن تأخذ من
الميراث إلا ما يعادل نصف نصيب الرجل .

وهي مهذرة الكرامة : فللرجل أن يتلاعب بعواطفها ، ويتزوج
عليها فلا بُدَّ لها من حقوقها الزوجية ، وليس لها هي أن تطالب
بمسماواتها بالرجل ، فتزوج معه فيره أو تتخذ - على الأقل -
من يُباد لها المشاعر والعواطف من الأبناء ، كما تفعل النساء
المتحضرات .

ونحن - نحن ميدان الزعامة - لا ينبغي لها ان تتبوأ مركزا قياديا -
سياسيا كان ام اجتماعيا ام عسكريا - كما يحتاج كل أولئك للرجل .

وهي ساقطة الذمة : فلا يجوز لها أن تدلي بشهادتها كما
يشهد الرجل . . . إلى غير ذلك من الأفكار الهدامة التي تضرر
بها وسائل الاعلام المسخرة لحرب الإسلام .

ولست هنا في مقام الرد على تلك الأباطيل المعتققة
نذلك ، ناله السائد بكون علم الإسلام من أبنائه النجباء .
واكون الذي يحزنني - ناسوا التنويه بأهمية توثيق الصلة بكتاب الله
الكريم ، وستقرسوله الملهمة ، وسيرته الشريفة ، ولا سيما الإلهام
الواعي بأسباب نزول القرآن الكريم ، لما فيها من الفوائد الجليلة
التي لا غنى للمسلم عنها .

والله تعالى من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

٧٨ - ٢

الخاتمة

الخاتمة :

وفي الختام ، أَعْمَدُ الله تعالى على نِعَمائه ، وفضله
وتوفييقه ، وأسأله أن يبارك هذا العمل ، ويتقبله ، وينفع
بـه .

وفيما يلي أوجز أهم نتائج البحث التي توصلت إليها :
أولاً : علم أسباب النزول من أهم علوم القرآن الكريم ، ومعرفة
لازمة لكل من يتصدى لتفسير كتاب الله تعالى .

ومن فوائده :-

١- الاستعانة بالسبب على فهم الآية ، وإزالة الإشكال

عنها .

٢- معرفة حكمة التشريع .

٣- دفع توهم الحصر عما يُفيد بظاهرة الحصر .

٤- تعيين المبهمات ، ومعرفة من نزلته فيه الآية ،

حتى لا يشتبه بغيره .

٥- معرفة كون سبب النزول فير خارج من حكم الآية

إذا ورد مخصص لها ، وذلك للإجماع على بقائها

حكم السبب ، وقصر التخصيص على ما سواه .

٦- تخصيص الحكم بالسبب عند مَنْ يرى أَنَّ العسيرة
بشخصوى السبب ، لا بعموم اللفظ .

ثانياً : لا مجال لمصرفة سبب النزول إِلَّا عن طريق
الرواية الصحيحة والسَّماعِ مَنْ شاهدوا نزول الوحى،
ووقفوا على أسبابه .

إن كان السبب مَرُويًا عن صحابيٍّ فهو مقبول
دِين حاجةٍ إلى اعتضاده بروايةٍ أُخرى تُقويه .

وإن كان الرَّوى تابعيًا ، بأن كان سببُ النزولِ مَرُويًا
بحديث مَرسلٍ ، فيشترطُ في قبوله ثلاثة أمور :

- (١) أن يكون الحديث المرسل صحيحًا .
- (٢) وأن يعتضدَ بمرسلٍ آخر .
- (٣) وأن يكون الرَّوى من أئمة التفسير الأخذين
عن الصحابة .

ثالثاً : أَوَّلُ مَنْ أَلْفَنِي أَسْبَابُ النُّزُولِ هو شيخُ المحدثين الإمامُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ الْمُتَوَفَّى سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وهو شيخُ الإمام البخاري رحمه الله ، ومُتَوَانُ كتابه : -
(أَسْبَابُ النُّزُولِ) .

ثم تلاه لفيف من العلماء ، نذكرهم على الترتيب الزمنيّ فيما يلي :-

٢- القاضي عبد الرحمن بن محمد / نُطَيْسِي الْأَنْدَلُسِي الْمُتَوَفَّى سنة اثنتين وأربعمئة من الهجرة . واسمُ كتابه : (الْقَصَصُ وَالْأَسْبَابُ الَّتِي نَزَلَ مِنْ أَجْلِهَا الْقُرْآنُ) -

٣- الإمام أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمد بن عليّ الواحديّ الْكَيْسَابُورِي الْمُتَوَفَّى سنة ثمان وستين وأربعمئة . واسمُ كتابه (أَسْبَابُ نَزُولِ الْقُرْآنِ)

٤- أبو المظفر ، محمد بن أسعد بن محمد العراقيّ الْحَكِيمِي الْمُتَوَفَّى سنة سبع وستين وخمسمئة . واسمُ كتابه (أَسْبَابُ النُّزُولِ وَالْقِصَصُ الْفُرْقَانِيَّةُ) -

٥- أبو جعفر ، محمد بن علي بن أبي نُعْشَر المازِنْدَرَانِيّ
المتوفى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة . واسم كتابه :
(الأسباب والنزول على مذهب آل الرسول) .

٦- الإمام الحافظ ، أبو الفتح ، عبد الرحمن بن
الجوزي المتوفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة . واسم
كتابه (أسباب النزول) .

٧- برهان الدين ، أبو محمد ، إبراهيم بن عمر بن إبراهيم
الجعفي الحلبي المتوفى سنة اثنتين وثلاثين
وسبعمائة . وعنوان كتابه (أسباب النزول)
وشوا اختصار لكتاب الواحدي ، بحذف أسانيدِهِ .

٨- الحافظ جلال الدين ، عبد الرحمن بن أبي بكر
ابن محمد السيوطي المتوفى سنة إحدى عشرة
وتسعمائة . وعنوان كتابه (لباب النقول في
أسباب النزول) .

٩- الشيخ مُقِيل بن هادي الوادعي ، أمد الله في
عمره . وقد عنون لكتابه [بالصحيح المُسنَد من أسباب
النزول] . وحقق الروايات التي أورد ما تحقيقاً
علمياً مفيداً .

رابعاً : أغلب الكتب التي صُنِّفَتْ في أسباب النزول مفقودة الآن . وقد وقفتُ على أربعة منها ، وهي كما يلي :

١- " أسبابُ نزول القرآن " للواحدي . وقد طُبِعَ خمس مرات - فيما أعلم - إحداها بتحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر .

٢- " أسباب النزول والقصص القرآنية " للحراقي . وهو مخطوط ، وتوجد منه نسختان بمركز البحث العلمي ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

٣- " لبابُ النُّقُول في أسباب النزول " للسيوطي ، وقد طبع أربع مرات ، فيما أعلم .

٤- " الصحيح المسند من أسباب النزول " للشيخ مقبل بن هادي الوادعي . وهو بحث أُعِدَّ في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وطبع بشركة المدينة للطباعة بـجدة .

خامساً : كتاب " أسباب النزول " للواحدى هو المرجعُ
الأول والأهمُّ فى مجاله . وعليه كتب
" لباب النقول فى أسباب النزول " للسيوطى .

سادساً : ما ورد على كتاب الواحدى من مآخذ ، لا ينقص
من قيمته العلمية . وما أبداه السيوطى عليه من ملاحظات
ينبغى ان لا يؤخذ على إطلاقه ، لأنه أصدر أحكاماً
عامة ، أثبت البحث خلافها فى بعض المواضع . وبعضها
يُعتبر تكميلاً للكتاب ، غير أنه لا يقدح فى قيمته . والحق
أن الكتابين يُعتبران وحدة متكاملة ، ولا فى المدارس
عن أحدهما .

أما القضية التى أثارها الدكتور صبحى الصالح
حول كتاب الواحدى ، فليست مسأمة ، وهى فى الأصل
خارجة عن مجال أسباب النزول .

سابعاً : كتاب (أسباب النزول والقصص القرآنية) للعراقى
ليس من التفسير اعتباره سفيراً مستقلاً فى أسباب النزول ،
وذلك لجمعه بين ذكر أسباب النزول ، وإيراد قصص
الأنبياء ، والتفسير المجرد عن ذكر الأسباب .

ويمكن تصنيف ما تناوله العراقي من الآيات إلى ثلاثة أقسام كما يلي :-

أ / قسم اقتصر فيه على بيان سبب النزول ، دون تفسير الآيات .

ب / وقسم فسره دون أن يذكر أسباب النزول .

ج / وقسم ذكر أسباب نزوله مع تفسير الآيات .

هذا بالإضافة إلى أن كتاب العراقي خالٍ من الإسناد غلوا تماماً ، بل إنه - رحمه الله - لم يُشر حتى إلى شيوعه الأخذ عنهم ، مما يدل على عدم تأثيره بمنهج الواحدى فى إخراج أسباب النزول .

ثامناً : من خلال البحث فى مسألة تحليل النصوص تبين الآتى :-

- ١- هنالك علاقة وثيقة بين تحليل الأحكام والنصوص من جهة ، وبين أسباب النزول - بوصفها مـكـلاً للأحكام والآيات النازلة فيها - من جهة أخرى .

٢- للملأمة آراء أربعة في مسألة تعليل النصوص وعدم تعليلها .

ومن هذه الآراء قولهم : (إن الأصل في النصوص التعليل ، لكن لا بكل وصف ، بل بالدليل على أن الوصف المقتضى هو العلة) . [١]

ومعنى هذا أننا لا نطلب لكل نص سبباً اقتضى نزوله . فمن النصوص ما نزل ابتداءً ، ومنها ما نزل بسبب .

الراجح . وهذا هو الرأي لدينا ، لملائمة مقتضى أسباب النزول . فإن آيات القرآن الكريم منها ما نزل بسبب ومنها ما نزل بابتداءً من غير سبب ، وهذا القسم الأخير هو الغالب في القرآن الكريم .

[١] انظر تفصيل هذه الآراء في «فوائذ الرحمن» ٩٣/٢ وما بعدها .

٣- ونتيجة لهذا البحث ثبت بالاستقراء ما يلي :-
 أ / هنالك من السُّور ما استوت فيه الآيات النازلة
 ابتداءً والآيات النازلة بأسباب . وهذا القسم
 تمثله سورة واحدة وهي سورة النور .

ب / ومنها ما نزلت جميع آياتها ابتداءً بلا أسباب ،
 وتلك إحدى عشرة سورة ، وهي : النمل ،
 نوح ، الإِشْقَاق ، البرق ، البلد ، الشمس
 البينة ، القارعة ، العصر ، الهُزْة ، الفيل .

ج / ومنها ما نزلت جميع آياته بأسباب ، ومجموعه اثنتا
 عشرة سورة ، وهي :-

اللَّيل ، العَادِيَات ، التَّكْوِيْن ، قُرَيْش ، المَاعُون ،
 الْكَوْثَر ، الْكَافِرُون ، النَّصْر ، الْمُتَدِّ ، الْإِخْلَاص ،
 الْاَلَق ، النَّاس .

د / ومنها ما كانت آياته النازلة بأسباب أكثر من النازلة
 ابتداءً ، ومجموعه ثلاثُ سورٍ وهي :
 الْحَدِّث ، الْحَلَق ، الْقَدَر .

د/ ومنها ما كانت آياته النازلة ابتداءً أكثر من
التي نزلت بأسباب ؛ ومجموعه سبع وثمانون سورة ؛
وهو الذي ثبت أن مُعظم القرآن الكريم نزل
ابتداءً من غير أسباب .

تاسعاً : الخلاف بين العلماء في مسألة عموم اللفظ وخصوص
السبب خلاف شكلي ، لأن الفريقين كليهما متفقان على
إفادة العموم .

فهر أن الجمهور يقولون بإفادة العموم من النص
نفسه ، ويرون أن العبرة بعموم اللفظ ، ومن ثم
يثبتون به كل ما يندرج تحته . وحينئذ فلا إشكال .
ولهذا كان مذهبهم راجعاً .

أما المخالفون للجمهور فيقولون بإفادة العموم من
دليل آخر غير النص كالتقاسم وغيره . ويرون أن العبرة
بتسوي السبب .

وهذا الرأي مرجوح، لأنه يترتب عليه إشكال،
وهو جواز إثبات الحدود والكفارات عن طريق
القياس . وذلك أمرٌ غيرُ جائزٍ عند أكثر
الأصوليين .

فاشرا : الروايات الواردة في أسباب النزول جميعها مسندة،
وفي ثلاثة أقسام :-

أ/ قسم ورد في الصحيحين ، وجملة ستئة
مواضع ومائة موضع .

ب/ وقسم موافق لما في الصحيحين - بمعنى أن
له أصلاً فيهما - وجملة ثمانية وعشرون
موضعاً .

ج/ والقسم الثالث ، وهو ما بقي من الروايات،
وجملة واحد وسبعون موضعاً وسبعمائة موضع .

سادس عشر: صَحِّحُ الرَّوَاةِ فِي التَّصْبِيحِ عَنْ سَبَبِ النُّزُولِ
تَتَدَصَّرُ فِيهَا يَلَى :

٣ / ما مُنِّنَ فِيهِ بِالْفَتْحِ عَلَى السَّبَبِ ، كَقَوْلِهِمْ :-
(سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ كَذَا) .

٢ / ما اقْتَرَنَ بِنَاءُهَا بِإِطْلَاقِهَا مَادَّةَ نَزُولِ الْآيَةِ
فَقَبِ سُرْدٍ سَادَةِ ، كَقَوْلِهِمْ :-
(نَزَلَتْ) أَوْ (نَأْنَزَلَ اللَّهُ) .

٣ / ما نَزَلَ بِبَوَابٍ عَلَى سُؤَالٍ مُوجَّهٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ يَقْتَرِنُ أَحْيَانًا بِعَالَمٍ .

٤ / قول الراوي : (نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي كَذَا) .

٥ / ما لم يَهْرُمْ بِهِ الرَّاوي ، كَقَوْلِهِمْ :
(أُحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي كَذَا) .

هذا ، وبعد الموازنة بين هذه الصيغ تبين
الآتي :

أ (ثبت من طريق الاستقراء أن الصيغة الأولى
- وهي قولهم (سبب نزول هذه الآية كذا) -
لم ترد إطلاقاً بهذه الصيغة في أسباب النزول .
ومجيئها في بعض كتب علوم القرآن
- يوصفها نصاً صريحاً في السببية - فيرسل .

وله فلا يجوز مدّها ضمن الصيغة المصبرة
من سبب النزول ، بله (١) إطلاقاً المرتبة الأولى
في النص على السببية .

(١) بله : اسم فعل أمر بمعنى (دع) وقيل معناها (سوى)
(مختار الصحاح ص ٦٥) والمراد هنا استعمالها بمعنى
الفعل .

ب) قول الراوى : (نزلت هذه الآية فى كذا)
لا يُعتبر - على إطلاقه - نصاً فى السببية ، لا شتماله
على الاحتمالات التالية :-

١ / فقد يُرادُ به بيانُ السببِ ، وعندئذٍ يُعتبرُ
نصاً فى السببية .

٢ / وقد يُرادُ به بيانُ ما تَضَمَّنَتْهُ الآيةُ - من
أحداثٍ وقصصٍ .

٣ / وقد يُرادُ به رأىُ الراوى فى تفسيرِ الآيةِ .

ج) بقيةُ الصَّيغِ الأخرى كلها وردتْ فى التفسيرِ
من أسبابِ النُّزولِ ، فبرأى أنها تتفاوتُ فى دلالتها
على النَّسَبِ على السَّببيةِ . ويأتى ترتيبُها - بحسبِ
الأولويةِ - على النحوِّ التالى :

أولاً : ما اقترنَ بالفاءِ ، لشبوته من طريقِ الإيماءِ .
ومعروفٌ أنَّ الإيماءَ مُقدَّمٌ على ما سِوَاهُ عند
غيابِ النَّصِّ الصَّريحِ . ولذلك كان قولهم :
("فَنَزَلَتْ" أَوْ "فَأَنْزَلَ اللَّهُ") مُقدَّماً على ما سِوَاهُ .

ثانياً : ما كان جواباً على سؤال ، موجه للنبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك لإقترانه أحياناً بالفاء .

ثالثاً : قول الراوى : (نزلت هذه الآية في كذا) لأن فيه احتمال الفرض على السببية والمُحتَمَل مُقَدَّم عَلَى المشكوك .

رابعاً : ما لم يَجْزِم به الراوى . وقد جاء في المرتبة الأخيرة ، لِمَا يَنْطَوِي عليه من شك وتردد .

المُقْتَرَحَاتُ

=====

أما المقترحاتُ فأُتْرَجُ ما يلي :

١- البحثُ الجادُّ عن المخطوطاتِ المفقودة ، والعملُ على إحيائها إن وُجِدَتْ .

٢- تحقيقُ الكتبِ الموجودةِ تحقيقاً علمياً يُستفاد به .

٣- حَفْزُ الرواياتِ الواردةِ في أسبابِ النُّزولِ - سواءً أكانت في الكتبِ الْمُتَخَصِّصَةِ بِهَا أم كانت في كتبِ التفسيرِ المختلفةِ - وتَرْجِيحُها تخريجاً علمياً نافعاً .

وَبِحَدِّ :

فهذا ما فَتَحَ اللهُ بِهِ وَيَسَّرَهُ مِنَ الْقَوْلِ فِي (أَسْبَابِ النُّزُولِ : دَرْجَتُهَا ، وَتَحْلِيلُ النُّصُوصِ بِهَا) . وَتَوْجِيهُهُ بِشَرْحِ مَعْنَى الْمَعْنَى وَالزَّلِيلِ وَالنُّقْصَانِ .

فَإِنْ أَصَبْتُ فِيهِ فَذَلِكَ مِنْ غَضَلِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ —
وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى فِيهِ مَزْدُودَةً إِلَى الْفَقْرِ الْبَشَرِيِّ
وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْحَافِيَةَ وَالْمَغْفِرَةَ ،

وَإِنِّي لَا طَمَحَ فِي تَوْجِيهِ النَّصِصِ ، وَتَسْدِيدِ
التَّوَلِّ ، وَالتَّنْبِيهِ إِلَى مَوَاطِنِ الزَّلَلِ فِي هَذَا السَّعْلِ الْمُتَوَاضِعِ .

فَلَسْتُ مَدَّحِيًّا لَهُ كَمَالًا ، لِأَنَّ الْكَمَالَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَهُوَ
التَّائِلُ فِي مُدْحَمِّ تَنْزِيلِهِ :

(وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْجُلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (١)

وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ - بِهَذِهِ الْمَحَاوَلَةِ - قَدْ وَفَّقْتُ فِي كَفِّ
أَنْتَارِ الْبَاحِثِينَ إِلَى مِثْلِ هَذَا النَّوعِ مِنْ دَرَاةِ أَسْبَابِ الْخُزُولِ .

وَأُخِيرَ أَعُودُ فَأُخْتِمَ بِمَا بَدَأْتُ بِهِ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى ،
وَالْتَنَاءِ عَلَيْهِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْأَلُهُ
تَعَالَى أَنْ يُرْزُقَنِي حُسْنَ الطَّوْبَةِ ، وَاسْتِقَامَةَ الْمَقْصِدِ ، وَالْإِخْلَاصَ
فِي الْعَمَلِ ، وَخَاتَمَةَ السَّعَادَةِ .
(وَمَا تَوْفِيقِي ، إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (١)

الفهارس

فهرس المصادر

فهرس الذیات

فهرس الأحداث

فهرس الأعلام

فهرس الموضوعات

فهرس المصادر

=====

- * القرآن الكريم .
- * ابن أبي حاتم: محمد بن حبان بن محمد بن محمد بن
كتاب المجروحين من المحدثين .
الطبعة الأولى .
خبره آباد ، الهند ، المطبعة العزيزية . ١٣٩٠ هـ
- * ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم
مقدمة في أصول التفسير .
بتحقيق الدكتور عدنان زرزور .
الطبعة الأولى :
التويت ، دار القرآن الكريم ١٣٩١ هـ
- * ابن الجزري ، محمد بن محمد
النشر في القراءات العشر .
تصحيح ومراجعة الشيخ علي محمد الضباع .
دار الفكر للطباعة والنشر .

* ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن طي بن محمد .
صفوة الصفوة .

بتحقيق محمد فاضل .

شرح أحاديث محمد رؤاس قلعة جى .
الطبعة الأولى .

حلب ، دار الوعى ١٣٩٨ هـ .

* ابن خلدون ، عبد الرحمن المشيرى ... :
تأريخ الحلامة ابن خلدون " كتاب العبر " .
الطبعة الثانية :

بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦١ م .

* ابن خلكان ، أحمد بن محمد .
وغيات الأعيان .

دار الثقافة ، بيروت .

* ابن الدبيع الشيباني : عبد الرحمن بن عبي
حياته الأنوار ومطالع الأسرار بتحقيق محمد بن
دعبله : مطبعة محمد هاشم الكسبي

* ابن الصماد الصنبل ، عبد الحى بن أحمد .

شذرات الذهب فى أعيان من ذهب

بيروت ، المكتب التجارى .

* ابن كثير ، إسماعيل .
الْبَاحِثُ فِي الْحَدِيثِ شَرْحُ اختصار علوم الحديث ،
القاهرة .

مناجاة محمد علي صبيح .

* ابن كثير إسماعيل . . .
تفسير القرآن العظيم .
الطبعة الثانية .
بيروت ، دار الفكر ١٣٨٩ هـ .

* ابن منظور ، محمد بن مكرم .
لسان العرب .
القاهرة : الدار المصرية للتأليف والنشر .

* أبو زهرة ، محمد .
أصول الفقه .
القاهرة ، دار الفكر العربي .

* أبو زهرة ، محمد .
تاريخ المذاهب الإسلامية .
القاهرة ، دار الفكر العربي .
أبو سليمان : الدكتور عبد الوهاب إبراهيم .
كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية .
الطبعة الأولى - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
جدة : دار الشروق .

أبو شُهْبَة ، محمد بن محمد .
الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير .
القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٣ هـ .

أبو شُهْبَة ، محمد بن محمد .
أفلام المحدثين .
القاهرة ، مركز كتب الشرق الأوسط ١٣٨١ هـ .

أحمد بن حنبل ، الإمام .
مُسْنَدُ الإمام أحمد .
بيروت ، المكتب الإسلامي .

الأوسى ، السيد محمود .
روح المعاني ، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .
بيروت ، دار الفكر ١٣٩٨ هـ .

البخاري ، عبد العزيز بن أحمد .
كشف الأسرار عن أصول البزدي .
طبعة بالأونست .
بيروت ، دار الكتاب العربي ١٣٩٤ هـ .

* البهاري ، محمد بن إسماعيل .
 صحيح البهاري (الجامعُ المُسنَدُ الصحيحُ المختصرُ
 من أمور رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وسُنَّته وأيامِه .)
 القاهرة ، مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ .

* البخدادى ، إسماعيل .
 دَرِيَّةُ الحارِثين إلى أسماءِ المؤلِّفين والمُصنِّفين .
 بغداد ، مكتبة المثنى ١٩٥١ م .

* البهاري ، مُحِبُّ الله بن عبد الشكور .
 مُسَلِّمُ الثُبوتِ .
 القاهرة ، فن زكى الكردي وشركاه .

* الترمذى ، محمد بن عيسى .
 سُنَنُ الترمذى (الجامع الصحيح) .
 المدينة المنورة ، محمد عبد الحميد الكُتُبى .

* حاجى ، خَلِيفَة ، مصطفى بن عبد الله .
 كَشَفُ الثَّنُونِ عن أَسَامِي الكُتُبِ والفنون .
 بغداد ، مكتبة المثنى .

الحاكم ، محمد بن عبد الله بن محمد .
المُسْتَدْرَك على الصحيحين .
الريّان : مكتبة و مطابع النصر الحديثة .

الحاكم ، محمد بن عبد بن محمد .
منرفة علوم الحديث .
صَحَّحَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ الدكتور السيد مُصَنِّم حسين .
بيروت : المكتب التجاري .

الحموي ، ياقوت .
مُتَجَمُّ الأدياء .
بغداد ، مطبعة المأمون .

الخطيب ، أحمد بن محمد البُستِي .
غريب الحديث .
تحقيق عبد الكريم إبراهيم الخزاي .
مكة المكرمة - جامعة أم القرى -
دار الفكر ، دمشق ١٤٠٢ هـ .

الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي .
تأريخ بغداد .
بيروت ، دار الكتاب العربي .

* الدَّارُودِيُّ ، محمد بن علي بن أحمد .

طبقاتُ المُفسِّرين .

بتحقيق علي محمد صمر .

الطبعة الأولى .

القاهرة : مكتبة وهبة ١٣٩٢ هـ .

* الذَّهَبِيُّ ، محمد بن أحمد بن عثمان .

مِيزَانُ الإِعتدال في تَقْدِيرِ الرِّجال .

بتحقيق محمد علي البُجَاوِيُّ .

الطبعة الأولى .

بيروت ، دار المعرفة ١٣٨٢ هـ .

* الذَّهَبِيُّ ، محمد حسين .

التفسير والمفسرون .

الطبعة الثانية .

القاهرة ، دار الكتب الحديثة ١٣٩٦ هـ .

* الرَّازِيُّ ، محمد بن أبي بكر/عبد القادر .

مُستَشار الصَّحاح .

ترتيب محمود خاطر .

القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م .

* الرَّاوِزِ ، محمد بن عُمر (فخر الدين) .

مَقَاتِيحُ الذَّيْبِ .

الطبعة الثانية .

كُتُبُ رَآن ، دار الكتب العلمية .

* الزَّرْكَلِيُّ ، عَيزُ الدَّيْمَنِ .

الْأَعْلَامُ .

القاهرة ، مؤسسة الأهرام .

* سَابِقُ ، السَّيِّدُ .

فَقْهُ السُّنَّةِ .

النُّسخة الأولى .

بيروت ، دار الكتاب العربي ١٣٩١ هـ .

* السَّرْحَسِيُّ ، محمد بن أحمد .

أَصُولُ السَّرْحَسِيِّ .

بتحقيق أبي الوفاء الأفغانى .

القاهرة ، دار الكتاب العربي ١٣٧٢ هـ .

* السُّيُوطِيُّ ، عبد الرحمن بن أبي بكر .
بُفَيْةُ الوُحَاةِ فِي طبقات اللُّغَوِيِّينَ والنُّحَاةِ .
بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
الطبعة الأولى :

القاهرة ، مكتبة البابي الحلبي ١٣٨٤ هـ .

* السُّيُوطِيُّ ، عبد الرحمن بن أبي بكر .
لُبَابُ النُّزُولِ فِي أسبابِ النُّزُولِ .

القاهرة ، مؤسسة الطباعة لدار التحرير - ١٣٨٢ هـ .
* منسلي ، الدكتور أحمد [كيف نكتب بحثاً أو رسالة]
الطبعة السابعة (١٩٦٨) - القاهرة : مكتبة النهضة المصرية .
* الشوكاني ، محمد بن طلي .

الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة -

بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى اليماني .
الطبعة الأولى .

بيروت : دار الكتب العلمية ١٣٨٠ هـ .

* الصابوني ، محمد طلي .

روائع البيان ، تفسير آيات الأحكام .

الطبعة الثانية .

دمشق : مكتبة الفزالي .

* الصالح، سُبحى .

مباحث فى علوم القرآن .

الطبعة الثانية .

بيروت ، دار العلم للملايين .

* الصيمرى ، عبد الله بن على .

التبصرة والتذكرة .

الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ

مكة المكرمة ، جامعة ام القرى . ط . دار الفكر - دمشق .

* كاشى كبرى زادة ، أحمد بن مصطفى ،

منتاح السيادة ومصابيح السيادة .

بتعقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور .

* البكرى ، محمد بن جوير .

تفسير البكرى (جامع البيان من تأويل القرآن) .

الطبعة الثالثة :

القاهرة ، مكتبة مصطفى الباقى الحلبي ١٣٨٨ هـ .

- * العيراقى ، محمد بن أسعد .
أسباب النول والقصد الفرقانية .
(مخطوط)
مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمى .
- * الحسقلانى ، أحمد بن على بن حجر .
الدُرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة .
بتحقيق محمد سيد جاد الحق .
القاهرة ، دار الكتب الحديثة ١٣٨٧ هـ .
- * الحسقلانى ، أحمد بن على بن حجر .
فتح البارى بشرح صحيح البخارى .
القاهرة ، المطبعة السلفية ومكتبتها بالروضة .
- * الحسقلانى ، أحمد بن على بن حجر .
لسان الميزان .
الهند ، دائرة المعارف النظامية ، حيدرآباد .

- * الحسقلاني ، أحمد بن عليّ بن حجر .
المطالب العالية بزاوائد الكتب الثمانية .
بتحقيق الأستاذ الشيخ المحدث : حبيب الرحمن الأعظمي .
بيروت : دار الكتب العلميّة -
- * علي الجارم ومصطفى أمين .
البلانة الواضحة .
دار المعارف بمصر -
- * الحينيّ ، محمود بن أحمد .
عمدة القاري شرح صحيح البخاري .
بيروت ، محمد أمين دمج وشركاه -
- * الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب .
القاموس المحيط .
الطبعة الثانية :
القاهرة : مصطفى البابي الحلبي ١٣٧١ هـ .

- * القُرْطُبِيُّ ، محمد بن أحمد .
تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) .
القاهرة ، دار الشعب .
- * القُضَائِيُّ ، علي بن يوسف .
المُحَمَّدُون من الشعراء وأشعارهم .
بتحقيق رياض عبد الحميد مراد .
دمشق ، مطبعة الحجاز م : ١٣٩٥ هـ
- * كَمَالَة ، صمريضا .
معجم المؤلفين ،
دمشق ، مطبعة الشرقى ١٣٧٨ هـ .
- * المَبَارَكُتُورِيُّ ، محمد عبد الرحمن .
تُحْفَةُ الْأَحْوَذِيِّ شرح جامع الترمذى ،
بيروت ، دار الكتاب العربى .
- * المِراخِي ، عبد الله مصطفى .
الفتح المبين فى طبقات الاصوليين
الطبعة الثانية .
بيروت ، محمد أمين دَمِيح وشركاه .

- * مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمٍ .
صحيح مسلم بشرح النووي .
القاهرة ، المطبعة المصرية .
- * المَوْسَوِّىُّ ، مِيرْزَا مُحَمَّدٌ بَاقِرٌ .
روضات الجنّات فى أحوال العلماء والشّادات .
بتحقيق أسد الله إسماعيليان .
إيران ، مكتبة إسماعيليان ١٣٥١ هـ .
- * النُّعْمَانِيُّ ، عبد الله بن أحمد بن محمد .
تفسير النُّعْمَانِيِّ (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) .
بيروت ، دار الكتاب العربى .
- * الأنصارى ، محمد بن نظام الملك .
فواتح الرحموت بشرح مُسْلِمِ الثَّبوت .
الطبعة الأولى .
مصر ، بولاق المطبعة الأميرية ١٣٢٤ .
(صورة بالزُّوْفِيَّتْ - مكتبة المُنْتَهَى ، بغداد)

الهيثي ، عليّ بن أبي بكر .
مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمُنْبَعُ الْفَوَائِدِ .
بتحرير الحافظين : العراقي ، وابن حجر .
القاهرة ، مكتبة القدس ١٣٥٣ هـ .

الواحدى ، عليّ بن أحمد بن محمد .
أسباب نزول القرآن .
الطبعة الثانية .
القاهرة ، مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٧ هـ .

الواحدى ، عليّ بن أحمد بن محمد .
أسباب نزول القرآن .
بتحقيق السيد أحمد صقر .
الطبعة الأولى .
القاهرة ، دار الكتاب الجديد .

الواحدى ، مقبل بن هادى .
الصحيح المسند من أسباب النزول .
جدة شركة المدينة للطباعة .

فهرس الآيات
=====

سورة البقرة نـ رتم (٢)
=====

٥١ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ... الآية (٦)

٣١ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ... الآية (١٤)

٨٥ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا ... الآية (١٧)

٨٥ * أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ... الآية (١٩)

* *

٨٥ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ... الآية (٢٦)

٨٥ * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ... الآية (٤٤)

* *

٢٧ * قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ ... الآية (٩٧)

- ٣٨ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ الآية (١١٤)
- ٦٣ * وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ... الآية (١١٥)
- ٢٢٩، ١٠١ * إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَรَّؤُوفٌ رَّحِيمٌ ... الآية (١٤٣)
- ٦٣ * نَوَّلَ وَجْهَهُنَا شَمَارَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ .. الآية (١٤٤)
- ٦٣ * إِنَّ الصَّافِيَ وَالْمُرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ... الآية (١٥٨)
- ١١٥ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ .. الآية (١٧٨)
- ٢٤٠ * الشُّرُكُ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْحَبِيدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى ... الآية (١٧٨)
- ١١٥ * وَنُكِّمُ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةً الآية (١٧٩)
- ١١٣ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ .. الآية (١٨٣)
- ١١٤ * وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ... الآية (١٨٤)
- ١١٥ * يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ... الآية (١٨٥)

- * أُعِِّلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتَ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ... الآية (١٨٧) ١٥٥، ١٥٤
- * عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَتَعَنَّوْنَ أُنفُسَكُمْ... الآية (١٨٧) ٢٣٠
- * وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا... الآية (١٨٩) ٢٣٠
- * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَالصُّمُورَةَ لِلَّهِ... الآية (١٩٦) ٢٣٠
- * نَمَنَ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ... الآية (١٩٦) ٢٠
- * وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ تَوَلُّهُ... الآية (٢٠٤) ١٣٠
- * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشُوْر نَفْسَهُ... الآية (٢٠٧) ١٣١
- * يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ... الآية (٢١٥) ١٤٧
- * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الصَّعِيرِ وَالْمُؤَسَّرِ... الآية (٢١٩) ٩٩، ٩٨
- * وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَغِينِ... الآية (٢٢٢) ٢٤٨

* نَبِّانٌ فَلَقَّبَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا ... الآية (٢٣٠) ٥٤

* وَمَنْ لَمْ يَدْعُهُ نَائِتُهُ مِنْهُ ... الآية (٢٤٩) ٨٥٦٧٢

* وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَ الْأَنْبِيَاءِ ... الآية (٢٦٩) ٢١٩

* لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... الآية (٢٨٤) ١٥٦٠١٠٦

* آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ ... الآية (٢٨٥) ١٥٦٠١٠٦
١٥٧

* لَا يَدْعُ اللَّهَ نَسًا إِلَّا وَشَعَهَا ... الآية (٢٨٦) ١٥٦٠١٠٦
١٥٨

* رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا ... الآية (٢٨٦) ١٥٧

* رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ... الآية (٢٨٦) ١٥٧

سورة آل عمران : رقم (٣)

* قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ... الآية (٣١) ٨٦

* ذَٰلِكَ نَقُودُهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ... الآية (٥٨) ٨٦

* إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ... الآية (٧٧) ٢٤١

* وَمَنْ يَبْتَغِ فَيْدًا مِنَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلْيَسِّرْ لَهُ... الآية (٨٥) ١١٥

* مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ... الآية (٧٩) ٣٠

* وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ... الآية (٩٧) ١١٤ ، ١١٥

* إِذْ دَخَلْتَ مَدْيَنَ وَاتَّخَذْتَ مِنْهُمْ أَنْ تَفْشَلَهُ... الآية (١٢٢) ٢٣٨

* وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا... الآية (١٦٩) ٢٧

* لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا... الآية (١٨٨) ٦٦

* نَأْتِيهِمْ لَيْلُهُمْ رَبَّهُمْ... الآية (١٩٥) ٢٧٣

*...أَنْتِي لَا أُنْفِخُ عَنَّا مِثْلَ مَنْكُمْ... الآية (١٩٥) ٢٧٤

سورة النساء : رقم (٤)
=====

- ١٢٢ * وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الآية (٥)
- ١٢٢ * وَأَهْبَلُوا الْيَتَامَى . . . الآية (٦)
- ١٥٨ ، ٨٧ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ . . . الآية (٢٤)
- ١١٦ * وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ . . . الآية (٢٩)
- ٢٧٤ ، ٨٧ * وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ . . . الآية (٣٥)
- ٩٩ * . . . تَتْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى . . . الآية (٤٣)
- ١٣٢ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ . . الآية (٥١)
- ٢٤٥ ، ٢٤٤ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْهِ . . الآية (٦٠)
- ٢٤٥ ، ٢٤٣ * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ . . . الآية (٦٥)

- ٢٦٩ * أَكَيْسَتَرَى التَّاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ... الآية (٩٥)
- ٢٧٠ * نَعِمْ أَتُولِي الضَّرَرَ ... الآية (٩٥)
- ٢٠٤ * إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ... الآية (٩٧)
- ٢١٣، ٢٠٤ * وَمَنْ يَنْصُرْ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا ... الآية (١٠٠)
- ١٧٣ * وَإِذَا ضَرَجْتُمْ فِي الْأَرْضِ ... الآية (١٠١)
- ١٧٣، ١٧٢ * وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ ... الآية (١٠٢)
- ٢٠٣ * وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّخَذَ مِنَ اللَّهِ فِيلًا ... الآية (١٢٢)
- ٣٥٤ * وَاتَّبَعَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ نَذِيلًا ... الآية (١٢٦)
- ١٠٠، ٨٤ * رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ... الآية (١٦٥)
- ٢٣٦، ٢٣٤ * يَسْتَنْتَوُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ... الآية (١٧٦)

سورة العائدة : رقم (٥)
=====

- ١٢٦ * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ الآية (٣)
- ١٠٩ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا اقْتُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ . . . الآية (٦)
- ٨٣ * مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَافِيلَ . . . الآية (٣٢)
- ١٧٧، ٥٨ * إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . . . الآية (٣٣)
١٧٨
- ١٤٩، ٨٤ * وَائْتَارُ وَالسَّارِقَةُ نَاقُطُوا أَيْدِيَهُمَا . . . الآية (٣٨)
٢٣٣، ٢٢٩
- ١٨٠ * وَمَنْ أَحْسَنُ مِمَّنِ اللَّهُ يُحْكُمُ الْقَوْمَ يَوْمَئِذٍ . . . الآية (٥٠)
- ٢٠٦ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ . . . الآية (٨٣)
- ٢٠٧ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ . . . الآية (٨٤)
- ١١٨، ٩٩ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ . . . الآية (٩٠)

- ٤١ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ ... الآية (٩١)
- ٩٩ * فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ... الآية (٩١)
- ٩٣، ٢٥ * لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ ... الآية (٩٣)
- ٢٤٩ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ... الآية (١٠١)
- ٥٤ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ ... الآية (١٠٦)
- ٥٦ * نَبَأٌ غَرَبَ عَلَى أَنَّهَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ... الآية (١٠٧)
- سورة الأنعام : رقم (٦)
=====
- ٢٣ * قُلْ مَوَاقِدُ رُطَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ مَذَابًا ... الآية (٦٥)
- ٢٣ * انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ... الآية (٦٦)
- ٢٣ * وَكَذَّبَ بِقَوْلِكَ ... الآية (٦٧)
- ١٦٣، ٢٣ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ... الآية (٨٢)

- ٥٢ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ... الآية (٩٣)
- ٣٠ * وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِ ... الآية (١٢١)
- ١٢٦ * تِلْكَ الْأَشْجِدُ الَّتِي هِيَ أَوْحَى إِلَى مَحْرَمٍ ... الآية (١٤٥)

سورة الأنفال : رقم (٨)
=====

- * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا ... الآية ١٠١
- ٨٤ * وَأَذِيعُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ... الآية (١)
- ١٨٢ * إِذَا تَشَاتَرَيْتُمْ فِي شَيْءٍ فَاذْكُرُوا ... الآية (٩)
- ٢٦ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُخْذَّ بِهِنَّ ... الآية (٣٣)
- ١٨٠ * مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ... الآية (٦٧)

سورة التوبة : رقم (١٩)

=====

- ١٥٩ * أَجِدَلْتُمْ سِتَايَةَ السَّحَابِ ... الآية (١٩)
- ١٣٢ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ اقْذَن لِّي ... الآية (٤٩)
- ١٣٣ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ... الآية (٥٨)
- ٥٨ * يَا لَيْتَنَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ ... الآية (٦٢)
- ٢٠٨ * وَلَقَدْ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا نَعْمُونَ ... الآية (٦٥)
- ٢٧١ * يَحْلِنُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ... الآية (٧٤)
- ٢٣١ * الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ ... الآية (٧٩)
- ٢٧٠ * لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ ... الآية (٩١)
- ١٨٥ * سَيُخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ ... الآية (٩٥)
- ٢٠٣ * وَالسَّائِدُونَ الْأَوَّلُونَ ... الآية (١٠٠)
- ١١٢ * وَأَخْرَجُوا اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ... الآية (١٠٢)
- ١١١ * خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ... الآية (١٠٣)

سورة يونس : رقم (١٠)

=====

١١٩ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُسْمِعُونَ . . . الآية (٦٧)

سورة شود : (١١)

=====

٨٧ * وَلَقَدْ أُنْزِلْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ . . . الآية (٨)

٢٩٥ * وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ . . . الآية (٨٨)

١٠٧٠ ٨٧ * وَأَتِمِّ الصَّلَاةَ . لِرَفَى الْفَهَارِ . . . الآية (١١٤)

سورة الرعد : رقم (١٣)

=====

١١٩ * إِنَّ نِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . . . الآية (٣)

سورة العجور : رقم (١٥)

=====

٨٨ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ . . . الآية (٢٤)

٨٩ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ . . . الآية (٤٢)

٨٨ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . . . الآية (٤٥)

سورة النحل : رقم (١٦)

=====

- ١١٩ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . الآية (١٢)
- ٢١٠ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ . الآية (١٠٣)
- ٢١٢، ٢٢١ * ... لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُ مِنَ الْيَمِينِ . الآية (١٠٣)
- ٢١٢ * إِنَّمَا يَخْشَى الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ . الآية (١٠٥)
- ٢١٤، ٢١٣ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا . الآية (١١٠)
- ٢٦٧، ٢٢٦ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ نَحْاِقِبُوا . الآية (١٢٦)
- سورة الاسراء : رقم (١٧)
- =====
- ١٢٠ * وَآتَاكَ الْقُرْآنُ حَقَّهُ . الآية (٢٦)
- ١٢٠ * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا فِي غَوَاةٍ الشَّيَاطِينِ . الآية (٢٧)
- ١٢٠، ٨٩ * وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ نَفْسِكَ . الآية (٢٩)

٥٢ * وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ... الآية (٣١)

* وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْنَى... الآية (٣٢)

٨٩ * وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ... الآية (٤٥)

٢٤٦، ٢٣٥ * وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي... الآية (٨٥)
٢٠٠، ٢٥٩ * وَمَا أَوْثَقَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قُلُوبُكُمْ... الآية (٨٥) ص (٩٤)

سورة الكهف : رقم (١٨)
=====

١ * وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا... الآية (٧٤)

١ * نَاتَّبَعِ سَبَبًا... الآية (٧٥)

٢٥٨ * قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا... الآية (١٠٩)

سورة مريم : رقم (١٩)
=====

١٦١ * جَنَّاتٍ عِدْنٍ... الآية (٦١)

١٦٠ * وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ... الآية (٦٤)

١٣٤ * أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا... الآية (٧٧)

سورة طه : رقم (٢٠)

=====

١١٩ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى - الآية (٢٨)

سورة الأنبياء : رقم (٢١)

=====

٨٨ * اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ . . الآية (١)

١٠١ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ - الآية (١٠٢)

سورة الحى : رقم (٢٢)

=====

١ * نَظِيمٌ دُّدٌ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ . . الآية (١٥)

١٣٥ * كَذَانٍ خُضَّاعٍ اخْتَضَعُوا . . الآية (١٩)

١١٤ * كَوَّادُنْ فِي النَّاسِ بِالسَّعْجِ . . الآية (٢٧)

١١٤ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ . . الآية (٢٨)

١٥٥ * وَمَا جَعَلْ فَلْيُكْمِ فِي الدِّينِ مِنْ حَسَنٍ . . الآية (٢٨)

سورة المؤمنون : رقم (٢٣)

*

=====

١١١ * قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الآية (١)

١١١ * الَّذِينَ هُمْ رِزْقُ صَلَاتِهِمْ غَاشِقُونَ . الآية (٢)

١١١ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . الآية (٣)

١١١ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . الآية (٤)

سورة النور : رقم (٢٤)

=====

١٢٣ * الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا . . . الآية (٢)

٢١٦ ، ٢١٥ * الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً . . . الآية (٣)

١٤٠ ، ١٢٤ ، ٣٣ * وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ . . الآية (٦)

١٤٩ ، ١٤٣

٢٦٤ ، ٢٦١

١٢٤

* وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ . . الآية (٧)

٢٦٢ ، ١٢٤

* وَيَذَرُ عَنْهَا الضَّغَابَ . . . الآية (٨)

١٢٤

* وَالْخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا . . الآية (٩)

١٢٤ * وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ... الآية (١٠)

١٣٦ ٥٩ * إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ... الآية (١١)

١٣٥ * وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ... الآية (٢٢)

١٦٢ * وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَى الْبِخَاءِ... الآية (٣٣)

سورة القصص : رقم (٢٨)

=====

٢١٨ * وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ... الآية (٥١)

٢٠٧ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ... الآية (٥٤)

سورة الممتحنة : رقم (٢٩)

=====

٢١٣ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ... الآية (١٠)

١٠٧ * إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ... الآية (٤٥)

سورة لقمان : رقم (٣١)

=====

١٣٦ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ... الآية (٦)

١٦٣ * إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ... الآية (١٣)

سورة السجدة : رقم (٣٢)

=====

٢٢٠ * تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ مِّنَ الْمُضَاجِعِ . . الآية (١٦)

سورة الأحزاب : رقم (٣٣)

=====

١٣٧ * مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا . . الآية (٣)

٢٧٤ * إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ . . الآية (٣٥)

٢٣٩ * وَتُخَفِّفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ . . الآية (٣٧)

سورة الزمر - رقم (٣٩)

=====

٢٢٣ * قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا . . الآية (٥٣)

سورة فاطر : رقم (٤٠)

=====

١٠٥٠١٠٤ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ . . الآية (١٠)

١٠٥ * قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا اِثْنَتَيْنِ . . الآية (١١)

١٠٥ * ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ . . الآية (١٢)

١ * كَذَلِكِ ابْلُغِ الْأَسْبَابَ . الآية (٣٦)

١ * أَسْبَابِ السَّفَوَاتِ . . الآية (٣٧)

سورة الشورى : رقم (٤٢)

=====

١٠١ * اللَّهُ لَطِيفٌ بِحِبَادِهِ . . . الآية (١٩)

١٩٠ * قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا . . . الآية (٢٣)

سورة الاحقاف : رقم (٤٦)

=====

١٩٢ * قُلْ كُأَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . . . الآية (١٠)

١٢٩ * وَالَّذِي قَالَ لِبَوْلَدِهِ أَفْلَحَ لَكُمَا . . . الآية (١٢)

سورة الفتح : رقم (٤٨)

=====

* إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . الآية (١)

١٩٦ * يُبْدِ نَزْلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جُنَاتٍ . . الآية (٥)

سورة الحجرات : رقم (٤٩)

=====

١٦٧ ، ١٦٦ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ . . . الآية (٢)

سورة القمر : رقم (٥٤)

=====

١٩٧ * اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ . الآية (١)

١٩٧ * وَإِنْ كَرِهُوا آيَةً يُصْرُفُوهُنَّ . الآية (٢)

سورة الواقعة : رقم (٥٦)

=====

١٦٨ * فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . الآية (٧٥)

١٦٨ * وَتَبَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ . الآية (٨٢)

سورة المجادلة : رقم (٥٨)

=====

* كَذَّابٌ أَفْعَى . الآية (١)

٢٧ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا . الآية (١٤)

٢٧٢ * فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ . الآية (١٨)

سورة الممتحنة : رقم (٦٠)

=====

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي ... الآية (١) ٢٠١٠٢٠٠

* إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ ... الآية (٤) ٢٠٠

* رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ... الآية (٥) ٢٠٠

سورة الجمعة رقم : (٦٢)

=====

* ذَلِكَ نَزَّلُ اللَّهُ يُوتِيهِ مِنْ شَاءٍ ... الآية (٤) ٢٢١

سورة التذابين : رقم (٦٤)

=====

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ... الآية (١٤) ٢٢٤٠٧٦

سورة الدقاق : رقم (٦٥)

=====

* وَاللَّائِي يَئِشْنَ مِنَ الْمُحْضِرِ ... الآية (٤) ٧٥

سورة الملك : رقم (٦٧)

=====

* وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ... الآية (١٠) ١١٩

سورة عبس : رقم (٨٠)

=====

* عَبَسَ وَتَوَلَّى ... الآية (١) ١٣٩

* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ... الآية (٢) ١٣٩

سورة البلد : رقم (٩٠)

=====

٥٧ * أَكْأَنفُسُهُمْ بِهِذَا الْبَلَدِ . الآية (١)

٥٧ * وَأَنْتَ حَكِيمٌ بِهِذَا الْبَلَدِ . الآية (٢)

٥٧ * زَوَالِدُهُمْ وَمَا وَكَّدَ . الآية (٣)

٥٧ * لَقَدْ عَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ . الآية (٤)

٥٧ * أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . الآية (٥)

٥٧ * يَقُولُ أَفُلَكْتُ مَالًا لُبَدًا . الآية (٦)

٥٧ * أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَوْهُ أَحَدٌ . الآية (٧)

سورة الليل : رقم (٩٢)

=====

١٤٤ * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . الآية (٥)

١٤٤ * وَسَيَجْزِيهَا الْآتَى . الآية (١٧)

١٤٤ * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى . الآية (١٨)

١٤٤ * وَمَا كَرِهَ غِنَاهُ مِنْ نِعْمَةٍ تَجَزَّى . الآية (١٩)

١٤٤ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . الآية (٢٠)

سورة الضحى : رقم (٩٣)

=====

٢٥٥ * وَالضُّحَى . الآية (١)

٢٥٥ * وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى . الآية (٢)

٢٥٥ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى . الآية (٣)

فهرس الأحاديث
=====

الصفحة	الحديث
٢١٠٢٠	* (كعب بن عجرة) : حُملتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ...
٢٣	* (زيد بن أسلم) : لا ترجعوا بعدى كفارا ...
٢٤	* (عائشة) : أنزلت هذه الآية في الأنصار ...
٦٩٠٢٥	* (أنس بن مالك) : كنتُ ساقى القوم ...
٢٦	* (أنس بن مالك) : قال أبو جهل : اللهم ...
٢٨	* (سعيد بن جبير) : أقبلت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ...
٢٨	* (سعيد بن جبير) : أقبلت يهود إلى رسول الله فقالوا ...
٣٠	* (عكرمة) : إنَّ المجوس من أهل فارس ...
٣١	* (ابن عباس) : نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي ...
٣٦	* (عبد الله بن عمر) : يا جبريل ، لِمَ اتَّعَذَّ اللهُ إبراهيمَ خليلًا ؟
٦٣	* (ابن عمر) : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي ...
٦٤	* (عروة بن الزبير) : سألتُ عائشة رضى الله عنها ...
٦٦	* (ابن عباس) إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود ...
٦٧	* (ابو سعيد الخدري) : إن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله ...
٧٥	* (أبي بن كعب) : لما نزلت الآية التي في سورة البقرة ...
٧٦	* (ابن عباس) : هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة ...
٨٥	* (ابن عباس) : إن الله تعالى لما ضرب مثلين للمنافقين ...
٨٥	* (ابن عباس) : كان الرجل منهم يقول ليصبره ...
٨٦	* (ابن عباس) : إن أقواما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زعموا ...
٨٦	* (الحسن البصري) : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم راهبا فمجان ...

- * (أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ) : لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ أُوطَاسٍ . . . ٨٧
- * (أُمُّ سَلَمَةَ) : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَفَرُّوا الرِّجَالُ وَلَا نَفَرُوا . . . ٨٧
- * (قَتَادَةُ) : لَمَّا نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : " اقْتَرِبْ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ " . . . ٨٨
- * (ابْنُ مَسْعُودٍ) : إِنْ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً . . . ١٠٨ ، ٨٨
- * (ابْنُ عَبَّاسٍ) : إِنْ امْرَأَةٌ حَسَنَاءٌ كَانَتْ تُصَلِّي . . . ٨٩
- * (سَلْمَانَ الْفَارِسِيُّ) : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ . . . ٨٩
- * (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ) : إِنْ فَلَانًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . . ١٢٠ ، ٩٠
- * (ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ) : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَلَا الْقُرْآنَ . . . ٩٠
- * (أَبُو هُرَيْرَةَ) : قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَالنَّاسُ يَشْرِبُونَ . . . ٩٨
- * (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا . . . ٩٩
- * (ابْنُ عَبَّاسٍ) : لَمَّا نَزَلَتْ وَإِنْ كُنْتُمْ وَآلَاءُ . . . ١٠٦
- * (مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ) : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ . . . ١٠٧
- * (أَبُو الْيَسَرِّ) : اتَّعْنِي امْرَأَةٌ تَبْتَاعُ تَمْرًا . . . ١٠٨
- * (عَائِشَةُ) : سَقَلَتْ قِلَادَةً لِي بِالْبَيْدَاءِ . . . ١١٠
- * (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) : كَانَ إِذَا نَزَلَ الْوَحْيُ . . . ١١١
- * (ابْنُ عَبَّاسٍ) : نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ كَانُوا قَدْ تَخَلَّفُوا . . . ١١١
- * (عُكْرِمَةُ) : لَمَّا نَزَلَ " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا " . . . ١١٥
- * (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ) : إِنْ حَيَّيْنِ مِنَ الْعَرَبِ اقْتَتَلُوا . . . ٢٤٠ ، ١١٦
- * (سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ) : أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ . . . ١١٨

- ١١٩ * (ابن عباس) : إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين . . .
- ١٢١ * (سَيَّارُ أَبُو الْحَكَم) : أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرٌّ .
- ١٣٠ * (السُّدِّيُّ) : أَقْبَلَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ . . .
- ١٣١ * (سَمِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ) : أَقْبَلَ صُهَيْبٌ مُهَاجِرًا . . .
- ١٣٢ * (عُكْرَمَةُ) : جَاءَ حُجَيْبُ بْنُ أَطْطَبٍ وَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ . .
- ١٣٣ * (ابن عباس) : لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ . .
- ١٣٣ * (أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ) : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ قَسْمًا . .
- ١٣٤ * (ابن عباس) : إِنْ الْمَشْرِكِينَ أَخَذُوا عَمَارًا وَأَبَاهُ يَاسِرًا . .
- ١٣٤ * (خُبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ) : كَانَ لِي دَيْنٌ عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ . .
- ١٣٥ * (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) : نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ . .
- ١٣٦ * (عَائِشَةُ) : فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ فِي بَرَاءَتِي قَالَ الصَّدِّيقُ . .
- ١٣٦ * (ابن عباس) : نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ ، اشْتَرَى قَيْنَةً . .
- ١٣٧ * (أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ) : فَابْعَى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ . . .
- ١٣٨ * (عَائِشَةُ) : تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ . . .
- ١٣٩ * (عَائِشَةُ) : أَنْزَلْتُ عَبْسًا وَتَوَلَّى فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ . .
- ١٤٥ * (عبد الله بن الزبير) : إِنْ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِّيقُ أَغْتَقَ سَبْعَةَ . . .
- ١٤٥ * (ابن عباس) : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ أَبَا بَكْرٍ . . .
- ١٥٥ : * (الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ) : كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ . . .
- ١٥٦ * (أَبُو هُرَيْرَةَ) : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ . . .

- ١٥٨ (وسعيد الخدري) : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حَنْزَلٍ بَحَثَ . . .
- ١٥٩ (النعمان بن بشير) : كُنْتُ مَعَهُ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ
- ١٦٠ (ابن عباس) : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَجَبْرِيلَ : مَا يَمْنَعُكَ . . .
- ١٦٢ (جابر بن عبد الله) : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْ سُلُوفٍ يَقُولُ لَجَارِيَةٍ لَهُ . . .
- ١٦٣ (عبد الله بن مسعود) : لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْكَافِرِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ . . .
- ١٦٥ (أبو وائل) : كُنَّا بِصِفِّينَ فَقَالَ رَجُلٌ . . .
- ١٦٧ (ابن أبي مليكة) : كَادَ الْخَيْرَانِ أَنْ يَهْلِكَ . . .
- ١٦٨ (ابن عباس) : مَطَرُ النَّاسِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ . . .
- ١٦٩ (مهان بن أمية) : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَضَعًا . . .
- ١٧٠ (صفوان بن يحيى) : أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِالْجِعْصِرَانَةِ . . .
- ١٧٢ (أبو حنيفة شريك) : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحُسْفَانَ . . .
- ١٧٤ (عبد الله بن عمر) : فَزُوِّجْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ نَجْدٍ . . .
- ١٧٤ (عبد الله بن عمر) : كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ صَلَاةِ الْخَوْفِ قَالَ : يَتَقَدَّمُ الْإِمَامُ . . .
- ١٧٨ (أنس بن مالك) : فَبَحَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلَبِهِمْ . . .
- ١٧٨ (أنس بن مالك) : قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفَرٌ مِنْ عُكْلٍ . . .
- ١٨١ (ابن عمر) : اسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَسَارِ . . .
- ١٨٢ (ابن عمر) : لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ
- ١٨٦ (كعب بن مالك) : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَبُوكَ . . .

- ١٨٧ * (كعب بن مالك) : لم أتخلف من رسول الله صلى الله عليه وسلم
في فزوة فزاهما
- ١٩٠ * (ابن عباس) : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن
بطن من قريش إلا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة . . .
- ١٩٢ * (عوف بن مالك) : انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه . .
- ١٩٤ * (انس بن مالك) : إن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي . . .
- ١٩٥ * (سميد بن أبي وقاص) : ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
لأحد يمشى
- ١٩٦ * (أنس بن مالك) : نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم مَرَجَعَهُ
من الحديدية
- ١٩٧ * (أنس بن مالك) : لما نزلت "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا" . .
- ١٩٨ * (أنس بن مالك) : سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية . . .
- ١٩٨ * (أنس بن مالك) : سأل أهل مكة أن يُريهم آية . . .
- ٢٠٠ * (ابن عباس) : نزل في مكتبة حاطب بن أبي بلتعة . .
[على به أبي طالب]
- ٢٠١ * (ابن عباس) : نزلت هذه الآية "إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ"
- ٢٠٦ * (عبد الله بن الزبير) : نزلت في النجاشي وأصحابه "وَإِذَا
سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ"
- ٢٠٨ * (عبد الله بن عمر) : قال رجل في فزوة تبوك في مجلس يومًا . . .

- * (عبد الله بن مسلم الحضرمي) : كان لهم عبدان من أهل فيرا اليمن . . ٢١١
- * (ابن عباس) : كان قوم من أهل مكة أسلموا . . ٢١٣
- * (محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص) : كان رجل يقال له
مُرَدَّد بن أبي مُرَدَّد ٢١٥
- * (يحيى بن جعدة) : نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم . . . ٢١٨
- * (رفاعة القرظي) : نزلت هذه الآية في عشرة أرهط . . . ٢١٨
- * (أنس بن مالك) : نزلت في انتظار الصلاة التي تدمي العتمة . . ٢٢٠
- * (عمر بن الخطاب) : كنا نقول : ما لِمُفْتَتِنِ توبة . . ٢٢٢
- * (ابن عباس) : هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة . . . ٢٢٤
- * (البراء بن عازب) : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى
إلى بيت المقدس . . ٢٢٩
- * (البراء بن عازب) : لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء . . ٢٣٠
- * (البراء بن عازب) : كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أَتَوْا
البيت من ظهره ٢٣٠
- * (أبو مسعود) : لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل . . . ٢٣٠
- * (جابر بن عبد الله) : مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ٢٣٤
- * (عبد الله بن مسعود) : بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرْثٍ ٢٣٥ ، ٢٥٦
- * (جابر بن عبد الله) : فِينَا نَزَلَتْ " إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا
وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا " ٢٣٨
- * (أنس بن مالك) : نزلت في شأن زينب بن جحش وزيد بن حارثة . . ٢٣٩

- ٢٤١ * (عكرمة) : نزلت هذه الآية في أبي رافع وكنانة . . .
- ٢٤٣ * (عروة بن الزبير) : خاصم الزبير رجلا من الأنصار
- ٢٤٨ * (أنس بن مالك) : أنَّ اليهود كانوا إذا حاضت المرأة . . .
- ٢٤٩ * (أنس بن مالك) : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .
- ٢٥٤ * (جندب بن صفيان) : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم . .
- ٢٥٥ * (جدة حفص بن ميسرة) : ان جَزُوا دَخَلَ بيت النبي صلى الله عليه وسلم . . .
- ٢٥٨ * (ابن عباس) : قالت قريش لليهود : أعطونا شيئا . .
- ٢٥٩ * (ابن عباس) : قالت قريش لليهود . . .
- ٢٦١ * (ابن عباس) : أنَّ هلال ابن أمية قذف امرأته . . .
- ٢٦٢ * (سهل بن سعد) : ان عويمرا أتى عاصم بن عدى . . .
- ٢٦٦ * (أبو هريرة) : لَأَمَثَلُنَّ بِسَبْحِينَ مِنْهُمْ مَكَانَكَ . .
- * (أبي بن كعب) : لَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ أُصِيبَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْحَمَاءُ
- ٢٦٧ وستون
- * (زيد بن ثابت) : انَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٢٦٩ أَمَلَى عَلَيْهِ
- ٢٧٠ * (زيد بن ثابت) : كَتَبْتُ أَكْتُيبُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . .
- * (ابن عباس) : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا
- ٢٧١ فِي نَاحِيَةِ شَجَرَةٍ

- ٢٧٢ * (ابن عباس) : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا
في ظل حجرة
- ٢٧٣ * (أم سلمة) : يا رسول الله : لا اسمع الله ذكر النساء . . .
- ٢٧٤ * (أم سلمة) : يهزوا الرجال ولا تهزوا النساء
- ٢٧٤ * (أم سلمة) : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَذْكُرُ الرِّجَالَ وَلَا تَذْكُرُ
النِّسَاءَ

فهرس الاعلام

=====

(ابن)

* ابن ابي جريح (هشام) ٢٤١

* ابن ابي حاتم ١٩ ٢٣٠ ٣١٠ ١٦٩٠ ١٧١٠ ١٧٢٠ ٢٠٤٠ ٢٠٨٠

٢٤٠ ٢٢٠٠

* ابن ابي شيبة (عبدالله بن محمد) ٢٥٥

* ابن ابي عدي (محمد بن ابراهيم) ٢٦١

* ابن ابي عمر (محمد بن يحيى العدني) ٢٧٣ ٢٧٤

* ابن ابي مليكة (عبدالله) ٦٦ ١٦٧٠

* ابن ابي نجيع (عبدالله بن يسار) ٢٠٠ ٢١١٠ ٢٧٤٠

* ابن اسحاق (احمد بن اسحاق السلمي) ٣٣ ١٦٥٠

* ابن ام مكتوم (عبدالله) ١٣٩ ٢٦٩٠ ٧٧٠ ١٤٦٠ ٢٣٧٠

* ابن جريح (عبدالملك بن عبدالعزيز) ٣٣ ٦٦٠

* ابن الجوزي (عبدالرحمن بن علي) ١١ ١٤٠ ١٥٠ ٢٨٠٠

* ابن حبان ١٩ ٢١٤٠

* ابن حجر العسقلاني (احمد بن علي) ١٤ ٢٦٠ ٣٤٠ ٥٩٠ ١٦٤٠ ١٦٦٠

١٧١ ١٧٢٠ ١٧٦٠ ١٩١٠ ٢٠٤٠ ٢٠٥٠ ٢٤٤٠ ٢٤٥٠ ٢٤٦٠ ٢٥٦٠ ٢٥٩٠

* ابن حكيم القاضي ١٠

* ابن خلدون ٢٢

* ابن دقيق الصيد ٦٢٠٤٤

* ابن السديح الشيباني (عبدالرحمن بن طلي) ٢٦٧

* ابن شهاب الزهري ٢٨٠٦٤٠١٧٤٠١٨٦٠١٨٧٠٢٤٣٠٢٦٢٠٢٦٩

* ابن الصلاح (عثمان بن عبدالرحمن) ٤٥

* ابن عباس (عبدالله) ٢٦٠٢٨٠٣٠٠٣١٠٣٩٠٦٠٧٦٠١١١

* ١١٩٠١٦٠١٦٨٠١٨١٠١٨٣٠١٩٠١٩١٠٢٠٠٢٠٤٠٢٠٥

* ٢١١٠٢١٣٠٢٢٤٠٢٥٨٠٢٦٢٠٢٧١٠٢٧٢

* ابن عمر (عبدالله) ٣٠٠٦٣٠١٧٤٠١٧٥٠١٨١٠٢٠٨٠٢٠٩

٢٢٢

* ابن طية (اسماعيل بن ابراهيم) ٧

* ابن عيينة (سفيان) ٧

* ابن كثير (اسماعيل) ١٦٠٢٢٠٠٢٢٤

* ابن كثير (عبدالله) ٢٧٠

* ابن ماجه (محمد بن يزيد) ٧٠١٤٣

* ابن المبارك (عبدالله) ٣٣٠١٨١

* ابن المديني (طلي) ٧٠١٤٠١٥٠١٦٠٢٨٠

* ابن مردويه ١٩

* ابن مسعود (عبدالله) ٥٠١٤٠١٥٠١٦٠٢٨٠

* ابن مزين ٣٠ ، ٢١٤٠

* ابن المنذر ١٩

* ابن وهب ١٨٦

(ابو)

* ابو احمد الزبيرى ٢٠٤ ، ٢١٣

* ابو اسحاق (عمرو بن عبد الله السبيعي) ١٥٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠

* ابو بكر بن ابي شيبة ٢٥ ، ١٦٢

* ابو بكر الصديق ١١ ، ٥٩ ، ١١٠ ، ١٣٦ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٨٢

٢٣٤

* ابو بكر بن عبد الرحمن ٦٤ ، ٦٥

* ابو توبة (الربيع بن نافع) ١٥٩

* ابو جهل (عمرو بن هشام) ٢٦ ، ١٣٩

* ابو الحسن السراج (محمد بن الحسن) ٢٠ ، ٣٦

* ابو داود (سليمان بن الاشعث) ٧ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٧

* ابو رافع ٢٤١

* ابو زرعة ٣٠ ، ٢١٤٠

* ابو زميل (سماك بن الوليد الحنفي) ١٦٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣

* أبو زهرة (محمد) ٢٢٨٠١٤١٠٨٢٠٨١٠٨٠٠٧٩

* أبو سعيد الخدري ١٥٨٠٦٧

* أبو سعيد النضوي ٣٦

* أبو سليمان [الدكتور عبد الوهاب إبراهيم]

* أبو شعبة (محمد بن محمد) ١٤٣٠٧٠٠٣٠٠٥٠٤

* أبو الشيخ ١٩

* أبو صالح (باذام) مولى أم هانئ * ٣٣٠٣٢٠٣١

* أبو طلحة (زيد بن سهل بن الأسود) ٦٩٠٢٥

* أبو العالية (ربيع الرياحي) ٢٦٧

* أبو عقيل الانصاري (حثاق) ٢٣٠

* أبو علقمة الهاشمي (١٥٨)

* أبو علي بن نيهان ٩

* أبو عمرو بن العلاء * ٢٧٠:

* أبو عوانة (الوضاح بن عبد الله) ٣٣

* أبو عياش الزرقى (زيد بن عياش) ١٧٢

* أبو القاسم بن هبة الله بن سلامة ١٦

* أبو قحافة (عثمان بن عامر التميمي) ١٤٥

* أبو قلابة الجرمي (عبد الله بن زيد) ١٧٨٠١٧٧

- * أبو كُريب الهمداني (محمد بن العلاء) ١٦٢
- * أبو كُبابة (بشير بن عبد المنذر) ١١٢٠٥١
- * أبو مسعود البدرى (عقبة بن عمرو) ٢٣٠
- * أبو العطف الاندلسى ١٥٠١٤٠٨
- * أبو معاوية الضربى (محمد بن خازم) ١٦٢٠٣٣
- * أبو نصر الشيرازى ٩
- * أبو نصر المخلدى ٢٠٠
- * أبو النضر مولى عمر بن عبد الله ١٩٥
- * أبو النعمان (محمد بن الفضل) ٢٦
- * أبو نعيم (الفضل بن دكين) ٢٢٩٠١٧٠٠١٦٠٠٥٩٠٢٨
- * أبو هريرة (عبد الرحمن) ٢٦٦٠١٥٦٠٧٠٠٣٠
- * أبو وائل (شقيق بن سلمة) ٢٣٠٠١٦٥
- * أبو الوليد الدليالى (صيد سنوطا) ١٦٣٠٢١
- * أبو ياسر بن الجطب ٥١
- * أبو اليسر (كعب بن عمر) ١٠٨
- * أبو يحيى ١٩
- * أبو اليمان (الحكم بن نافع) ٧٤٠٦٤

(أ)

- * أم سلمة (هند بنت أبي أمية) أم المؤمنين ٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٣
* أم هانئ بنت أبي طالب ٥٣ ، ٣٢

(الهجرة)

- * إبراهيم بن اسعد ٢٦٩
* إبراهيم بن اسماعيل القاري ٢٢٢
* إبراهيم بن الحسين ٢١١ ، ٢٠٠
* إبراهيم بن مهاجر ١٨١
* إبراهيم بن موسى ٦٦
* إبراهيم بن يزيد النخعي ٢٥٧ ، ٢٣٥ ، ١٦٤ ، ١٦٣
* إبراهيم بن يوسف ٢٣٠
* أبي بن خلف ١٣٩
* أبي بن كعب ٢٦٧ ، ٧٥
* أحمد بن أبي أياس ٢١
* أحمد بن حنبل ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٧٣ ، ١٧٢ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ١٩ ، ١١
٢٧٢ ، ٢٣٧ ، ١٩٦ ، ١٩٠

- * أحمد بن عثمان ٢٣٠
- * أحمد بن منصور الرمادي ٢١٣، ٢٠٤
- * أحمد بن النضر ٢٦
- * أحمد بن يونس ٢٥٤
- * الأخفس بن شريق ١٣٠
- * أدريئال الروماني ٤٠
- * آدم بن أبي إياس ٢١١، ٢٠٠
- * إسحاق بن راهوية ٢٤٤
- * إسحاق بن يوسف الأزرق ٢٦٢
- * إسرائيل بن يونس ١٥٤، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٧١
- * أسلم (مولى عمر بن الخطاب)
- * إسماعيل بن عبد الله ٢٦٩
- * الأسنوي (جمال الدين) ١٦
- * الأسود بن قيس ٢٥٤
- * أسيد بن حضير ١١٠، ٢٤٨
- * الأعشى (سليمان بن مهران) ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ٢٤٠، ٢٣٥
- ٢٧٠، ٢٥٧
- * الأقرع بن حابس ١٦٧
- * الألوسي (السيد محمد) ٧٢

* أمية بن بسطام الصيشي ١٥٦ :

* أمية بن خلف ١٣٩

* أنس بن مالك ٢٥، ٢٦، ٦٩، ١٣٧، ١٧٧، ١٧٨، ١٩٤، ١٩٦،

١٩٧، ١٩٨، ٢٢٠، ٢٣٩، ٢٤٨

* أنس بن النضر ١٣٧

* الأوزاعي (عبد الرحمن بن عمرو) ١٧٧، ١٧٨، ٢٦٢،

* أوس بن خدام ١١٢

* أوس بن الصامت ١٤٩

* أيوب بن إسحاق ٢٧١

(البسـاـة)

* البخاري (محمد بن اسماعيل) ٧، ١١، ١٦، ٢١، ٢٦، ٤٥، ٦٤،

٦٦، ٦٧، ٦٩، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١٥٤، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٥،

١٦٧، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٧، ١٨٨، ١٩١،

١٩٣، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٧،

٢٤٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٨٠،

* بَيْهَقَنَصْرُ الْهَابِلِي ٣٨، ٣٩، ٤٠،

* بُدَيْلُ بْنُ أَبِي مَارَةَ ٥٤، ٥٦،

* بُدَيْلُ بْنُ مَرْثَدَةَ

- * البراء بن عازب ٢٣٠، ٢٢٩، ١٥٥.
- * البزار (احمد بن سلمة) ٢٦٦، ٢٢٣، ٢١٤، ٢٠٦، ١٩.
- + البزْذَوِي (علي بن محمد بن الحسين) ٣٠٢.
- * بسرة بن صفوان ١٦٧.
- * بشر بن آدم ٢١٨.
- * بشر بن المفضل ١٩٤، ٧.
- * البندادي (اسماعيل) ٤٩.
- * بكر بن سودة ٢٣.
- * بكر بن شهاب ٢٨.
- * بلال بن رباح ١٤٥، ١٣٤.
- * البلقيني (سراج الدين) ١٦.
- * بُهْز بن اسد البصري ١٩٦.
- * البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي) ١١٦٦، ١٩.

(التاليف)

- * الترمذي (محمد بن عيسى) ١١٠٧، ٢٨٠، ٢٩٠، ٧٦، ١٠٨، ١٤٣.
- ٢٧٣، ٢٦٧، ٢٦٠، ٢٥٩، ٢٢٤، ٢٢٢، ٢٢٠، ٢١٧، ٢١٥، ١٩٨.
- * تميم بن أوس الداري ٥٥.
- * تميمة بنت وشب بن عتيك ٥٤.

(الشـ)

* ثابت بن اسلم البناني ١٣٩

* شعبة بن ربيعة ١١٢

* الشعلبي (احمد بن محمد) ٣١٠٩

* الثوري ١٧٢

(الجـ)

* جابر بن عبدالله ٢٣٨، ٢٣٤

* جبر (مولى عبدالله بن مسلم الحضرمي) ٢١١

* الجارود (عمرو بن المعلى) ٧٠، ٦٩

* الجد بن قيس ١٣٣، ١٣٢

٢٠٠، ٢٠١

* الجعبري (ابراهيم بن عمر) ٢٨١، ١٥٠، ١٤٠، ١٢

* جندب بن سفيان ٢٥٤

(الحاء المعطية)

* حاتم بن وردان ٧

* الحارث بن عمرو بن نوفل ٥٧

* حاطب بن أبي بلتعة ٢٠١

* الحاكم أبو عبد الله ٢٦٠٢٧٠٤٥٠٧٥٠١٨١ ٢٠٠٠١٨٤ ٢١١٠٢٠٠

٢١٧٠٢٢٢٠٢٢٤٠٢٦٧٠٢٧٣

* حامد بن عمر ١٩٤

* حبيب بن ثابت ١٥٦

* حُدَّيْ بن أَخطَب ٥١

* الحريري (صاحب المقامات) قاسم بن علي ١٠٠٩

* حسان بن ثابت ٥٩

* الحسن بن الربيع ٢٢٢

* حسن بن علي الحلواني ١٥٩

* الحسن بن محمد بن علي ٢٠١

* حسن بن موسى ٢٧٢

* الحسين بن حريث (أبوعمار) ٢٦٧

* حُصَيْن بن الحارث ٥٩

* حُصَيْن بن عبد الرحمن ٢١٠

* حفص بن ميسرة ٢٥٥

* حماد بن زيد ١٣٩

* حماد بن سلمة ٣٣٠٢١٨

* حمزة بن عبد المطلب ١٣٥٠٢٦٦

- * عممة بنت جحش ٥٩
- * الحميدى (عبدالله بن الزبير بن عيسى) ٢٠١
- * حُصَيِّ بن أَخطاب ٢٤١، ١٣٢، ٥٣
- (الخاء المصجمة)
- * خالد بن الحارث ١٩٧
- * خالد بن الوليد ١٧٢
- * خباب بن الارت ١٣٥، ١٣٤
- * النَّضْرِيُّ (الشيخ محمد) ١٤١، ١٠٣، ٩٧، ٧٩
- * الخُدَّابى (احمد بن محمد بن ابراهيم) ١٧٧
- * الخطيب البغدادي (أحمد بن علي) ٢٦٥، ١١
- * الخليل بن أحمد ١٢
- * خولة بنت ثعلبة ١٤٩، ١٤٠، ١٣٨
- * غولة (خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم) ٢٥٥
- (السدال المعجمة)
- * الدارقطني ٢١٤، ١٩
- * داود بن أبي هند ٢٥٩، ٢٥٨، ٣١

(الذال المعجمة)

* الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان) ٢٠٦

* ذو الخويصرة التميمي ١٣٣

* (الراء المبهمة)

* الرازي (محمد بن عمر) ٧٢، ٧٣، ٧٤

* رافع (مولى مروان بن الحكم) ٦٦

* الربيع بن أنس ٢٦٧

* رفاعه بن عبد الرحمن القرظي ٥٤، ١٨٠

* رباح بن عباد ٢١٥

* رباح بن عباد ٢١٥

* رباح بن القاسم ١٥٦

(الزاي المعجمة)

+ الزاهد (سعيد بن محمد بن أحمد) ٢٨

* الزبير بن العوام ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦

* الزرقاني (محمد عبد العظيم) ٤٠، ٥٠، ١٤٧

* الزركشي (محمد بن عبد الله بن بهادر) ١٦، ٤٥، ٦١، ٦٧

* الزعفراني (سعيد بن محمد) ٨

* زهير بن حرب ١٨١

* زهير بن معاوية بن خديج ٢٧٢، ٢٢٩

* زيد بن أسلم ٢٣، ٦٧، ٢٠٨، ٢٠٩

* زيد بن التابوه ٥١

* زيد بن ثابت ٢٦٩، ٢٧٠

x زيد بن حارثة ٢٣٩

* زيد بن سلام ١٥٩

* زينب بنت جحش ٢٣٩

(الصين المهمة)

* سالم (مولى أبي خديجة) ١٣٤

* السدي الصغير (محمد بن مروان) ٢٦، ٣١، ٣٢، ٣٣، ١٩١

* السرخسي (محمد بن احمد بن ابي سهل) ٤، ٢

* سعد بن أبي وقاص ١١٨

* سعد بن اسحاق ٥٩

* سعد بن عباد ٣٤

* سعد بن معاذ ١٣٧

* سعيد بن أبي قروية ١٩٧

* سعيد بن أبي حروة ١٥٨

* سعيد بن أبي مریم ٦٧

* سعيد بن جبیر ٢٨، ٦٣، ١٦٠، ١٩٠، ١٩١، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٠

٢٧٢، ٢٧١، ٢٤١

* سعيد بن مسعود ٨١

* سفیان بن عیینة ٢٠١، ٢٠٢، ٢٣٤، ٢٧٣، ٢٧٤

* سلمان الفارسی ٨٩

* سلمة بن السائب ٣٢

* سامان بن بلال ٢٢٠

* سلیمان بن داود ١٩٠

* سماعة بن حرب ٢٢٤، ٢٧١، ٢٧٢

* سمیة بنت خیاط ١٣٤

* سهل بن حنیف ١٦٥، ١٦٦

* سهل بن سعد الساعدي ٢٦٢، ٢٦٩

* سويد بن سعد ٥٩

* السيد سابق ٢١٠٣

* السيد مصطفیٰ حسین ٢٦

* * * * * ١٨٠

- * السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) ١٢ ، ١٤ ، ١٦ - ١٨ ، ٢٤ ،
- ٢٧ - ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٦ - ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٨ ،
- ٦٠ ، ٦٢ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٦٩ ، ٢٠٨ ، ٢٢٦ ،
- ٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣

(الشين المعجمة)

- * الشافعي^٣ (محمد بن ادريس الامام) ١٢٦
- * شريك بن سحما^٤ ٢٦١
- * شريك بن عبد الله النخعي ٢٠٤ ، ٢٠٥
- * شريح بن مسلمة ٢٣٠
- * شعبان بن السائب ٣٢
- * شعبة بن الحجاج ٢٠ ، ٢٣ ، ١٩٠ ، ٢٣٠
- * شعبة بن عمرو ٥١
- * الشعبي (عامر بن شرا حنبل) ٢٤٤
- * شعيب بن محمد بن عبد الله ٢١٥
- * شعيب بن أبي حمزة ٦٤ ، ١٧٤
- * شلبي (الدكتور احمد) ٣٠٤

* شيبان بن عبد الرحمن النحوي ١٩٨

* الشيباني (الحسن بن أحمد ٢٨٤

* شيبة بن ربيعة ١٣٥

* الشوكاني (محمد بن علي بن محمد) ٨١٠٧٨

(الضاد المهملة)

* صالح بن كيسان ٢٦٩

* صالح ابوالخليل (بن أبي مريم) ١٥٨

* الصابوني (محمد علي) ١٢٣

* صبحي الصالح (الدكتور) ٢٨٣٠٤١٠٤٠٠٣٩٠٣٨٠٣٧٠٣٦٠٣٥

* الصَّغَار (أحمد بن محمد) ٨

* صفوان بن أمية ١٧١٠١٦٩

* صفوان بن يحيى ١٧١٠١٧٠

* طَر (السيد أحمد) ٢٨٢٠١٧٠١٤

* صهيب الرومي ١٣١

* الصَّيْبَرِي (عبد الله بن علي) ١٨٠

(الضاد المعجمة)

* الضباع (الشيخ علي محمد) ٢٩٦

* الضحالك بن مزاحم الهلالي ٣٠

* الضير (علي بن محمد) ٨

* ضرة بن جندب ٢٠٤ ، ٢٠٥

(الطاء المهملة)

* طاووس بن كيسان ١٩٠

* الطبراني (سليمان بن أحمد) ١٩ ، ١٧٢ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢١٨ ،

٢٥٥ ، ٢٥٦

* الطبري (محمد بن جرير) ١٩ ، ٢٦ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ،

٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،

٢٧١

* طائوس الرومي ٣٩

+ الخليل بن الحارث ٥٩

* طليب بن عمرو ٥٩

(العين المهملة)

* عائشة بنت أبي بكر الصديق ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٦٤ ، ١١٠ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٣٨

* عاصم بن أبي النجود ٢٧٠

* عاصم بن قتيبة ٢٦٢ ، ٢٦٣

* عاصم بن طلق ٢٠

الحاصي بن وائل ١٣٤، ١٣٥

* عامر بن سعد بن أبي وقاص ١٩٥

* عباد بن بشر ٢٤٨

* عباد بن المطلب ٥٩

* الحباس بن عبد المطلب ١٣٩

* عبد بن حميد ١٩٨، ٢١٥

* عبد الجليل النقشبندی ٤٩

* عبد الرحمن الاصفهاني ٢٠

* عبد الرحمن بن أبي بكر ١٢٩

* عبد الرحمن بن الحسن الأسدي ٢٠٠، ٢١١

* عبد الرحمن بن الزبير ٥٤

* عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ١٨٦، ١٨٧

* عبد الرحمن بن القاسم ١١٠

* عبد الرحمن بن محمد بن قطيس ٢٨٠

* عبد الرزاق بن همام ١٩، ١٧٢، ١٩٨

* * * * *

* عبد العزيز البخاري ٤٠٣

* عبد العزيز ^{بن} سياه ١٦٥

* عبد العزيز ^{بن} عبد الله الاوسعي ٢٢٠

- * عبد الله بن أبي زياد ٢٢٠
- * عبد الله بن أبي بن سلول ١٦٢، ٥٩، ٥٨، ٣١
- * عبد الله بن إدريس ٢٢٢
- * عبد الله بن رجا ٢٧٠
- * عبد الله بن الزبير ٢٠٦، ١٦٧
- * عبد الله بن سلام ١٠٩٦، ١٩٥، ١٩٤، ١٩٣
- * عبد الله بن عمرو بن العاص ٥٦
- * عبد الله بن كعب بن مالك ١٨٧، ١٨٦
- * عبد الله بن مسلم الحضرمي ٢١١
- * عبد الله بن معاذ ٢٦
- * عبد الله بن محقل ٢٠
- * * * * *
- * عبد الله بن الوليد ٢٨
- * عبد الله بن وهب ٢٠٨، ٧
- * عبد الله بن يوسف ١٩٥، ١٧٤، ٢٥
- * عبد الملك بن أبي سليمان ٦٣
- * عبد الملك بن ميسرة ١٩٠
- * عبيد الله بن أبي رافع ٢٠١
- * عبيد الله بن الأخنس ٢١٥

✻ عبدة الله بن زحر ٢٣

✻ عبدة الله بن موسى ١٥٤، ١٨١، ٢٣٠

✻ عبدة بن الحارث ٥٩، ١٣٥

✻ عبدة بن ربيعة ١٣٥، ١٣٩

✻ عثمان بن سعيد الدارمي ٢٢٢

✻ عثمان بن مظعون ٧٠

✻ عدي بن بدا ٥٥

✻ العراقى (محمد بن أسعد) الحكيمى ١٤، ١٥، ٤٩، ٥٠، ٥٨، ٥٩

٢٨٤، ٢٨٣، ٦٠

✻ عروة بن الزبير ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٢٤٣

✻ العسكري (بشر بن خالد) ١٦٣، ٢٣٠

✻ عطاه بن ابى رباح ٢٦، ٣٩، ١٧٠

✻ عطاه بن يسار ٦٧

✻ عثمان بن مسلم ٢١٨

✻ عقيل بن ابى طالب ١٨٣

✻ هكوة البربرى (مولى ابن عباس) ٣٠، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٣، ٢٢٤

٢٣٨، ٢٣١، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١

✻ هكوة بن عمار ١٦٨، ١٨١

✻ هامة بن قيس بن عبد الله ١٦٣، ٢٣٥، ٢٥٧

❖. علقمة بن وقاص ٦٦

*† علي بن أبي طالب ١٣٥، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٣، ٢٠١

* على الجارم ١٤٨

* علي بن عبد الله بن سلمة ٢٣٨٠١٧٨٠٥٩

* عمار بن ياسر ۱۳۴

* عمران بن موسیٰ ۸

* عمر بن الخطاب ٣٦، ٥١، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٩٩، ١٠٠، ١١١، ١٥٩

۲۲۲، ۲۰۲، ۱۸۵، ۱۸۴، ۱۸۱، ۱۷۰، ۱۶۷، ۱۶۵

* مصر میں قدر ۱۶۰

* عمر بن حفص بن فیاث ۲۳۵، ۲۵۷

* مصر وضاكحة ٤٩ *

* مُرَيْنَ عَلِيٍّ بْنِ مُقَدِّمٍ ٢٠٦

* عمر بن يوسف الحنفى ١٨١

عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ ١١٠

* قشروئین دینار ۱، ۲، ۲۰۲، ۴۰۲، ۲۱۳، ۲۱۸، ۲۷۳

* عمرو بن شقيب ۱۹۱، ۲۱۵

* عمرو بن عثمان ۱۷۲ *

* عمرو بن علي ٢٠٦

* عمرو بن عون ٢١٠

* عمرو بن محمد بن بكير الناقد ٢٣٤

* عمرو بن معد يكرب ٦٩

* عناق (المرأة القرشية) ٢١٥ ، ٢١٦

* العنبري (عباس بن عبدالمعظم) ١٦٨

* عوف بن مالك ١٩٢

* عويمر الجبلاني ٣٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥

* عيسى بن عبيد ٢٦٧

* الدينني (محمود بن احمد) ٢٧٠

(الذين المعجمة)

* غندر (محمد بن جعفر) ٢١ ، ١٠٦٣

(الفـاء)

* فتحى احمد مصطفى

* الفضيل بن موسى ٢٦٧

القـفـ

* قتادة بن دعامة ٣٨ ، ٣٩ ، ١٥٨ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨

* قدامة بن ملحون ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١

* القشيري (محمد بن رافع) ٦١

* القزلباشي ٦٩ ، ٧١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ٢١٣

* القواريري (عبيد الله بن عمرو) ٦٣ ، ١٥٨

* قيس بن ثابت ١٤٩

* قيس بن صرمة ١٥٥

(الكـفـ)

* كارل بوركلمان ٤٩

* كعب بن الأشرف ٥١ ، ١٣٢ ، ٢٤٠

* كعب بن حجرة ٢٠ ، ٢١

* كعب بن مالك ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩

* الكلبي (محمد بن السائب) ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٩

* الكمال بن الهمام ١٢

* كفانة بن أبي الحقيق ٢٤١

* ليث بن أبي سليم ٣٣

* الخطيب بن سنان ١٨٧

- * محمد بن المنكدر ٢٣٤
- * محمد بن منهال الضرير ١٥٦
- * محمد بن ناصر البغدادي ١١
- * محمد بن يحيى (المروزي) ٢٢٤، ٢٠
- * محمد بن يوسف (الفريابي) ٢٦٢، ٢٢٤، ١٩
- * مرثد بن أبي مرثد ٢١٦، ٢١٥
- * مروان بن الحكم ٢٦٩، ١٢٩، ٦٧، ٦٦
- * مسطح بن أثاثه ١٣٦، ٥٩
- * مسلم بن الحجاج ١١، ٢٥، ٢٦، ٦٣، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٢،
- ١٦٨، ١٨١، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٦، ٢٠٩، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٤٩،
- ٢٥٩
- * مسيلمة الكذاب ٥٢
- * مصطفى أمين ١٤٨
- * مصطفى البابی الحلبي ١٦، ١٧
- * مصطفى بن عبد الله (حاجي خليفة) ٤٩
- * المطلب بن أبي وداعة ٥٦
- * معاذ بن جبل ١٠٧، ١٠٨
- * معاوية بن أبي سفيان ١٧٢
- * معاوية بن سلام ٦٥٩

- * علقمة بن وقاص ٦٦
- * علي بن ابي طالب ١٣٥ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٨٣ ، ٢٠١ ،
- * علي الجارم ١٤٨ ،
- * علي بن عبد الله بن سلمة ٥٩ ، ١٢٨ ، ٢٣٨
- * عمار بن ياسر ٢٣٤
- * عمران بن موسى ٨
- * عمرو بن الخطاب ٣٦ ، ٥١ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١١ ، ١٥٩
- * ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢٠٢ ، ٢٢٢
- * عمرو بن ذر ١٦٠
- * عمرو بن مفضل بن ضيات ٢٣٥ ، ٢٥٢
- * عمرو رضا كعالة ٤٩
- * عمرو بن علي بن مقدم ٢٠٦
- * عمرو بن يوسف الحنفى ١٨١
- * عمرو بن الحارث ١١٠
- * عمرو بن دينار ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢١٨ ، ٢٧٣
- * عمرو بن شعيب ١٩١ ، ٢١٥
- * عمرو بن عثمان ١٧٧ ،
- * عمرو بن طلي ٢٠٦

٢٦٤

■ نور الهدى الزيني ٩

■ النوى (يحيى بن شرف) ١٦٨ ، ٢٣٤ ، ٢٦٥

(الفـ لـ)

* مشام بن حسان ۲۶۱

٣٣ * هشام بن محمد الكلبى

* هشام بن سعد ۲۰۹، ۲۰۸

* هشام بن عروة ٢٠٦

* هشيم بن بشير بن القاسم ٣٣، ٢١٠

×× ملال بن أمية ٣٤، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٩، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥

* حمام بن یحیی بن دینار ۱۷۰، ۱۹۶

* هناء بن السرى ۱۸۱

* هند بنت الوليد (امرأة قدامة بن مظعون) ٢٠

■ الهيثمي (علي بن أبي بكر) (١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ،
٢٢٣

(۱۱ — ۱۰)

* الواحدى (على بن أحمد) ٨٠١٢، ١٤، ١٦، ١٨، ٢٠، ٢٢-٢٩،

1. 1-1. 7. 99. 72. 7. 08. 0. 38. 37. 33. 33. 33. 31-33

YAW-YA, YAL, YAT, YE, YU, YU, YU

* الوادعي (مقل بن سادي) ٢٨١، ٢٢٦، ٢٠٥، ١٤

* ورتا* بن حمر بن كليب ٢١١، ٢٠٠

* الوليد بن مسلم ١٧٢، ١٧٨،

* الوليد بن عتبة ١٣٥

(الياء)

* ياسر الحنسي (ابوعمار) ١٣٤

* يحيى بن أبي كثر ١٧٢، ١٧٨،

* يحيى بن بكير ١٨٧

* يحيى بن حمدة ٢١٨

* يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ٢٥٨

* يحيى بن سعيد القطان ٢٢٠+، ١٩٠، ٦٣، ٧

* يزيد بن زريع ١٥٨، ١٥٦، ٣٣

* يسار (مولى عبد الله بن مسلم الحضرمي) ٢١١

* يعقوب بن سفيان ٣٢

* يحيى بن عبيد الطنافسي ١٦٥

* يونس بن عبد الأعلى ٢٠٨، ١٨٦

* يونس بن محمد ١٩٨

* يونس بن يزيد الايلي ١٨٦

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
١ - مقدمة	١١
٢ - شكر وتقدير	١٢
٣ - المقدمة	١٣
٤ - الأسباب الباعثة على اختيار الموضوع	١٤
٥ - خطة البحث	١٥
٦ - منهج البحث	١٦

الباب الأول
في سبب النزول
ونيه خمسة فصول

١ - ١	الفصل الأول : وفيه ثلاثة مباحث
١ - ٥	المبحث الأول : التصريف بسبب النزول
١	مبنى النزول
١ - ٤	مبنى السبب لفظة واصطلاحاً
٤ - ٥	المبنى الاصطلاحي لسبب النزول

الصفحة	الموضوع
١٣-٦	المبحث الثاني : ذكر من ألفت فيه من العلماء
٧	الأول : ابن المديني
٨	الثاني : أبوالمطرف الأندلسي
٩، ٨	الثالث : الواحدى
١٠ ، ٩	الرابع : أبوالمظفر العراقي
١٠	الخامس : المازندراني
١١	السادس : ابن الجوزي
١٢	السابع : الجعبري
١٣ ، ١٢	الثامن : السيوطي
٦٠ ، ١٤	المبحث الثالث : الكتب التي ألفت فيه وبيان قيمتها العلمية
١٤	أ) الكتب المطبوعة
١٤	١- أسباب نزول القرآن للواحدى
١٤	٢- لباب الفقول ، للسيوطي
١٤	٣- الصحيح المسند ، للوادعي
١٤	ب) الكتب المخطوطة
١٤	١- أسباب النزول - للعراقي
١٤	٢- أسباب النزول - للجعبري

الموضوع	الصفحة
ب - الكتب التي ورد ذكرها في المصادر	١٤
١ - كتاب ابن المديني	١٤
٢ - القصص والاسباب لابي المطرف	١٤
٣ - اسباب نزول القرآن ، لابن الجوزي	١٤
٤ - العجائب في بيان الاسباب لابن حجر	١٤
القيمة العلمية لهذه المصنفات	١٥
عن كتاب الواحدي	١٥
دفعاته	١٦
الاسباب في الباعثة على تأليفه	١٧
المآخذ التي وردت عليه	١٨
اولا : ما أورده الإمام السيوطي	١٩ - ٣٧
الامر الاول : الاختصار	٢٠ - ٢٢
الامر الثاني : الزيادات الكثيرة	٢٣ - ٢٤
الامر الثالث : وفيه ثلاثة مآخذ .	٢٤ - ٣١
المأخذ الاول : عدم عزو الاحاديث	٢٤ - ٢٧
المأخذ الثاني : عدم العلم بمخرج الحديث	٢٧ - ٢٩
المأخذ الثالث : إيراد الحديث مقطوعا	٢٩ - ٣١

الصفحة	الموضوع
٣٣-٣١	الأمر الرابع : تمييز الصحيح من غيره
٣٤، ٣٣	الأمر الخامس: الجمع بين الروايات
٣٧-٣٤	الأمر السادس: تنحية ما ليس من أسباب النزول
٤٢-٣٨	تأليف : ما أورده الدكتور صبحي الصالح
٤٨-٤٣	عرض كتاب السيوطي (لباب النقول)
٤٣	طبقاته
٤٧-٤٣	منهجه
٤٨، ٤٧	القيمة العلمية لكتابي الواحد عدى والسيوطي
٤٩-٤٠	عرض كتاب العراقي (اسباب النزول . .)
٤٩	المصادر التي اشارت اليه
٥٠، ٤٩	اماكن وجود النسخ المخطوطة منه
٤٩	ملاحظة على النسخة الأثرية
٥٠	عدم تأثر العراقي بالواحدى
٥٧-٥١	جمع المؤلف بين التفسير وبيان الأسباب
٥٩، ٥٨	علام اعتمد العراقي فى تصنيفه ؟
٦٠	القيمة العلمية لكتاب العراقي

الموضوع	الصفحة
الفصل الثانى :	٦١
الاستعانة بالسبب على فهم الآية	٦١-٧٧
تنبيه العلماء الى أهمية معرفة السبب	٦١
ما نقله الزركشى عن القشيري	٦١
ما قاله السواحدي	٦٢
ما نقله السيوطي عن ابن دقيق العيد	٦٢
ما نقل عن ابن تيمية	٦٢
شواهد على أهمية معرفة السبب	٦٢
الشاهد الأول	٦٣
الشاهد الثاني	٦٣-٦٥
الشاهد الثالث	٦٦-٦٨
الشاهد الرابع	٦٨-٧٤
الشاهد الخامس	٧٥-٧٦
الشاهد السادس	٧٦-٧٧

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث	
في تحليل النصوص وحكمة التشريع	٧٨ - ١٢٤
المبحث الأول	٧٨ - ٩٦
مثل تحليل النصوص بعلة او لا ؟	٧٨
تعريف العلة في اللغة	٧٨
تعريف العلة في الاصطلاح	٧٨ - ٧٩
الفرق بين العلة والسبب	٨٠
العلاقة بين تحليل النصوص واسباب النزول	٨١
مذاهب العلماء في تحليل النصوص	٨٢
المذهب الاول	٨٢
المذهب الثاني	٨٢
المذهب الثالث	٨٢
المذهب الرابع	٨٢
الفرق بين هذه المذاهب الاربعة	٨٣
المذهب الرابع المختار	٨٣
امثلة لتأييد المذهب الرابع	٨٤ - ٩٠
المثال الاول	٨٥
المثال الثاني	٨٦
المثال الثالث	٨٧
المثال الرابع	٨٧

الموضوع	الصفحة
المثال ١٠ الخامس	٨٨-٨٩
المثال السادس	٨٩-٩٠
احصاء الايات النازلة ابتداءً بلا اسباب	٩١-٩٥
احصاء الايات النازلة باسباب	٩١-٩٥
خلاصة الجدول الاحصائي	٩٥-٩٦
المبحث الثاني : في حكمة التشريع	٩٧-١٣٤
بيان العلاقة بين حكمة التشريع والعلّة	٩٧
حكمة التشرع من اهم فوائد اسباب النزول	٩٧
المؤمن ينتفع بحكمة التشريع	٩٧-٩٨
الكافر ينتفع بحكمة التشريع	٩٨-١٠٠
المشروع الالهية وضعت لمصلحة العباد	١٠٠-١٠١
الحكمة تتجلى في مقاصد الشريعة	١٠١
مقاصد الشريعة لا تعدو ثلاثة	١٠١-١٠٣
المقاصد الضرورية	١٠٢
المقاصد الحاجية	١٠٢
المقاصد التكمالية	١٠٣
امثلة لحكمة التشريع في نطاق الضروريات الخمسة	١٠٤-١١٥

الصفحة	الموضوع
١١٥-١٠٤	أولاً : حفظ الدين
١٠٦-١٠٤	الركن الأول : الإيمان
١١٠-١٠٧	الركن الثاني : الصلاة
١١٣-١١٠	الركن الثالث : الزكاة
١١٤-١١٣	الركن الرابع : الصوم
١١٥-١١٤	الركن الخامس : الحج
١١٧-١١٥	ثانياً : حفظ النفس
١٢٠-١١٧	ثالثاً : حفظ العقل
١٢٢-١٢٠	رابعاً : حفظ المال
١٢٤-١٢٢	خامساً : حفظ النسل

الفصل الرابع	
١٢٥	دفع توهم الحصر وتعيين المبهمات
١٢٥	علاقة هذا الفصل بأسباب النزول
١٢٨-١٢٥	المبحث الأول : دفع توهم الحصر
١٢٥	من النصوص ما يفيد بظاهرة الحصر
١٢٦	مثال على ذلك
١٢٦	الدليل على أن الحصر الحقيقي غير مراد في هذا المثال

الصفحة	الموضوع
١٢٦	رأى الإمام الشافعى فى سبب نزول الآية
١٢٦	بيان المراد من الحصر الصورى الوارد فى الآية
١٢٧	سبب النزول يدفع توهم الحصر
١٢٩-١٤٠	المبحث الثانى : تعيين المبهات
١٢٩	تعذر تعيين المبهات فى القرآن الكريم
١٢٩	أسباب النزول تعين على تعيين المبهات
١٢٩	الجهل بأسباب النزول يوقع فى الجناية
١٢٩	مثال على ذلك
١٢٩-١٤٠	أمثلة لتعيين المبهات بواسطة اسباب النزول
١٣٠	المثال الأول
١٣١	المثال الثانى
١٣٢	المثال الثالث
١٣٢، ١٣٣	المثال الرابع
١٣٣	المثال الخامس
١٣٤	المثال السادس
١٣٤، ١٣٥	المثال السابع
١٣٥	المثال الثامن
١٣٥، ١٣٦	المثال التاسع
١٣٦	المثال العاشر

الصفحة	الموضوع
١٣٧	المثال الحادي عشر
١٣٧	المثال الثاني عشر
١٣٩	المثال الثالث عشر
١٤٠	من فوائد الإيهام في القرآن الكريم
	الفصل الخامس
١٤١	معموم اللفظ وخصوص السبب
١٤١	تهذيب العام
١٤٢	تهذيب الخاص
١٤٢	طلاقة العموم والخصوص بأسباب النزول
١٤٢	هل العبارة بمعموم اللفظ أو بخصوص السبب ؟
١٤٢	رأى الجمهور في هذه المسألة
١٤٣	رأى المخالفين
١٤٥	اتفاق الجميع على عموم الآيات النازلة في أسباب خاصة
١٤٦	تعمير مكان الخلاف بين الفريقين
١٤٧-١٤٩	أدلة الجمهور
١٤٧	الدليل الأول
١٤٨	الدليل الثاني
١٤٨-١٤٩	الدليل الثالث
١٥٠-١٥٣	شبهات المخالفين والرد عليها

الصفحة	الموضوع
١٥٠	الشبهة الأولى
١٥١-١٥٠	الشبهة الثانية
١٥١	الشبهة الثالثة
١٥١	الشبهة الرابعة
١٥٢	الشبهة الخامسة
١٥٣	النتيجة المترتبة على كل من الرأيين
١٥٣	اختيار الرأي الراجح
١٥٤	الباب الثمانى
	فى طريق معرفة السبب وفيه ثلاثة فصول
١٥٤	الفصل الأول
١٥٤	الروايات التى وردت فى أسباب النزول وقيمتها
١٤٥	كثرة الروايات تحيل استيعابها فى هذا الفصل
١٤٥	الأسس التى بنيت عليها الدراسة
١٤٥-١٦٦	أولاً : أمثلة لما ورد فى الصحيحين
١٥٤ ، ١٥٥	المثال الأول
١٥٦ ، ١٥٨	المثال الثانى
١٥٨ ، ١٥٩	المثال الثالث
١٥٩	المثال الرابع
١٦٠ ، ١٦١	المثال الخامس

الصفحة	الموضوع
١٦٢	المثال السادس
١٦٤، ١٦٣	المثال السابع
١٦٥	المثال الثامن
١٦٧، ١٦٦	المثال التاسع
١٦٩، ١٦٨	المثال العاشر
٢٠٣، ١٦٩	ثانياً : أمثلة لما وافق ما فى الصحيحين
١٧٢، ١٦٩	المثال الأول
١٧٢، ١٧٢	المثال الثانى
١٨٠ - ١٧٧	المثال الثالث
١٨٥ - ١٨٠	المثال الرابع
١٨٩ - ١٨٥	المثال الخامس
١٩١ - ١٩٠	المثال السادس
١٩٦ - ١٩٢	المثال السابع
١٩٩ - ١٩٦	المثال الثامن
١٩٩	المثال التاسع
٢٠٣ - ٢٠٠	المثال العاشر
٢٢٦-٢٠٤	رابعاً : أمثلة لما لم يوافق ما فى الصحيحين
٢٠٤	المثال الأول
٢٠٦	المثال الثانى
٢٠٨	المثال الثالث

الموضوع	الصفحة
المثال الرابع	٢١١
المثال الخامس	٢١٢
المثال السادس	٢١٥
المثال السابع	٢١٨
المثال الثامن	٢٢٠
المثال التاسع	٢٢٢
المثال العاشر	٢٢٤
أقسام مبدل ثلاثاً	٢٢٦

الفصل الثاني

وفيهِ مبحثان ٢٢٧-٢٥٠

المبحث الأول : في صيغ الرواة في التعبير عن سبب النزول ٢٢٧-٢٤٦

٢٢٧	الشيخ أنواع ستة
٢٢٨	ثبوت سبب النزول بالنقض صراحة
٢٢٩	ثبوت السبب عن طريق الإيحاء
٢٣٤	ثبوت السبب عن طريق السؤال
٢٣٦	ثبوت السبب استمالة
٢٣٧	قول الصحابي : نزلت هذه الآية في كذا
٢٣٨	قول التابعي نزلت هذه الآية في كذا
٢٤٨	أمثلة لما رواه الصحابي

الصفحة	الموضوع
٢٥٤	الصور الأربع وأحكامها
٢٥٤	الصورة الأولى
٢٥٦	الصورة الثانية
٢٦١	الصورة الثالثة
٢٦٦	الصورة الرابعة
٢٦٨-٢٧٧	المبحث الثاني : وحدة السبب لأكثر من آية
٢٦٩-٢٧٣	أمثلة للسبب الواحد تنزل فيه آيتان
٢٦٩	المثال الأول
٢٧٠	المثال الثاني
٢٧١	المثال الثالث
٢٧٢	المثال الرابع
٢٧٣-٢٧٤	أمثلة للسبب الواحد تنزل فيه أكثر من آيتين
٢٧٣	المثال الأول
٢٧٤	المثال الثاني
٢٧٤	المثال الثالث
٢٧٥-٢٧٧	ربط هذا الأمر بواقع المسلمين اليوم

الصفحة	الموضوع
٢٧٨-٢٩٢	الخاتمة
٢٩٣	المقترحات
٢٩٣-٢٩٥	ويحد :
٢٩٦-٣٨٥	الفبارس
٢٩٦-٣١٠	شهرس المصادر
٣١١-٢٣٢	شهرس الآيات
٣٣٣-٣٣٨	شهرس الأحكام
٢٣٩-٣٦٦	شهرس الأعلام
٣٧٠-٣٨٥	شهرس الموضوعات